أبو يزيد البسطامي

سلطان العارفين في القرن الثالث الهجري

ترجمته، شطحاته، وفوائده

إعداد وتحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

DKI

أسسها محمد علي بيضون

سنة 1971 بيروت - لبنان

Title : **Abu Yazid al-Bisṭâmi**
classification : *Biographies and Sufism*
Author : Aḥmad Farid al-Mizyadi
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 224
Year : 2008
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : أبو يزيد البسطامي
سلطان العارفين في القرن الثالث الهجري
التصنيف : تراجم وتصوف
المؤلف : الشيخ أحمد فريد المزيدي
الناشر : دار الكتب العلميـة - بيروت
عدد الصفحات : 224
سنة الطباعة : 2008
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quobbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o Box 11-9424 Beirut-Lebanon
Riyad al-Solh Beirut 1107 2290

عرمون - القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

الحمدُ لله الذي نوّر قلوب أوليائه بأنوار هُداته، وصفّى أسرارهم بمشاهدة جماله وعظمته، واستَخلصهم للعكوف على بساط أنسه، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت عليهم أنوار رحمته، وفاضت عليهم أنوار حضرته، ثم كشف لهم عن جمال وجهه، حتى أشرقت قلوبهم بأنوار معرفته، ثم أظهر لهم غرائب صنعه وبدائع صنعته، فشاهدوا عجائب ملكه وملكوته.

والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وخيرة أصفيائه وعلى آله وأصحابه وعترته.

أما بعد ... فإن المعرفة بالله تعالى هي الغاية القصوى واللباب الأصفى، وهي مشربٌ عذبٌ لكل وارد، ولا يصل للتنعم بها إلا واحد بعد واحد، وأبو يزيد كان على قلب إسرافيل، له الأمر ونقيضه، جامعًا للطرفين، وهذا المنصب لا يكون في الزمان إلا لواحدٍ فقط.

وها أنا أجمع لك فنونًا من المعارف - في صورة مونقة لتستعين بها على الوصول إلى المعروف، وباقتباسها على معانيها يتجلى لك العطوف الرءوف، إذ هي صادرة عن حقائق الكرامات، حيث ذكر ما أثر عن شيخٍ من كبار مشايخ القوم، وهو بكنيته أشهر وأعرف.

وكان ﷺ يُشير عن نفسه أنه قطب الوقت، فقيل له يومًا عن رجلٍ يقال فيه أنه قطب الوقت! فقال: الولاة كثيرون، وأمير المؤمنين واحد، لو أن رجلاً شق العصا وقام ثائرًا في هذا الموضع - وأشار إلى قلعة هناك - وادّعى أنه خليفة قُتل، ولم يتم له ذلك، وبقي أمير المؤمنين، فما مرت إلا أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائرٌ ادّعى الخلافة فقتل وما تم له ذلك، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه.

وكان ﷺ إذا رآه الناس يتمسحون بمرفقيه تبركًا، فلاموه على ذلك! فقال: هم لا يتبركون بي، إنما يتبركون بخلعة ربي التي خلعها علي.

واعلم أن مناقب الصفوة من الأولياء العارفين على التحقيق هي مرايا تنعكس على صفحاتها كمالات هذا الدين الحنيف، وثمار التحقيق بأركانه وشعبه ومُثله العليا في أبهى صورها، ذلك لأن معالم الإسلام والإيمان والإحسان الوضاءة بما تشتمل عليه من منازل وأحوال ومقامات، ما تجسدت بعد سيد الخلق ﷺ إلا في شخصيات أولئك الصفوة بدءًا من سيدنا أبي بكر والخلفاء الراشدين مع آل بيت النبوة الأطهار، ثم سلاسل الأولياء بما تضمن من أقطاب وأفراد وأئمة وأبدال وأوتاد ونجباء ونقباء ... ففي هؤلاء وأولئك تجسدت عظمة

الإسلام بأروع مجاليها! وإن الذين ابتليت بهم الأمة منذ عدة قرون من الذين حُرموا مشرب القوم الصوفية، فعكروا صفاء مشارب السواد الأعظم منها بالإنكار على مسالك الأولياء والأخيار، وسخَّروا طاقاتهم لحجب شموس الهداية في سماء الأمة، وحالوا بينها وبين نواظر النشء والدهماء، واخترقوا صفوف العلماء والدعاة، وليس لهم إلا همٌّ واحد هو محو اسم التصوف والصوفية من الوجود - لا مكَّنهم الله من ذلك - هؤلاء هم الذين طغوا على روحانية الإسلام وبدَّدوا أروع مُثله ومثاليات عظمته بطمس الحقائق وتزييف المفاهيم والحيلولة بين سواد الأمة وبين الرموز العرفانية المثلى، بل وبين أئمة أهل السنة والجماعة كالإمام الأشعري والإمام الماتريدي وإمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالي، والإمام الشعراني وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فحينما تنهض البقية الصالحة من ورثة أهل الحق والتحقيق لتبعث الكنوز المطمورة من سير ومناقب أئمة التحقيق والولاية كسيد الطائفة الصوفية الإمام الجنيد، وسلطان العارفين سيدي أبي يزيد البسطامي رضوان الله عليهما، فإن هذا لا شك عمل يسهم في تصحيح النظرة إلى أقطاب المعرفة، وتوثيق الصلة بأهل الحضرة الإلهية وحملة العلوم الاصطفائية على أنه مما يجب التنويه به: أن مرامي عبارات أهل التحقيق بعيدة المدى، وإن كان بعضها في المتناول لمن لديه مصداقية بمعرفة الخاصة، فمتى وجد القارئ غموضًا أو إشكالاً عليه في بعض المعاني، فإنه إما أنه يسلك مسلك التفويض في معرفتها، حتى يفتح الله عليه بذلك، وإما أن يرجع إلى متخصص في فهم عبارات ومصطلحات الصوفية.

والمرجع الأساس: كتاب الله المجيد، وسنة رسوله ﷺ، ثم إنه لا شك سيحظى القلب والعقل والوجدان باليقين مع قطب عظيم هو سيدي الإمام أبو يزيد البسطامي الملقب «سلطان العارفين» والذي كان يطلق عليه الإمام محيي الدين ابن عربي قدس الله سره «أبا يزيد الأكبر» لعلو مَرقَاه في التحقيق والمعرفة.

وقد سبق لنا تصنيف كتاب «الإمام الجنيد سيد الطائفتين»، فهي صحبة النور مع القطبين النيرين: تاج العارفين «الجنيد»، وسلطان العارفين «طيفور» في الأفق الأعلى من سماء المعرفة، في روضة حبور، ومعدن سرور.

وأسأل الله تعالى أنه يرزقنا رؤية الحق والحقيقة وأن يمنح ذواتنا من أنوار ذاتي القطبين المباركين لنحظى بمعيتهما المشرَّفة في الدارين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

القسم الأول

قسم الترجمة

- ترجمته وأحواله والتعريف به وثناء العلماء والصالحين عليه.
- تلامذته مريديه.
- شيخه.
- بعض أقرانه وأصدقائه ومعاصريه.

سلطان العارفين

اسمه ونسبه:

اسمُ أبي يَزيدَ البِسْطامِيِّ طَيْفُورُ بنُ عيسى بن سَرُوشَانَ. شيخ الصُّوفيَّة.

وطيفور: بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها، وضم الفاء، وبعد الواو الساكنة راء، والطَّيْفُورُ طُوَيْئِرٌ.

والبسطامي: بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم، هذه النسبة إلى بسطام، وهي بلدة مشهورة من أعمال قومس ويقال أنها أول بلاد خراسان من جهة العراق، والله أعلم.

وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط سروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة سروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم، إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر سروشان الطعام.

قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي.

قال: وما ذاك؟. قال: أن تسلم، قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فكان هذا سبب إسلامه.

وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستمدادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله.

حياته: قال شيخ المشايخ قدس الله روحه حكاها عن مشايخه: إن عيسى والد أبي يزيد لما تزوج بأمه وزفها لم يباشرها ولم يلامسها أربعين ليلة حتى علم أنه لم يبق في جوفها أثر ما أكلته من قبل وتناولته فيما غبر من الأيام التي كانت في بيت والدها وأمها، ثم لما باشرها ظهر من أولاده مثل أبي يزيد قدس الله روحه[1].

---

(1) نقلًا عن النور (ص6).

قال شيخ المشايخ: لم يتزوج أبو يزيد قط ومن انتسب إليه فليس من أولاده بل هم من أولاد آدم وعلي، أخوي أبي يزيد، وكانوا ثلاثة إخوة وأختين، أبو يزيد وآدم وعلي، فآدم كان أكبرهم سنًا وعلي أصغرهم، وأبو يزيد كان أجلهم.

وقال شيخ المشايخ قدس الله روحه حكاها عن مشايخه: أنه قال: خالفت أمي مرتين فأصابتني المضرة، أمرتني بأن ألقي الشيح من السطح إلى أسفل الدار وكنت أرميه، فقالت: أمسك، فأرميت قطعة منها، فأردت أن أدركها طاعة لها وامتثالاً لأمرها، فسقطت من السطح، فانفتح أنفي، فعلمت أن ذلك من مخالفتي وتركي أمرها، ومرة أخرى أمرتني بالاستقاء، وقالت: احمل جرة واحدة فحملت جرتين، فلما برزت جاء سكران وضربني فكسر جرتي فرأيت أن ذلك من خلافي لأمر أمي، وقالت له ليلة من الليالي: اسقني، فخرج في طلب الماء ليسقيها، فلما رجع رآها نائمة فأمسك الكوز في يده حتى انتبهت، فلما انتبهت قالت: يا أبا يزيد أين الماء؟ قال: ها هو، فأخذت الكوز من يده.

وقد علّق الكوز من أصبعه، وكان قد جمد على إصبعه من شدة البرد فبقي بعض جلد الإصبع في عروة الكوز، فلما رأت ذلك سألته عنه؟ فقال: هو جلد إصبعي، قلت في نفسي: إن وضعت الكوز ونمت فلعلك تريدين الماء ولم تَرِه، وما أمرتني بوضعه فأمسكته ابتغاء مرضاتك والقيام بأمرك، وقيل له: بم بلغت ما بلغت؟ فقال: أنتم تقولون ما تقولون، وأنا أقول برضى الأم.

وقال شيخ المشايخ: إن أبا يزيد كان يجد ولم يعلم ما يجد وكل من دخل عليه سأله عن ذلك ويقول له: هل تعلم لوجع قلبي هذا دواء؟ فكان بعضهم يقول: تأكل كذا، ويقول بعضهم: وتشرب كذا حتى ورد الحاج مرة، فدخل عليه بعضهم وقد اشتهر ذكره وبعد صيته، فقال له ذلك، فأجابه، وقال له: إني وجدت في بعض الكتب: إن الله تعالى إذا أراد أن يتخذ أحدًا حبيًا أخذ قلبه في الاتساق والاشتياق حتى صفاه، فإذا صفاه أعشقه إلى نفسه وعَشِقَه، يعني حببه إلى نفسه وأحبه.

قال: فلما سمع ذلك علم ما به، وإن ما يجده في قلبه وجع يتصل من اشتياق قلبه إلى الله تعالى، ومن مطالبة فؤاده من الحق فاشتغل بعبادة الله تعالى وبخدمة الأم، حتى بلغ ما بلغ[1].

(1) نقلًا عن النور (ص29)، بتصرف.

مكانته، وثناء أهل العلم عليه:

قال ابن الأطعاني: قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى[1].

ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح ويكون مقولاً عليه، ترجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة.

وقال يوسف بن الحسين: *كنت عند ذي النون، فجاء رجل فقال له: رأيت أبا يزيد؟*

قال: نعم، وقلت له: أنت أبو يزيد؟ فقال: ومن أبو يزيد؟

يا ليتني رأيت أبا يزيد، فبكى ذو النون، ثم قال: إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله تعالى، فصار يطلبها مع الطالبين[2].

وقال الجنيد: بلغني عن بعض العلماء ببسطام، أنه قال:كانت لأبي يزيد خادمة كثيرة الاجتهاد والبكاء لا تنام الليل.

قال: وكانت ليلة نائمة، فرأت في منامها رب العزة سبحانه وتعالى، يقول: الناس يطلبون غيري ما خلا أبو يزيد، فإنه يطلبني.

وفي رواية أنها سمعت نداء: الناس كلهم عبيدي غير أبي يزيد فإنه ولي من أوليائي. لأن كل أحد طلب مني شيئًا ورجع بشيء غير أبي يزيد فإنه طلبني.

قال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء:

ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

قال المناوي: أشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرَّف.

كان نادرة زمانه حالاً وأنفاسًا وورعًا وعلمًا وزهدًا واتقاءً وإيناس، وناهيك بتلقيه: (هو سلطان العارفين).

وكان الشيخ ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر.

---

(1) نقلًا عن النور (ص3)، وروضة الحبور (ص19)، القاموس المحيط (1/ 453)، تاج العروس (1/ 3109).

(2) نقلًا عن النور (ص 32).

قال الشيخ ابن عربي: وكان حاله التجريد وعدم الادخار.

قال يومًا: فقدت قلبي فاطلبوا البيت، فوجدوا فيه معلاق عنب فقال: رجع بيتنا بيت البقالين.. فتصدقوا به، فوجد قلبه.

وذكر – أعني ابن عربي- أنه كان القطب الغوث في زمانه حيث قال: «من الأقطاب من يكون ظاهرًا لحكم ويحوز الخلافة الباطنة من جهة المقام: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عبد العزيز.. ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهرة كأبي يزيد» انتهى.

وقال في موضع آخر: «أبو يزيد كان على قلب إسرافيل، له الأمر ونقيضه، جامع للطرفين، وهذا المنصب لا يكون في الزمان إلا لواحد فقط» انتهى.

قال الذهبي: من كبار مشايخ القوم. وهو بكنيته أشهر وأعرف.

نقلوا عنه أشياء كبيرة الشأن في صحتها منها:

-«سبحاني».

-«ما في الجنة إلا الله»

-«ما النار لأستندنَّ إليها، وأقول اجعلني لأهلها فداءً وإلا بلعتها»

-«ما الجنة إلا لعبة الصبيان».

-«هب لي هؤلاء اليهود، ما هؤلاء حتى تعذبهم»

ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قاله حال سكره انتهى.

قال الحافظ ابن حجر -بعد حكايته ذلك عنه- قلت: أبو يزيد يسلم له حاله والله متولي السرائر انتهى.

وسُئل أبو علي الجرجاني عن الألفاظ التي تحكي عن أبي يزيد فقال: يسلم له حاله؛ فإنه يتكلم على حد غلبة، أو حال سكر، ومن أراد أن يرتقي إلى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهناك يفهم كلام أبي يزيد ﷺ انتهى.

قال المناوي: ولما تكلم في علوم الحقائق لم يفهم أهل عصره كلامه، فرموه بالعظائم ونفوه من بلدهم سبع مرات، وهم في كل مرة يختل أمرهم وينزل لهم البلاء حتى أذعنوا له وأجمعوا على تعظيمه، وكان إذا ذكر الله يبول الدم، وصلى الجمعة فسمع الخطيب يقرأ:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:85]، ففرح فطار الدم من عينه حتى

ضرب المنبر، وقال: يا عجبًا كيف يحشر إليه من هو جليسه؟ فإن الله يقول: «أنا جليس من ذكرني[1]» والمتقي ذاكر الله ذكرًا حذرًا، فلما حشر إلى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان من الحذر فرح بذلك.

قال الشيخ ابن عربي: فكان دمع أبي يزيد دمع فرح -لا دمع ترح- كيف حشر منه إليه حتى حشر غيره إلى الحجاب.

قال: وكان يحتج على مواجيده بالقرآن وما تقدم له به حفظ، ومن لم يعط ذلك لم يحكم عليه بقبول ولا رد،كأهل الكتاب إذ أخبرونا عن كتابهم بأمور لا نصدق ولا نكذب، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ - فنتركه موقوفًا.

قال الشيخ ابن عربي: قال أحد المحجوبين لأبي يزيد: شربت شربة فلم أظمأ بعدها أبدًا، فقال أبو يزيد: الرجل من يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش، فأشار إلى أن الحب شرب بلا ري.

قال الشيخ ابن عربي: جرت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال لأمر ما، فإنه لا بد من وقوع ذلك المضروب به المثل.

وكان أبو يزيد البسطامي يشير عن نفسه أنه قطب الوقت، فقيل له يومًا عن رجلٍ يقال فيه أنه قطب الوقت فقال: الولاة كثيرون، وأمير المؤمنين واحد، لو أن رجلاً شق العصا وقام ثائرًا في هذا الموضع - وأشار إلى قلعة هناك- وادّعى أنه خليفة قُتل، ولم يتم له ذلك، وبقي أمير المؤمنين.

فما مرت إلا أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائرٌ ادّعى الخلافة فقتل وما تم له ذلك، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه.

وكان إذا رآه الناس يتمسحون بمرقعته تبركًا، فلاموه على ذلك فقال: هم لا يتبركون بي، إنما يتبركون بخلعة ربي التي خلعها علي.

وقال: أوقفني الله بين يديه وقال: يا أبا يزيد بأي شيء جئتني؟ قلت: بالزهد في الدنيا، قال: إنما مقدار الدنيا عندي جناح بعوضة، ففيم زهدت؟! قلت: إلهي، أستغفرك من ذلك، جئت بالتوكل إليك، فقال: عند ذلك قبلناك.

وقال: وقفت مع العابدين فلم أر لي معهم قدمًا، فوقفت مع المجاهدين فلم أر لي

(1) رواه البخاري (5/ 291)، وأحمد (4/ 136).

معهم قدمًا، فوقفت مع المصلين والصائمين فلم أر لي معهم قدمًا، فقلت: يا رب كيف الطريق إليك؟ فقال لي: اترك نفسك وتعال.

قال الخواص: فاختُصر له الطريق بألطف كلمة، فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه.

وسُئِل الجوزقاني عن أبي يَزيدَ البِسطامي، وهذه الألفاظِ التي تُحكى عنه، فقال: رَحِم الله أبا يزيدًا له حالُه، وما نَطَق به، ولعلّه تكلَّم بها على حَدِّ الغَلَبَة، أو حال سُكر. كلامُه له، ولمن تكلَّم عليه، وليس لمن يَحكِي عنه. فالزم أنت، يا أخي! أولاً: مجاهدةَ أبي يزيدَ، وتَقَطُّعَه ومُعامِلاتِه، ولا تَرْتَقِ إلى المقام الذي بُلِغ به، بعد تلك المجاهداتِ؛ فإن بُلغ بك إلى شيء من ذلك، فاحْكِ إذ ذاك كلامَه. فليس بعاقلٍ من ضَيَّع الأدنى من المقاماتِ، وادَّعى الأعلى منها.

قال الحافظ ابن حجر: هو شيخ الصوفية له نبأ عجيب وحال غريب، وهو من كبار مشايخ الرسالة، وما أحلى قوله: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشريعة انتهى.

وكان أبو يزيد أيضًا غزير الركية، بعيد القعر، عويص الإشارة، غريب العبارة، وكان مع ذلك بعيدًا قريبًا، بغيضًا حبيًا، معك إلا أنه غائب عنك، غائب عنك إلا أنه معك.

قال الزبيدي: القُطبِ أبي يَزِيدَ البِسطَامِيّ شَيْخ الصُّوفيةِ وصاحبِ الأَحْوَالِ المشهورة وشُهْرَتُه تُغني عن البيانِ والتَّعريف.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله: هو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسنٌ في المعاملات.

هجيره:

وكان هِجِّيراه أنه كان يقول: يستزيد أبو يزيد ولا مزيد على التوحيد[1].

وفاته:

مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين، عن ثلاث وسبعين سنة.

وقال بعض أصحاب أبي يزيد البسطامي -وكان من أصحاب الكشف- لما صار أبو يزيد في قبره وسأله منكر ونكير قال لهما: أنا طريح بين يديه ولكن اسألاه هل أنا عبده فإن قال

(1) نقلًا عن النور (ص24)، وفيه هجيري أبي يزيد.

نعم قال الكرامة فقالا هذا كلام عجيب قال عندي أعجب منه لما أخرجني من ظهر آدم مع اسم نبيه وقال ألست بربكم قلت معهم بلى هل كنتما حاضرين قالا لا قال فخلوا بيني وبينه فقال أحدهما لصاحبه هذا أبو يزيد عاش سكرانا من المحبة ومات كذلك ووضع في قبره كذلك ويبعث. البصائر والذخائر (1/ 32).

وفي رواية: حكي أن خادم الشيخ أبي يزيد البسطامي كان رجلاً مغربيا فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير، فقال المغربي: والله إن يسألاني لأقولن لهما، فقالوا له: ومن أين يعلم ذلك! فقال: اقعدوا على قبري حتى تسمعوني، فلما انتقل المغربي، جلسوا على قبره، فسمعوا المسألة وسمعوه يقول: *أتسألونني، وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي*، فمضوا وتركوه.

ولا تستبعد أمثال هذا.. فإن جواب المجيب المدقق يذهب معه من هنا، فحصل مثل هذا الزاد. تفسير روح البيان لحقي (3/ 248).

قال شيخ المشايخ الداستاني قدس الله روحه: لم يكن لأحدٍ بوفاة أبي يزيد خبر إلا أنه كان أشار إلى بعض تلامذته لما أراد أن ينصرف إلى قريته واستأذنه على الخروج، فقال له: لا تخرج حتى تصلي على الجنازة، ولم يكن يعلم ما تلك الجنازة إلا أنه علم صدق قوله فلم يستخبره عنها حرمة وحشمة له، فلما أصبح كانت الجنازة جنازة نفس أبي يزيد[1].

وحُكي عن بعضهم أنه قال: حضرت مشهد الشيخ أبي يزيد قدس الله روحه، فإذا أنا بعصفور يريد أن يصطاد نملة وكان يسير مسرعًا ليدركها حتى قربت من القبر، فلما بلغ قريبًا من القبر انصرف عنها وتركها، فعلمت أنه إنما تركها حرمة وحشمة لذلك الشيخ فتعجبت منه.

❁❁❁

تلامذته ومريديه

خادمه وابن أخيه أبي موسى بن آدم بن عيسى قدس الله روحه[2]

خدم أبا يزيد واجتهد في خدمته وجد في تعهده ووده، وبالغ في حشمته وحرمته.

(1) نقلًا عن النور (ص8)، وروضة الحبور (20).

(2) انظر: مقدمة اللمع للطوسي، وطبقات الصوفية للسلمي (ص67).

وكان يحفظ على أبي يزيد أوقات صلواته متى كان يتردد إلى باب «نوحار»، موضع فسيح ليس بينه وبين رؤية الصبح حجاب، فإذا رأى الصبح قد انفجر رجع إليه فاعلمه حتى يخرج من خلوته إلى المسجد، فلما كانت الليلة التي انتقل فيها إلى حضرة الرضا والرضوان حضر إلى بابه ليعلمه فدق عليه الباب ثلاث مرات فلم يجبه فصاح به، وقال:

يا أبا يزيد، ولم يكن قط يسمه باسمه احترامًا واحتشامًا له سوى تلك الليلة، فلما تيقن أنه غير بارز علم أنه إنما امتنع عن الخروج بسبب، ففتح أبو موسى الباب عليه فوجده خارجًا عن الدنيا قدس الله روحيهما.

وقال شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني قدس الله روحه حاكيًا عن مشايخه: أن تلامذة أبي يزيد كانوا يتذاكرون في الحرمة شيئًا يعني: حرمة الأستاذ والشيخ، فكان يقول كل واحد منهم شيئًا، وكان أبو موسى يجتاز بهم مشتغلاً في أمر الخانقاه[1] والزوار، فقالوا له: قل أنت أيضًا في الحرمة شيئًا، فقال: لو أن الله تعالى فتح على العبد شيئًا أضوأ من الشمس، فدعاه الأستاذ إلى أمر من أمور الدنيا يترك ذلك ويرجع إلى ما يدعوه.

وكان أبو موسى يخدم أبا يزيد ويبالغ في خدمته وحرمته وصحبته فرأى نفسه مقصرًا فيها فجرى على خاطره: لو كان لأبي يزيد خادم بدلاً مني أبلغ مني في خدمته، فالتفت إليه أبو يزيد، وقال: اترك خاطرك فقد كنت احتاج في جميع ما أنا فيه إلى خادم مثلك، وقد كان لي ذلك لا مزيد عليك.

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا يقولون: إن أبا موسى من كثرة حرمته لأبي يزيد أمر الحافر قبره أن يجعله أسفل من قبر أبي يزيد بالحفر كي لا يساوي لحدُه أخباره حرمة له، وقال: سمعت مشايخنا يقولون: إن أبا موسى قال: نقلت إلى قبري أربعمائة كلمة لأبي يزيد ما وجدت لها أهلاً أذكرها معهم.

وكان لأبي موسى أولاد أربعة أحدهم اسمه عمي موسى، والثاني أبو يزيد، والثالث همدانوا، والرابع عبد الله، وناب أبو موسى عن أبي يزيد حياته وبعد وفاته في إقامته رسمه، وإبقاء اسمه، وإحياء آثاره، واقتفاء أخباره، وكان أبو موسى قد بلغ مبلغًا عرف به كل ما يجري على قلب أبي يزيد فقال:

---

(1) الخانقاه: ويقال لها أيضًا «خانكاه» وجمع خانكاه: خوانك، وجمع خانقاه: خانقاهات، والخانقاه لفظ فارسي، معناه البيت أو المعبد أو الدير، ثم أطلق اللفظ على المكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة.

يا رب استر مني هذا فإني أرى ذلك ترك الحرمة يعني حتى لا أعرف كل ما يجري على قلب أبي يزيد فستر الله ذلك عليه حتى مضى أبو يزيد لسبيله، فلما مضى بلغ أبو موسى مقامه درجته في الرفعة[1].

وعن أبي موسى، أنه قال: يُؤتَى برجل يوم القيامة من طريق النار على حالة صعبة شديدة، ويؤتى برجل آخر من طريق الجنة على حالة حسنة، فيزداد الذي يؤتَى به من طريق النار ألمًا ووجعًا، فيقال له: ترى ذلك الذي يحمل إلى الجنة هو فلان، فيقول: نعم، كنت سمعت باسمه في دار الدنيا.

قال: فيبلغ الله صوته إلى ذلك الولي فيقف مكانه، فيقال له: لم لا تذهب؟ فيقول: لا أبرح من مكاني حتى يكون معي من سمع باسمي، قال: فينادي قد وهبناه لك خذ بيده واذهب به إلى الجنة.

وكان شيخ المشايخ رحمه الله يقول: هذا لمن سمع الاسم فكيف لمن رأى وصحب.

ولما مضى أبو يزيد لسبيله كان عُمر أبي موسى اثنين وعشرين سنة.

وأما عمي موسى بن أبي موسى المذكور أولاً، فإنه كان من الرجال الكبار صاحب كرامات وفراسات وكان من الدَّهَشِ في باب الله بحيث أنه لم يميز بين أولاده وأحفاده، وأولاد غيره، وأحفاد من سواه.

أما أخوه أبو يزيد الثاني فكان يقال له: أبو يزيد القاضي، تولى قضاء بسطام وله في المعرفة تصرف، وكلام حسن، ونقل عنه في طريق المعرفة أربعمائة كلمة يرتضيها أهل الصنعة.

وأما أولاد علي أخو أبي يزيد فلم يرثوا ما ورث أولاد أخيه آدم وما استفادوا ما استفاد أحفاده، وإن كان في قوم على كثرة ولكن ليس لهم من الرواية والبهاء والعلوم والعقول والصيت والقبول مالهم، وهم عن آخرهم سعداء بانتسابهم إلى ذلك الكبير وانتهائهم إلى ذلك الأثير، أصابنا الله بركاتِ الكبير منهم والصغير[2].

اعلم أن المسَمَّيْنَ بأبي موسى من رواته اثنان:

أحدهما أبو موسى خادم أبي يزيد، وابن أخيه الديبلي.

❖ ❖ ❖

(1) نقلًا عن النور (ص11).

(2) نقلًا عن النور (ص12).

أبو موسى الديبلي[1]

الديبلي، بالفتح وسكون الياء وضم الموحدة.

الذي يروي أيضًا كلام أبي يزيد، فهو أبو موسى الديبلي- صاحب عبد الرحيم بن يحيى الأسود الزاهد الديبلي- وَرَدَ على أبي يزيد فلما سمع كلامه أطال عنده مقامه وأكثر من فوائده، وحفظ من نطقه ما لم يحفظه كثير من الغرباء الزائرين له والواردين عليه، فلما أراد الانصراف من حضرته قال له:

يا أبا موسى! إذا رأيت إنسانًا يتكلم بهذه العلوم وواحد ينكره، وواحد يقبله ويؤمن به، فقل للذي يؤمن به يدعو لك، فإن دعاءه مستجاب.

◆ ◆ ◆

أحمد بن خضرويه البلخي[2]

ولي عارف، سخي ببذل التالد والطارف، عليّ المقدار، جليّ الأنوار.

عجيب الشان، من كبار شيوخ خراسان، أيس من الفضول فأونس بالوصول.

وقيل: التصوف: تطهير من الأدناس وتشمير للإيناس.

لقي النخشبي والأصم، وأبا يزيد وغيرهم.

وكان يجلب القلوب بوعظه الذي ينفث في العقد، وينبه بزواجره من أغفى ومن رقد، وما رآه فقيه جاحد أو مكابر منتقد، إلاّ اعترف.

ووقف على شاطئ التسليم، وربما اغترف.

وورد عليه أحمد بن خضرويه زائرًا له في بلخ، فوقف على سكة أبي يزيد والتفت إلى تلامذته وهم ألف نفر.

فقال لهم: كل من له أن يطير في الهواء ويمشي على الماء، وتستجاب دعوته، حتى عد أمثال هذه الكرامات، تعالوا ندخل على هذا الشيخ، ومن لم يكن له ذلك فلينصرف فلا *تصلحون لذلك فلم ينصرف منهم أحد لأنهم كانوا كلهم لهم مثل تلك الكرامات، ثم قال*

---

(1) انظر: الإكمال لابن ماكولا (3/ 252)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (1/ 137)، والنور في كلمات طيفور للسهلجي (ص 18).

(2) حلية الأولياء (10/ 42)، وصفة الصفوة (4/ 137)، والرسالة القشيرية (ص21)، تاريخ بغداد (4/ 137)، وطبقات الشعراني (1/ 95)، والسلمي (103-106).

لهم: تعالوا حتى نرى أنفسنا كلهم زائف لا يأخذه أحد بشيء، فدخلوا عليه فلما سمع كلام أبي يزيد قدس الله روحه لم يدركه ولم يقف على فهمه، فقال له: انكص على عقبك في كلامك قليلاً حتى أعرف ما تقوله، ثم لما فرغ أبو يزيد من كلامه.

قال له أحد: إني رأيت أبا فلان مرة على باب السكة مصلوبًا مضروبًا، فقال له أبو يزيد: *إنما يضرب اللصوص على أبواب السلاطين، فلما خرج أحد من عنده.*

قال: كل من رأيته دعوته إلى الله غير أبي يزيد فإني دعوته من الله[1].

◆ ◆ ◆

إبراهيم الهروي المعروف بستنبة[2]

من أقران أبي يزيد وكان من رواته والقائلين بفضله، وكان أبو يزيد يستقبله إلى قربه على فرسخ من بسطام ويشيعه إلى تلك البقعة.

وحكى بعضهم قال: كنا عند مسجد أبي يزيد البسطامي فقال لنا: قوموا نستقبل وليًا من أولياء الله تعالى. فمشينا فإذا هو إبراهيم ستنبه الهروي، فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أن أستقبلك وأشفع لك إلى ربي ! فقال له إبراهيم: لو شفعت لجميع الخلق ما كان كثيرًا، فإنهم كلهم قطعة من طين. فتحير أبو يزيد من حسن جواب إبراهيم وقال: اللهم ارفع درجاتهم وانفعنا بمحبتهم ومحبة أمثالهم !

صحب إبراهيم بن أدهم ﷺ وغيره، وهو من المذكورين بالتوكل والتجريد الكبير، أقام في البادية مدة طويلة لا يأكل ولا يشرب لا يشتهي شيئًا، فحدثته نفسه بأن له مع الله رتبة فلم يشعر حتى كلمه رجل عن يمينه، فقال: يا إبراهيم، تراني الله في سرك ! لي ثمانون يومًا لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئًا وأنا زمن مطروح، وأنا أستحي من الله أن يقع لي خاطرك، ولو أقسمت على الله أن يجعل لي هذا الشجر ذهبًا لفعل.

ومن كلامه: طريق الجنة ثلاثة أشياء: سكون القلب لوعود الله، والرضا بالقضاء، وإخلاص العمل في جميع النوافل.

وقال: من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعًا على سبع، فإن الأولياء

---

(1) نقلًا عن النور (ص 32).

(2) انظر: تاريخ بغداد (6/ 120)، السلمي (ص71)، روضة الحبور (ص97)، طبقات الشيخ الشعراني (1/ 65)، الكواكب الدرية (207)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص 197).

اختاروها فبلغوا سنام الأمر: الفقر على الغنى، والجوع على الشبع، والدون على المرتفع، والذل على العز، والتواضع على الكبر، والحزن على الفرح، والموت على الحياة.

وقال: من أصاب هذه الثلاثة أصاب الشرف في الدارين أولها: فتح القلب يعني يفتح الله قلبه فيجعله مأوى الذكر، والثاني: غنيمة البر فكل رزق رزقه الله إياه يقبله بالمنة، ويحفظه بالخوف، ويتممه بالخشية والصبر، والثالث: يجد الظفر على عدوه فيستقيم على الطاعة، مات ﷺ بقزوين.

سعيد الراعي رحمه الله[1]

قبره على باب بسطام، وكان صاحب الكرامة والفراسة، ووصل إلى درجة الفناء، ومنزله البقاء تاب على يدي أبي يزيد قدس الله روحه، وكان سبب توبته ورجوعه إلى خدمة الشيخ أبي يزيد، أنه كان راعيًا وعشق امرأةً من قومه فقصدها ليلة من الليالي، وأراد أن يظفر بها من غير أن يراه أحد فبقي يرقبها فلم يظفر بها بحيلته حتى حان وقت السحر، فلما أيس عن الظفر بها وعزم على الانصراف رأى الثلج قد أتى عليه ولم يكن له خبر به من اشتغاله بحاله، فلام عند ذلك نفسه ورام بالله أنسه وتفكر في دناءة حاله، وسوء فعاله وقبح خصاله، فندم على ما غبر من أيامه واستغفر من ذنوبه وآثامه، وقصد أبا يزيد فلما بلغ مسجده رآه مغلقًا قد تفرق الناس عنه فوضع خده على عتبة المسجد وغلبه النوم فبقي على حاله حتى خرج أبو يزيد من خلوته فوجده نائمًا على تلك الحالة فنبهه، وعلم أنه قد عمل فيه فكره ونفعه ذكره.

وذلك أن أبا يزيد جلس متفكرًا قبل مجيء سعيد إليه من كثرة غفلة الناس وغلبة الغرة والوسواس فخطر بباله أن لو دخل في صحبته من كل قوم وحرفة واحد يكون سببًا لخلاص الباقين منهم، وجرى على خاطره أن الرعاة أكثر غفلة وأظهر غرة من أجناس الناس فلو دخل واحد وصحبه، لحصول ذلك الرجاء، واستجابة الدعاء.

فثبت لسعيد السَعْدُ وسَعِد، وثبت على الصلاح والفلاح وصعد حتى بلغ مرتبة الرجال ومنقبة الأبطال[2].

وحُكي أن سعيد المنجوراني طالب يومًا من الأيام أبا يزيد بإظهار كرامة منه عليه،

---

(1) انظر: النور، الفهرس، وروضة الحبور (ص98).

(2) في النور (ص14) نحوه.

فأشار أبو يزيد إليه بأن يمضي إلى سعيد الراعي، فلما قصده لم يجده على غنمه ووجد الذئب يدور حول الغنم يحفظها، فلما حضر سعيد جالسه واتبه وأخرج كساءه ووضع بين يديه ما فيه من طعام، فأخذ سعيد المنجوراني يباسطه في الكلام حتى قال له: إني لأشتهي العنب، أراد تجربته بذلك وأن يرى شيئًا من كراماته، فأخذ سعيد الراعي العصا التي كانت معه وكسرها وغرز نصفها على أحد جانبي نهر كانا جالسين على شطه والنصف الآخر منها غرزه على *الجانب الذي هو عليه، فأثمر بقدرة الله ﷻ ما كان بجانب المنجوراني عنبًا أسود، وما كان من* جانبه عنبًا أبيض.

فقال له سعيد الراعي: كُله، فقال: كيف الذي من جانبي أسود والذي من جانبك أبيض؟ قال: لأنك تمنيته بي وطلبته وما ظهر من جانبي لم يظهر بإرادتي وأمنيتي، فلما أراد أن يفارقه قال له: هب لي هذا الكساء، فقال سعيد الراعي: وهبته بشرط أن تحفظه كي لا يسرقه سارق، فانصرف سعيد المنجوراني بالكساء إلى بيت الله الحرام ولم يزل يحفظه حتى كان بعرفات أودعه عند إنسان واشتغل بأمر، فلما رجع إليه وطالبه به لم يجده، فقال: ذهب الراعي بالكساء فلما رجع إلى بسطام رأى الكساء في يد سعيد الراعي فعلم أنه هو الذي أخذه فطالبه به فقال الراعي: ألم أقل لك احفظه كي لا يسرقه السارق؟ أراد سعيد الراعي بذلك الفعل أن يريه قوة نفسه وعجزه وإظهارًا لفضل أستاذه وشيخه أبي يزيد ﷺ وعن محبيه.

❖ ❖ ❖

خطّاب الطّرزي[1] رحمه الله

جاوز الحدَّ وفاز بما لا يأتي ذكره بالعدّ، وله بتلك القُرى بيت للضيافة والقِرى، واستفاد من ذلك الكبير خلق كثير دعاهم إلى الله تعالى فاقتدوا به، واهتدوا، بقربه وقرابته.

بلغ عمي إسماعيل تلك الدرجة السنية حتى قال: لو جعل جُل عمري سبعين سنة أو أكثر على مقام ذلك على طبق وعرض على الله لم أستحي منه بسبب شيء من الأشياء.

❖ ❖ ❖

أبو منصور الجينوي[2]

بلغ الغاية وأوفى كل نهاية من تلك الدرجات والفوز بالنجاة، فطوبى له وحسن مآب

(1) ويقال: الطرازي أيضًا، وانظر: النور (ص 18)، والروضة (ص100).

(2) الجينوي نسبة لقرية في جهينة ناحية جرجان انظر: النور (ص17)، والروضة (ص101).

فاز قوم بصحبته ومحبته ورؤيته وروايته وعاشوا في ولايته ودولته، وما لم يظهر من حاله وحال قومه وآله أطيب من أن يذكر أصابنا الله بركات حركاته في عاداته وفي عباداته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقال شيخ المشايخ رحمه الله: كان لأبي منصور تلميذ يقال له:

جعفر الأويرنكي وهي قرية من قرى جرجان اختلف إليه إحدى وعشرين سنة كل سنة يزوره مرة، فأتاه مرة بقمقمة مملوءة رُبًا، وكان أبو منصور يسأله كل مرة عن اسمه وموضعه يتجاهل بذلك، فأمر بإمساك قمقمته تجريبًا له وتهذيبًا فلم يؤثر فيه ذلك وصبر حتى كان رأس إحدى وعشرين سنة دعاه ونفخ في فِيه، فخرج من عنده وانصرف فرحًا صائحًا: مَن مثلي وأن أبا منصور نفخ في فمي.

قال شيخ المشايخ: أظهر الله بركة ذلك النفخ في فيه في غيره حتى أصاب بركته ألف نفر وصاروا عن آخرهم أهل المعرفة، فهو من تلامذة أبي يزيد ﷺ وخيار أصحابه الذين أصابتهم بركة صحبته، ويمن دولته، أهالي الأعالي والمعالي.

سعيد المنجوراني[1]

كثر تردده إليه، وكان يدور في البلاد ويجمع كلام العارفين والعباد، فلما سمع كلام أبي يزيد صار ما سمعه من غيره بالنسبة إلى كلامه صغيرًا، وذكر أن أنمله صارت عريضة من كثرة ما كتب.

محمود الكومياني

اعلم أنه كان أيضًا في صحبته وخدمته جماعة من أهل الفراسة والكرامة والمعرفة والمحبة لم يبلغوا درجات من تقدم ذكرهم بالكمال ووضعهم بالوصال، فمنهم محمود الكومياني وهو من قرية على فراسخ من بسطام.

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا المتقدمين يقولون: إنه كان في سلامة القلب بحيث لا يحسن الدعاء يعني: على حسب ما يدعو من لفظه فصيح وكلامه صحيح، فاحتاج أهل قريته وناحيته إلى المطر، فقيل له: ادع الله تعالى ليسقينا؟ فقال: كيف أقول فقيل له بالفارسية كلامًا معناه بالعربية نحن محتاجون إلى المطر فذكر ما قالوه، فمطروا في الوقت والحين.

فيالها من سلامة ودين ومعرفة ويقين، بالإشارة يأتي المطر في الحين، وإنما أثمر الله ذلك

(1) انظر: روضة الحبور (ص97)، نقلًا عن النور (ص13، 14).

القدر، وأظهر ذلك لقيام ذلك الرجل الصالح بما نهى الله عنه وأمر.

حُكي أنه خرج يومًا من مسجده قاصدًا إلى بيته فرأى إبليس مترددًا على باب داره، *ففتش عما رابه وأصابه فرأى طنجيرًا فيه شيء من اللبن فاتهمه، وسأل عن حاله، فقيل له: إنما* أخذنا ذلك من عريف القرية، فأخذ بحواشي الطنجير وأتى به إلى الصحراء وقلبه، وقال: هذا الذي أداره ناحية بيتي وحوالي داري.

◆ ◆ ◆

محمد الراعي

راعي الإبل وهو من هذه الطبقة[1]

كان يحفظ كلام أبي يزيد، وكان يذكره لكل أحد، فربما ينكره بعضهم، فذكر ذلك لأبي يزيد، فقال له أبو يزيد:

لا تذكر كلامنا مع أحد، دعه يتكلمه مع الجمال في الصحراء فلم يحكه بعد ذلك لأحد، فكان إذا خرج وهاجه وغلب فيه أخذ يذكره مع الجمال فتحبه الجمال فتصغي إليه وإلى ذكره ذلك. وكان شيخ المشايخ يحكيه ويزكيه ويرى له فضلاً وجمالاً أثمر به تلك المعرفة المشهورة المحبة المأثورة والحرمة المشكورة والحرمة المذكورة.

◆ ◆ ◆

عبد الله اليونابادي

وسهلوا النمري[2]

هما من هذه الطبقة فكانا رفيقين أخوين في الله تعالى وكانا يختلفان إلى ذلك الصدر الكبير والبدر الخطير أبي يزيد قدس الله روحه، فإذا خرج أحدهما من قريته نادى صاحبه وصاح به سمع نداءه وجاءه، وكان لهما موعد لم يخلفاه، وكان بين القريتين بون بعيد فراسخ كثيرة.

وقال شيخ المشايخ: كان عبد الله من غلبة حب أبي يزيد في قلبه بحيث يخرج من بيته قاصدًا إليه لم يتفرغ إلى أن يلبس السراويل إذا لم يكن لبسه من قبل، حتى قال له يومًا من

---

(1) انظر: النور (ص 18)، والروضة (103).

(2) انظر النور (ص 18)، والروضة (104).

الأيام: إني لأحبك قال له أبو يزيد: قلب وإن ملئ حبًا فكم قدره.

قال: إني لأحبك حبًا تزيد محبتي لك على محبة أبي موسى.

قال: نعم، ولكن أبو موسى من أنفسنا، ثم قال له: هونًا إنك إن أحببت لم تسكن بالليل ولم تطمئن بالنهار، ولكنك صادق بذلك المقدار، يعني: بالقدر الذي مكنت منها.

وقال شيخ المشايخ: قدس الله روحه: كان إذا وقع هيبة أبي يزيد عليه وهو في المحراب ألقى نفسه على أحد جانبي المحراب وشدّ نفسه عليه حتى أثر مثله على الجدار الذي جرت عادته باستناد إليه مثل أثره في الطين الرطب[1].

◆ ◆ ◆

العباس بن حمزة[2]

العباس بن حمزة بن عبد الله بن أشرس أبو الفضل النيسابوري الواعظ صاحب لسان وبيان.

رحل في طلب الحديث وسمع بدمشق هشام بن عمار وهشام بن خالد وأحمد بن أبي الحواري ودحيمًا، وصحب ذا النون بمصر، وحدث عن قتيبة وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه وعبد الله بن الجراح القهستاني وعمرو بن زرارة الكلابي وعبد الله بن عمر بن الرماح وأحمد بن حنبل وسعيد بن محمد الجرمي وعبيد الله القواريري ويحيى بن طلحة اليربوعي وعيسى بن حماد وحرملة بن يحيى وأحمد بن عيسى وأحمد بن إبراهيم الدورقي والمسيب بن واضح ويعقب بن حميد بن كاسب وجبارة بن مغلس وعبد الرحيم بن حبيب البغدادي.

روى عنه أبو العباس السراج وهو من أقرانه وإبراهيم بن محمد بن سفيان وأبو يحيى زكريا بن الحارث البزار ومحمد بن صالح بن هانئ وأبو الطيب محمد بن عبد الله بن المبارك الشعيري وحفيده أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد وأبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرئ وأبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد المذكر، وأحمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيدلاني وعبد الله بن محمد البغوي.

قال الحافظ ابن عساكر: قرأت على أبي القاسم المستملي عن أبي بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال: وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن أحمد حفيد العباس يقول: توفي

(1) نقلًا عن النور (ص18).

(2) تاريخ دمشق (26/ 248).

جَدي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين.

شيخه جعفر الصادق؟

قال شيخ المشايخ: خدم أبو يزيد ثلاثمائة وثلاثة عشر أستاذًا آخرهم جعفر الصادق سقى له الماء ستين، وكان يسمى طيفور السقاء، حتى قال له: إني أرى فيك أثر جدي أرى أن ترجع إلى بيت نفسك فتبني بيتًا وتنادي في هذا الخلق نداءً يعني تدعو الخلق إلى الله تعالى، فرجع ولم يسكن قلبه وذلك عند أهل الله خاصة.

وكانت أمه في قيد الأحياء أمة غريبة في النساء مع الضياء والبهاء والستر والحياء والتواضع والدعاء، والخوف والرجاء زاهدة عابدة صائمة عفيفة شريفة راضية مرضية، رأت اضطرابه وانزعاجه، فقالت له: اسكن فسكن عما كان فيه، وقال: سيدي! سكتني إشارتها.

قال العاملي في الكشكول (1/32): قال كاتب الأحرف: إن ملاقاة أبي يزيد البسطامي لجعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه، وكونه سقاء في داره سلام رضي الله عليه، أوردها جماعة من أصحاب التاريخ، وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية وأوردها السيد الجليل رضي الدين علي بن طاووس في كتاب الطرائف، وأوردها العلامة الحلي قدس الله روحه في شرحه على التجريد، وبعد شهادة أمثال هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب كشرح المواقف: من أن أبا يزيد لم يلق الإمام رضي الله عنه ولم يدرك زمانه، بل كان متأخرًا عنه بمدة مديدة، وربما يدفع التنافي من البين بجعل المسمى بهذا الاسم اثنين، أحدهما طيفور السقاء الذي لقي الإمام رضي الله عنه وخدمه، والآخر شخص غيره، ومثل هذا الاشتباه يقع كثيرًا، وقد وقع مثله في المسمى بأفلاطون، فقد ذكر صاحب الملل والنحل أن جماعة متعددين من الحكماء القدماء كل منهم كان يسمى أفلاطون، والله تعالى أعلم.

❖ ❖ ❖

أقران أبي يزيد وأصدقائه ومعاصريه

إبراهيم معاذان[1]

كان لأبي يزيد صديقٌ مُتفقٌ موافق.

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا يقولون:

---

(1) انظر: النور (ص ١٩).

إن إبراهيم قال لأبي موسى خادم أبي يزيد: أريد أن أبعث كل يوم ما يحتاج إليه مائة نفر فيا يزيدون عليها، قل لي كم أبعث ما يحتاجون إليه من النفقة؟ قال: وكان من الديانة والصيانة والتقوى أنه لا يبيع الكساء يوم الغيم، ويقول:

إن الكساء يكون أحسن في أيام السحاب منه في أيام الصحو وكان قد بلغ حبه من قلب أبي يزيد من كثرة تحببه إليه واتفاقه عليه مبلغًا عظيمًا.

وقال شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد الداستاني صاحب الشجرة قدس الله روحه: قال أبو يزيد قدس الله روحه: من الناس من أتى في صحبتنا بالنفس، ومنهم من أتى بالمال، ومنهم من أتى بالقلب، وإبراهيم أتى في صحبتنا بالنفس والقلب والمال جميعًا رضي الله عنهم وعنًا بهم، والله تعالى أعلم.

◆ ◆ ◆

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزّاز القواريري [1]

كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري.

لقبه الأستاذ أبو القاسم القشيري قدس الله روحه في رسالته بسيد الطائفة وإمامهم، ولقبه جماعة من الشيوخ بتاج العارفين في حكاية، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وقال الفرغاني: كان الجنيد وأبو الحسين النوري يسميان ببغداد طاووسا العباد. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: كان الجنيد قطبًا في العلم، أصله من نهاوند وهي مدينة من الجبل قيل: إن نوحًا عليه السلام بناها، ومولده ومنشأه بالعراق، وكان شيخ وقته، وفريد عصره، ومن كبار أئمة القوم وسادتهم، ومقبول على جميع الآل، وكلامه في الحقائق مشهور سيأتي منه طرفًا يسيرًا إن شاء الله تعالى.

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 84)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص155)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (2/ 87)، وميزان الاعتدال له (1/ 51)، وسير أعلام النبلاء (14/ 68) تاريخ بغداد للخطيب (6/ 65)، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (2/ 37)، شذرات الذهب لابن العماد (2/ 229)، روض الرياحين لليافعي (ص19)، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص134)، وحلية الأولياء (10/ 278)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (1/ 573) وصفة الصفوة (2/ 425)،وتاج العارفين لسعاد الحكيم.

وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وكان يفتي في حلقته، وقيل: بل كان فقيهًا على مذهب سفيان الثوري.

توفي قدس الله روحه يوم السبت، وكان نيروز الخليفة سنة سبع وسبعين ومائتين، وقيل: ثمان وسبعين، آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد، ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله وشيخه سري السقطي رضي الله عنهما، وقبره بها ظاهر يزوره الخاص والعام، وكان عند موته قد ختم القرآن الكريم، ثم بدأ من سورة البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات(1).

وقال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى: كنت عند الجنيد حال نزعه، وكان يوم جمعة، ويوم نيروز، وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: في هذه الحالة يا أبا القاسم، فقال: ومن أولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي(2)؟.

وقال أبو بكر العطار: حضرت وفاة الجنيد مع جماعة من أصحابه، وفيهم أبو محمد الجريري فنظر إلى الجنيد وهو منشغل بما هو فيه من درس القرآن والركوع والسجود، فقال له: يا أبا القاسم لو رفقت بنفسك، فقال: يا أبا محمد حالة وصلت بها إلى الله تعالى في بدء أمري لا أفارقها أبدًا حتى ألحق بالله، ثم قال له الجنيد: يا أبا محمد لي إليك حاجة إذا مت فغسلني وكفني وصلّ عليّ، قال: فبكى الجريري وبكينا، ثم قال: وحاجة أخرى: تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بهم التشتت.

قال: فبكى الجريري بكاءً شديدًا، ثم قال: والله لإن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منا اثنان أبدًا، وقال أبو جعفر الفرغاني: فكان والله كذلك ما اجتمع اثنان بعد وفاته، وإنما كان ذلك ببركة الشيخ ورؤيته.

وقال أبو محمد الجريري: كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة، فلما مات الجنيد ودفناه ورجعنا من جنازته تقدمنا ذلك المصاب وصعد موضعًا رفيعًا، وقال لي: يا أبا محمد، وإني أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ثم أنشأ يقول:

واأسفى من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون

والمدن والمزن والرواسي ... والخير والأمن والسكون

---

(1) أورده القشيري في رسالته (1/ 108).

(2) أورده البغدادي في تاريخه (7/ 248)، وابن العماد في الشذرات (2/ 229)، والقشيري في الرسالة (2/ 590)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (2/ 222)، والغزالي في الإحياء (4/ 482)، وابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (2/ 266).

لم تتغير لنا الليالي حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب وكل ماء لنا عيون

ثم غاب عنا فكان آخر العهد به[1].

وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا رُكيعات كنا نركعها في الأسحار[2].

وقال أيضًا: رأيته في المنام فقلت: أليس كلام الأنبياء ﷺ إشارات في مشاهدات؟ فتبسم وقال: كلام الأنبياء عن حضور، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات.

صحب قدس الله روحه خاله أبا الحسن سري السقطي، والحارث المحاسبي وغيرهما من المشايخ. وأفتى وهو ابن عشرين سنة.

وسُئل عمن أخذت هذا العلم؟ فقال: أما في أول أمري فعن خالي سري السقطي، ثم عن أدبي مع الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة تحت هذه الدرجة، فأعلمَ السائل أولاً بنسبة الوراثة ثم ثانيًا بما أورثه صحتُها من الأدب الموجب للذوق والوجدان؛ لأن علم أهل التحقيق يؤخذ وراثة وإلقاء، وتعلمًا وذوقًا ووجدًا.

وصحبه أبو العباس بن سُريج الفقيه الشافعي، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين، فيقول: أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

وقد تخرج بصحبته خلائق في سلوك طريق الله لو ذكرتهم لطال الكلام.

ومن تتبع ذلك ظفر به قدس الله روحه ونوّر ضريحه.

وكتب إلى بعض إخوانه: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله، وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه ورجع إلى ما أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى، وإن دام على سكونه نزع الله عن قلوب الخلق الرحمة عليه وألبسه لباس الطمع فتزداد مطالبه منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزًا، وموته

(1) انظر: تاريخ بغداد (7/ 248)، طبقات الأولياء (ص 133)، صفة الصفوة (2/ 422).

(2) انظره في: صفوة الصفوة (2/ 424)، تاريخ بغداد (7/ 248)، طبقات الحنابلة (1/ 129)، حلية الأولياء (10/ 257)، إحياء علوم الدين (4/ 508)، طبقات الشافعية الكبرى (2/ 267)، الكواكب الدرية (1/ 584).

كمدًا، ومعاده أسفًا، ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غير الله.

وله مكاتبات كثيرة مشتملة على درر من المعارف والحقائق في غاية النفاسة يطول ذكرها[1]، وقد ذكر شيئًا منها أبو نصر السراج رحمه الله في كتاب اللمع من أرادها فليطلبها هناك.

وقال الجنيد قدس الله روحه: كان السّري يقول لي: تكلم على الناس، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة في المنام ﷺ، وكانت ليلة جمعة فقال لي: تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت باب السري قبل أن أصبح فدققت عليه الباب، فقال: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت للناس في غدٍ بالجامع، وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف على غلام نصراني متنكر، وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[2]».

فقلت له: أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام.

وقال أبو عبد الله المكانسي: كنت عند الجنيد يومًا فأتته امرأة، وقالت: إن ابنًا لي قد ضاع فادع الله لي، فقال: اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت، وفعلت ذلك مرارًا، والجنيد يقول لها: اصبري، فقالت له: عِيل صبري ولم يبق لي طاقة فادع لي، فقال: إن كان كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك فمضت وعادت تشكره وأخبرته برده، فقيل له: بم عرفت ذلك؟ فقال: لأن الله تعالى يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ[3]﴾ [النمل:62].

وقال الجنيد: ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتُ ها، قيل له: وما هي؟ قال: مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار، فأنصت لها فسمعتها تقول:

إذا قلتُ هذا الهجرُ لي حلّ البلى ... تقولين لولا الهجر لم يطب الحبّ

وإن قلتُ هذا القلب أحرقه الهوى ... تقولي بنيران الهوى شرف القلبُ

---

(1) نحن بصدد جمع أكثر أقوال الإمام الجنيد، وتحقيق رسائله.

(2) رواه الترمذي (5/ 298)، وقال: حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم.

ورواه الطبراني أيضًا في الكبير (8/ 102)، وفي الأوسط (7/ 312)، (8/ 23)، وابن أبي الدنيا في كرامات الأولياء (ص145)، والقضاعي في الشهاب (1/ 387).

قلت: وإن كان اختلف في الحكم على سنده عند أهل النظر في الحديث، وقد ذكرته ضمن أحاديث مشهورة لكنها لا تصح (كتابنا)؛ وهو صحيح بالإجماع عند أهل الكشف من السادة الصوفية.

(3) ذكره القشيري في الرسالة (2/ 526).

وإن قلتُ ما أذنبتُ قلتِ مجيبةً   حياتك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ

فصعقت وصحت، فبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج، فقال: ما هذا يا سيدي؟ فقلتُ له: مما سمعت، فقال: أشهدك إنها هبة مني لك، فقلت: قد قبلتها، وهي حرة لوجه الله تعالى، ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط، فولدت له ولدًا نبيلاً ونشأ أحسن نشوء، وحج على قدميه ثلاث حجج[1].

وقال جعفر الخلدي: دفع الجنيد إلي درهمًا وقال: اشتر به التين الوزيري فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها وبكى، وقال لي: احمله، فقلت له في ذلك، فقال: هتف بي هاتف في قلبي أما تستحي؟ تركت هذا من أجلي، ثم تعود إليه.

وقال الجنيد: جاءني بعض الصالحين يوم جمعة، فقال لي: ابعث معي فقيرًا يدخل علي سرورًا، ويأكل معي شيئًا فالتفت، فإذا بفقير شهدت فيه الفاقة فدعوته.

وقلت له: امض مع هذا الشيخ، وأدخل عليه سرورًا، فمضى، فلم ألبث أن جاء الرجل، وقال: يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الفقير إلا لقمة وخرج، فقلت: لعلك قلت له كلمة جفت عليه، فقال: لم أقل له شيئًا، فالتفت فإذا أنا بالفقير، فقلت: لمِ لم تتم عليه السرور؟ فقال: يا سيدي خرجت من الكوفة، وقدمت بغداد ولم آكل شيئًا وكرهت أن يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك، فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان، فلما جلست على مائدته سوّى لقمة، وقال: كُل فهذا أحب إلي من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنيء الهمة، فتطرفت أن آكل طعامه، فقال الجنيد:

ألم أقل إنك أسأت الأدب معه، فقال: يا أبا القاسم التوبة، وسأله أن يمضي معه، ويفرحه.

قال: رأيت إبليس يومًا في السوق عريانًا، وبيده كسرة خبز يأكل منها، فقلت له: ويحك تمشي في السوق عريانًا ولا تستحي من الناس؟ فقال لي: يا أبا القاسم هل بقي على وجه الأرض أحد يُستحيا منه؟ من كان يُستحيا منه تحت التراب أكلهم الثَّرى[2].

وقال أيضًا: رأيت إبليس في المنام وهو عريان، فقلت له: ألا تستحي من الناس؟

---

(1) وفي رواية (ثلاثين حجة على الراحلة) وانظر: وفيات الأعيان (1/ 374)، وشذرات الذهب (2/ 229)، والبداية والنهاية (11/ 114، 115).

(2) أورده الشعراني في الطبقات الكبرى (1/ 85).

فقال: هؤلاء عندك ناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء فقلت له: ومن هم؟ فقال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأغلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا إلى الله ﷻ أكاد أحترق، قال جنيد: فانتبهت ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزي وعلي لبد، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة نفر جلوس ورؤوسهم في مرقعاتهم، فلما أحسوا بي قد دخلت المسجد أخرج أحدهم رأسه، وقال: يا أبا القاسم *أنت كلما قيل لك شيء تقبل*.

اعلم أن هؤلاء الثلاثة هم أبو حمزة الخراساني، وأبو الحسين النوري، وأبو بكر الزقاق رحمة الله عليهم، نقله الصاحب كمال الدين ابن العديم[1].

وكان الجنيد يومًا جالسًا متفكرًا مهمومًا، فقيل له: ما الذي أحزنك يا أبا القاسم؟ فقال: فقدت أنسي في الخلوة، وفقدت الإخوان اللذين كنت آنس بهم، ودون هذا مما يهدُّ البدن ثم أنشد:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

وقال الشيخ أبو بكر الكتاني رحمه الله: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًا فقالوا: هات ما فيها عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين[2]. وروي أن شابًا كان بصحبة الجنيد فإذا سمع شيئًا من الذكر صعق، فقال له الجنيد يومًا: إن فعلت هذا مرة أخرى لم تصحبني، فكان إذا سمع بعد ذلك شيئًا تغير وبضبط نفسه حتى كان تقطر كل شعرة من بدنه، فيومًا من الأيام صاح صيحة تلفت فيها نفسه[3].

---

(1) ذكره القشيري في الرسالة (2/ 721)، والغزالي في الإحياء (4/ 509)، وابن الملقن في طبقات الأولياء (ص132)، واليافعي في روض الرياحين (ص112)، والنبهاني في جامع كرامات الأولياء (ص385).

(2) ذكره القشيري في الرسالة (2/ 623)، واليافعي في نشر المحاسن (ص60، 61).

(3) ذكره الغزالي في الإحياء (2/ 302)، والطوسي في اللمع (ص358)، والقشيري في الرسالة (2/ 651)، والسهروردي في عوارف المعارف (ص119)، والهجويري في كشف المحجوب (ص169، 170)، =

وقال أبو عمرو الزجاجي رحمه الله: دخلت على الجنيد وكنت أريد الخروج إلى الحج فأعطاني درهمًا صحيحًا فشددته في مئزري، فلم أدخل منزلاً إلا وجدت رفقًا ولم أحتج على الدرهم، فلما حججت وعدت إلى بغداد دخلت عليه، فمد يده إليّ، وقال: هات، فناولته الدرهم، فقال: كيف كان؟ فقلت: كان الختم نافذًا[1].

وقال الجنيد: جئت يومًا إلى مشهد شونيزية فرأيت جماعة من الفقراء يتكلمون في الآيات، فقال واحد منهم: أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهبًا نصفك وفضة نصفك كانت.

وقال: فنظرت إلى الأسطوانة فإذا نصفها ذهبًا ونصفها فضة.

وقال: كان معي أربعة دراهم فدخلت على السّري، وقلت له: أربعة دراهم جعلتها لك، فقال لي: أبشر يا غلام إنك تفلح، كنت أحتاج إلى أربعة دراهم، فقلت: اللهم ابعثها على يدي من يفلح عندك[2].

وقال أيضًا: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف عليّ ملك، فقال: أقرب ما يقترب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميزان وفيّ، فولى الملك عني وهو يقول: كلام موفق والله[3].

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب: أنت تتكلم على كلام كل أحد، وهاهنا رجل يقال له: الجنيد فانظر هل تعترض عليه أم لا؟ فحضر حلقته وسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه، وتحير عبد الله، وقال: أعد عليّ ما قلت، فأعاد ولكن لا بتلك العبارة، فقال: عبد الله: هذا شيء آخر لم أحفظه، تعيده عليّ مرة أخرى، فأعاد بعبارة أخرى، فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقول، أمله عليّ فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه، فقام عبد الله مقرًا بفضله، واعترف بعلو شأنه.

وقال الجنيد قدس الله روحه: لو علمت أن لله علمًا تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا، لسعيت إليه وقصدته[4].

واليافعي في نشر المحاسن (ص330)، وروض الرياحين (ص180).

(1) ذكره القشيري في الرسالة (2/ 688).

(2) أورده القشيري في الرسالة (2/ 700)، وأبو نعيم في الحلية (10/ 270).

(3) ذكره القشيري في الرسالة (2/ 726)، والغزالي في الإحياء (4/ 508).

(4) انظره في: اللمع (ص 239)، والرسالة القشيرية (2/ 734)، تاريخ بغداد (7/ 243)، روض الرياحين

وقيل: لما حضرته الوفاة أوصى بدفن جميع ما هو منسوب إليه من علمه فقيل له ولِمَ ذلك؟ فقال: أحببت أن لا يراني الله وقد تركت شيئًا منسوبًا إليّ وعلم الرسول ﷺ بين ظهرانيهم.

وقال: اشتد البلاء برجل من الصالحين حتى جُرّ برجله إلى مزبلة، فرفع طرفه إلى السماء وقال أنا بعينك وقد ترى فافعل ما شئت وحسبي ما تشاء ثم قال:

إذا المُهَامُ شَكَا شجوةً فقد زالَ عن سَنَنِ المُستهامِ

وابن الكلوم التي في الحشا وأين تبرّمُه للكلام

وقال: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة وأردت أن أنام فلم أقدر، فأردت القعود فلم أطق، ففتحت الباب وخرجت، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم إليّ الساعة، فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بل سألت محرك القلوب أن يحرك قلبك، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها، فقلت إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، فأقبل على نفسه، وقال: اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد فقد سَمِعْتِهِ. وانصرف عني ولم أعرفه ولا وقفت عليه.

وقال أيضًا: كنت جالسًا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيرًا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به، فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء من الوِرد بالليل من الصلاة والقراءة والبكاء، فثقلت علي جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيناي، فرأيت ذلك الفقير وقد جاءوا به ممدودًا علي خوان، وقالوا لي: كُل لحمه فقد اغتبته فكشف لي عن الحال، فقلت: ما اغتبته، وإنما قلت: شيئًا في نفسي فقيل لي: ما أنت ممن يُرضى منك مثل هذا، اذهب إليه واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد في طلبه حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء أوراقًا مما تساقط من غسيل البقل، فسلمت عليه، فقال: تعود يا أبا القاسم؟ فقلت: لا، قال: غفر الله لنا ولك.

وقال: كنت في بدء إرادتي أرى في منامي بالليل ما يجري عليّ في يقظتي ونهاري

(ص 20)، ونشر المحاسن (ص71).

فأتصفح ذلك حالاً بعد حال فأكون مرهبًا لما قد رأيته، وكنت أحب أن أرى الأبدال وسألت الله تعالى أن يرني الأبدال، فرأيت ليلة كأني جالس على باب دارنا إذ مر ثلاثة نفر عليهم ثياب خلقان، وزي رثّ دَنس، وعليهم ظاهر بلوى، فوقع في قلبي أنهم الأبدال، فقمت واتبعتهم حتى جاءوا إلى المسجد فدخلوه ودخلت خلفهم، فلما رأوني انتفضوا، فإذا زيهم أحسن زي، وأبدانهم كأحسن الأبدان، وخلقهم كأحسن الخلق، فقلت ما هذا؟ فقالوا: هذا خلقنا وزينا وحالنا، فقلت لهم: فما بال الحال الأول؟ فقالوا لي: ذلك شيء تسترنا به عن الخلق، ثم قالوا لي: يجزيك؟ قلت: نعم، ثم انتفضوا فعادوا إلى صورهم التي كانت أولاً فخرجوا من المسجد يمشون حتى جاءوا إلى دكان بقال فيها قصب وحطب، فتناول أحدهم من القصب قصبة، فصارت في يده حطبًا، وتناول الآخر من الحطب فصار قصبًا، ثم قال لي: يجزيك؟ فقلت: أجزأني، ثم مضوا وانتبهت فلما أصبحت جلست على بابنا أنتظر ما رأيت في ليلتي، فإذا الثلاثة بأعيانهم دخلوا المسجد فدخلت خلفهم، فكان منهم مثل ما رأيت ثم خرجوا من المسجد واتبعتهم، حتى جاءوا إلى دكان بقال، وكان مثل ما رأيت أيضًا، فلما أرادوا أن يفارقوني قلت لهم: من ببغداد من الأبدال؟ قالوا: فلان وفلان لقوم أعرفهم، قال الجنيد: فكأني رأيت أزريت على واحد منهم بقلبي، فقلت لهم: وفلان من الأبدال! قالوا: نعم هو من أهل الأنس بالله، فما زال الجنيد يقول: هم ثلاثة، فيُسأل عنهم فلا يخبر ولكن يقول قد مات منهم وبقي منهم، ومازال يقول: بقي واحد إلى أن مات، فكنا نرى أن الذي أخبر أنه من أهل الأنس بالله أحمد بن مسروق والذي أزرى به عنا به نفسه.

وقال عبد الرحمن بن إسماعيل: كنت ببغداد ووافى لي الحاج من خراسان، فلقيني بعض أصحابنا الذين عاشرناهم ممن له فضل وأفضال على هذه الطائفة، فسألني أن أعرفه جماعة ليصلهم بشيء قد حمله معه برسمهم، فقلت له: ابدأ بأبي القاسم الجنيد، فحمل إليه دراهم كثيرة وثيابًا كثيرة، فلما رآه الجنيد أعجبه أدبه في رفقته، فقال له: اجعل بعضه للفقراء أذكرهم لك، فقال له الخراساني: أنا أعرف الفقراء أيها الشيخ، فقال الجنيد: أنا آمل أن أعيش حتى آكل هذا؟ قال: إني لم أقل لك أنفقه في الخل والبقل والكامخ والجبن والملح، إنما أريد أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوات، وكلما كان أسرع فهو أحب علي فتبسم الجنيد، وقال له: مثلك لا يحل أن يرد عليه فقبل ذلك منه فقال الخراساني: ما أعلم ببغداد أعظم منة علي منك، فقال الجنيد: ولا يبقى لأحد أن يرتفق إلا ممن كان مثلك.

وقال عبد الوهاب: كنت جالسًا عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء إنسان بخمس مائة دينار ووضعها بين يديه، وقال: فرقها على هؤلاء، فقال: ألك غير هذا المال؟ فقال: نعم دنانير كثيرة، فقال الجنيد: خذها فإنك إليها أحوج. منا ولم يقبلها، ودخل جماعة عليه فقالوا: نطلب الرزق، فقال: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه، قالوا فنسأل الله.

قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا: ندخل البيت ونتوكل، فقال: التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

وقال: كنت يومًا ألعب بين يدي خالي السَّري وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: ألا يعصى الله بنعمة، فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السَّري.

وقال أبو جعفر الفَرغاني: كنا عند الجنيد جلوسًا في المسجد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد يتشبهون بالصوفية، ويقصرون فيما يجب عليهم من حق الجلوس، ويعيّبون على من يدخل السوق، فقال الجنيد: كم ممن هو في الأسواق حكمة أن يدخل المسجد ويأخذ بإذن بعض من فيه فيخرجه إلى السوق ويجلس مكانه، ثم قال: إني لأعرف رجلاً يدخل السوق منذ أربعين يومًا ما كسب حبة واحدة وكان في سوقه ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة وسبق إليّ أنه عنى نفسه بذلك.

وقال علي بن منصور الدينوري خرجت إلى بغداد ومعي شيء من الدنيا أريد تفرقته على أصحاب الجنيد وسائر الفقراء فوافينا بغداد ونزلنا في مكان وأحرزنا ما كان معنا وقصدت جنيدًا لأسلم عليه وأقضي حقه فوجدته فباسطني بكلامه وحسن خلقه، وكنت أختلف إليه على دائم الوقت وأجالسه، فلما كان ذات ليلة رأيت في المنام كأن الخليفة قد جاءني يدعوني إلى ضيافته فانتبهت، وحدثت بما رأيت صاحبًا لي، فقال: ننظر تأويل رؤياك هذه فلما أصبحنا وصلينا الصبح ونحن جلوس إذا الباب يُدق، فقام صاحبي وفتح الباب، فإذا نحن بأبي القاسم الجنيد فقمنا إليه وسلمنا عليه وجلس عندنا ساعة وتحادثنا وتذاكرنا بالعلم، ثم دعانا إلى دعوة له في منزله، قال علي بن منصور: فتبسمت لذلك، فقال لي الجنيد: مم تبسمك؟ فقلت: رأيت البارحة في النوم كأن الخليفة قد جاء يدعوني إلى ضيافته وحدثت صاحبي هذا حين انتبهت فصلينا الغداة وجلسنا ننتظر ما يكون من تأويل الرؤيا حتى طرقت

الباب فلما دخلت وجلست ودعوتني تبسمت لذلك، فقال الجنيد:

لقد رأيت رسول الله ﷺ، وأبا بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعليًا بين يديه، فسلمت عليه وجلست بين يديه، وإذا برجلين قد دخلا وجلسا بين يديه، فادعى أحدهما على الآخر دعوى في مطالبة بحق، فالتفت إليّ النبي ﷺ، وقال: يا أبا القاسم، احكم بينهما فقد وليتك الحكم فسكتّ إعظامًا لرسول الله ﷺ واحتشامًا له ولصاحبيه فأعاد، فاحتشمت ولم أجب، فأعاد الثالثة، فاحتشمت هيبة له وإجلالاً، فقال لي في الرابعة: يا أبا القاسم احكم بينهما فقد وليتك الحكم بين الخلق فانتبهت وأنا مذعور فجئت إليكم أتسلى.

وقال أبو العباس بن مسروق مررت مع الجنيد رحمه الله في بعض دروب بغداد وإذا مغن يغني:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديدًا، ثم قال لي: يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس وأوحش مقامات المخالفة لا أزال أحن إلى حال بدايتي وجدة سعيي وركوبي الأهوال طمعًا في الوصول، وها أنا ذا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية.

وقد رؤي في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه[1].

وروى الحافظ اليغموري بإسناده إلى أبي الحسن بن المترفق.

قال: سمعت عمرو بن عُلوان وقد رأيت في يده سبحة، فقلت: يا أستاذ أنت مع عظم إشارتك تبني عبادتك وأنت مع السبحة؟ فقال لي: كذا رأيت الجنيد بن محمد وفي يده سبحة، فسألته عنها؟ فقال: كذا رأيت أستاذي الحارث بن أسد المحاسبي وفي يده سبحة، فسألته عما سألتني عنه؟ فقال: كذا رأيت بشر بن الحارث وفي يديه سبحة، فسألته عما سألتني عنه؟ فقال: كذا رأيت أستاذي عامر بن شعيب وفي يديه سبحة، فسألته عما سألتني عنه؟ فقال: كذا رأيت أستاذي الحسن بن أبي الحسن البصري، وفي يده سبحة، فسألته عن ذلك؟ فقال: يا بني هذا شيء استعملناه في البدايات، ما كنا بالذي نتركه في النهايات، أحب أن أذكر الله تعالى بقلبي ويدي ولساني.

---

(1) أورده القشيري في الرسالة (1/ 108)، والخطيب في التاريخ (7/ 245)، وابن الملقن في طبقات الأولياء (ص128)، وابن كثير في البداية والنهاية (11، 114)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (1/ 373).

ومن كلامه قدس الله روحه:

ما أخذت التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات[1].

وقال: التصوف مبني على ثمان خصال: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة، والغربة، ولبس الصوف، والسياحة، والفقر.

فالسخاء لإبراهيم عليه السلام، والرضا لإسحاق عليه السلام، والصبر لأيوب عليه السلام، والإشارة لزكريا عليه السلام والغربة ليحيى، ولبس الصوف لموسى والسياحة لعيسى عليه السلام، والفقر لمحمد صلى الله عليه وسلم[2].

وسئل عن التصوف، فقال: أن تكون مع الله بلا علاقة[3].

ومرة أخرى قال: يميتك الحق عنك ويحييك به[4].

ومرة أخرى قال: هو من عُنوة لا صلح فيها[4].

ومرة أخرى قال: هم أهل بيت لا يدخل فيهم غيرهم[5].

ومرة أخرى قال: التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع، وتحمل مع اتباع[6].

ومرة أخرى قال: التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله التعزف عن الدنيا، كما قال حارثة رضي الله عنه: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري[4].

وقال: إنما هذا الاسم يعني: التصوف نعت أقيم العبد فيه، فقيل له: نعت للعبد أم نعت للحق؟ فقال: نعت للحق حقيقة، ونعت للعبد رسمًا[7].

---

(1) أورده أبو نعيم في الحلية (10/ 277)، واليافعي في روض الرياحين (ص20)، ونشر المحاسن (ص 280)، والسلمي في طبقات الصوفية (ص158)، والخطيب في التاريخ (7/ 246)، وأبو يعلى في طبقات الحنابلة (1/ 128)، والقشيري في الرسالة (1/ 106)، وابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (2/ 266)، والشعراني في الطبقات الكبرى (1/ 84).

(2) انظر: كشف المحجوب (ص235)، والطبقات الكبرى (1/ 85).

(3) انظر: الرسالة القشيرية (2/ 552)، واللمع للطوسي (ص45)، وعوارف المعارف (ص37)، والطبقات الكبرى (1/ 85)، ونشر المحاسن (ص396).

(4) ما بين [ ] ليس في (ح)، وانظر: الرسالة (2/ 553)، والطبقات الكبرى (1/ 85)، والكواكب الدرية (1/ 575).

(5) في الرسالة القشيرية (2/ 553)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص127).

(6) انظر: الرسالة (2/ 553)، ونشر المحاسن (ص 397).

(7) أورده السلمي في طبقات الصوفية (ص158).

وقال: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح[1].

ومرة أخرى قال: الصوفي كالأرض يطؤها البار والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء.

وقال: إذا رأيت الصوفي يعبأ بظاهره، فإن باطنه خراب.

وقال: المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيرًا أوقعه مع الصوفية، ومنعه صحبة القراءة.

وقيل له: ما الفرق بين المريد والمراد؟ فقال: المريد تتولاه سياسة العلم، والمراد تتولاه رعاية الحق، لأن المريد يسير، والمراد يطير، فمتى يلحق السائر بالطائر؟.

وقال له رجل: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك حركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى، فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، بل إن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

وقال: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة[2].

وقال: الطرق إلى الله تعالى مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ[3].

وسئل عن التوحيد؟ فقال: إفراد المُوَحِّدِ بتحقق وحدانيته بكمال أحديته، أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد: بنفي الأضداد والأنداد والأشباه، بغير تشبيه ولا تكييف ولا تصوير، ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11][4].

وقال: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسُّم بنسيم المعرفة، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد، والنظر بحسن الظن بالله، ثم قال:

---

(1) في الرسالة (2/ 553)، وعوارف المعارف (ص40).

(2) انظره في: الحلية (10/ 255)، الرسالة (1/ 107)، البداية والنهاية (11/ 114)، تاريخ بغداد (7/ 243)، طبقات الشافعية الكبرى (2/ 237)، سير أعلام النبلاء (14/ 67)، طبقات الأولياء (ص 127)، نشر المحاسن (ص 364)، الشذرات (2/ 228) الكواكب (1/ 571).

(3) أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (2/ 418).

(4) انظره في: الرسالة القشيرية (2/ 583)، واللمع (ص 49).

يا لها من مجالس ما أجلها، ومن شراب ماء الله، طوبى لمن رزقه[1].

قال: من لم يصل عمله باليقين، ويقينه بالخوف، وخوفه بالعمل، وعمله بالورع، وورعه بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، فهو من الهالكين[2].

وقال: اليقين ألا تهتم برزقكَ وقد كفيته، وتقبل على عملك الذي قدرته، فإن اليقين يسوق إليك الرزق سوقًا[3].

وقال: ما من أحد طلب أمرًا بصدق وَجِد إلا أدركه، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض[1].

وقال: ولو عَلِمَ منك التحقيق لوسّعَ عليك الطريق، ولو أشرت إليه في أول المصائب لأُبرِزَتْ إليك لطائفُ العجائب.

وقال: الخوف إخراج الحرام من الجوف، وترك العمل بعسى وسوف.

وهذا القدر كافٍ، والله تعالى أعلم.

◆ ◆ ◆

الشيخ السري السقطي[4]

هو أبي الحسن سري بن المغلس أبو الحسن السقطي.

أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد.

وهو خال الجنيد وأستاذه، صحب معروفًا الكرخي، وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد وهو أول من تكلم فيها ببغداد، إليه ينتمي أكثر المشايخ.

وحكي عن عبد الله بن الفضل أنه قال: حضرت السري السقطي وهو يجود بنفسه فلحظني بعينه فرآني أبكي، فقال لي: ما لك تبكي؟ فقلت: لما أرى بك؟ فقال: لا تبك لأني قد حسبت حسابي مع الله ﷻ كنت أطلبه عشرين سنة حتى وجدته، فلما وجدته استخدمني

---

(1) انظره في: الرسالة (1/ 43)، والإحياء (4/ 425)، والكواكب الدرية (1/ 577).

(2) ذكره المناوي في الكواكب (1/ 581).

(3) ذكره المناوي في الكواكب (1/ 581).

(4) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (10/ 116، 126) الرسالة القشيرية (ص112)، وفيات الأعيان (1/ 251)، وصفة الصفوة (2/ 209، 218)، وتاريخ بغداد (9/ 187، 192) والبداية والنهاية (11/ 13)، ومرآة الجنان (2/ 158)، وشذرات الذهب (2/ 127)، وطبقات الشعراني الكبرى (1/ 86)، والوافي في الوفيات للصفدي (18/ 2129).

عشر سنين، ثم أبكاني فبكيت عشر سنين، ثم شوقني فاشتقت إليه عشر سنين، ثم أفناني ففنيت عشر سنين، وأنا الآن أؤمل أن أراه فأبقى له وبه ومعه، فينبغي يا أبا محمد تهنيني.

وحُكي أنه لما توفي رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟، فقال:

غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي، قال الرائي: فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال فأخرج درجًا درجًا ونظر فيه فلم ير فيه اسمي، فقلت: بلى قد حضرت فنظر، فإذا اسمي في الحاشية.

وسبب زهده: أنه كان يجول في السوق ويتردد إلى معروف الكرخي.

قال: فجاءه معروف يومًا وهو في حانوته ومعه صبي يتيم، فقال: اكسُ هذا اليتيم، قال السري: فكسوته ففرح معروف بذلك، وقال: بَغَّضَ الله إليكَ الدنيا وأراحك مما أنت فيه، فقمت من الحانوت وليس شيئاً أبغض إلي من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف.

قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري: أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رُؤي مضطجعًا إلا في علة الموت.

وكان أيضًا يقول لنا السري ونحن حوله: أنا لكم عبرة يا معشر الشباب، اعملوا فإنما العمل في الشبيبة، وكان إذا جنَّ عليه الليل دافع أوله، ثم دافع، فإذا غلبه النوم أخذ في النحيب والبكاء.

وقال الجنيد أيضًا: سألني السري يومًا عن المحبة؟ فقلت له: قال قوم هي الموافقة وقال قوم: هي الإيثار، وقال قوم كذا، فأخذ السري جلدة ذراعه ومده فلم تمتد، ثم قال: وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشي عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السري به أدمة.

وقال الجنيد أيضًا: سمعت السري يقول في بعض دعائه: اللهُمَّ ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

وقال السريُّ: أنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة من قولي مرة: الحمد لله، قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع الحريق ببغداد فاستقبلني وقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله فأنا من ذلك الأوان نادم على قولي حيث أردت لنفسي خيرًا دون المسلمين.

وقال الجنيد: دخلت يومًا على السريِّ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبت هذه ليلة حارة فأعلق الكوز لعله يبرد فتفطر عليه، ثم حملتني

عيناي، فنمت فرأيت في المنام جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وتناولت الكوز فضربت به الأرض، قال الجنيد: فرأيت الخزف المكسور لم يمسه ولم يرفعه حتى عفي عليه التراب.

وقال أيضًا: جاء رجلٌ إلى السري، فقال له: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

مـن لم يبت والحبُّ حَشْوُ فؤادِهِ لم يـدرك كـيف تفتت الأكـباد

وقال عليُّ بن الحسين: بعثني أبي إلى السري بشيء من حَبِّ السعال؛ لسعال كان به، فقال لي: كم ثمنه؟ فقلت: لم يخبرني بشيء!

قال: اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نُعلِّمُ الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم فترانا نأكل اليوم بديننا؟ ولم يأخذه.

قال السري: صليت وردي ليلة من الليالي، ثم مددت رجلي في المحراب، فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك.

قال: فضممت رجلي، ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبدًا.

وروي أن السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت يومًا، فقال لها: لم أبطأت؟ قالت: لأن غزلي ما اشتُري، وذكروا أنه مخلط، فامتنع من أكل طعامها، فدخلت عليه أخته يومًا فرأت عجوزًا تكنس بيته، وقد حملت له رغيفين فخرجت شكته إلى أحمد بن حنبل ﷺ، فقال أحمد: ذلك للسري، فقال: لما امتنعت من طعام أختي قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني.

وقال: اعتللت بـ«طرسوس» علة الدرب فدخل علي فقراء القراء يعودوني وجلسوا فأطالوا فأذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله! فمددت يدي وقلت:

اللهُمَّ علِّمنا كيف نعود المرضى.

وقال الجنيد: سمعت السري يقول: خفيت علي علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر على الجمعة ولنا أماكن معروفة بنا لا نكاد نخلوا عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأصبحت قد تخلفت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة، فلما قربت من الجامع قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أصبحت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري، فتركت ذلك المكان الذي كنت أصلي فيه وجعلت أصلي من أماكن مختلفة، لئلا يعرف مكاني، وقضيت صلاة الجمعة ثلاثين

سنة.

وقال أيضًا: دخلت يومًا على السري فرأيته متغيرًا فقلت: مالَكَ؟ فقال: دخل علي شاب فسألني عن التوبة؟ فقلت له: أن لا تنسى ذنبك، فعارضني، وقال: لا بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقلت: إن الأمر عندي على ما قاله الشاب، فقال لِمَ؟ فقلت: لأني إذا كنت في حال الجفا ثم نقلني إلى حال الوفا، فذكر الجفا في وقت الوفا خفا.

قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله كلامًا معناه أن كلام السري رحمه الله أتم من كلاميهما، لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة يلزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتي النهايات من البدايات، والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، كذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهاياتهم، فكلامهما يخص حالهما وكلام السري مَهيعٌ موروودٌ للسالكين، والله أعلم.

وقال السري: كنت أطلب رجلاً صدّيقًا مدة من الزمان، فمررت ببعض الجبال فإذا بجماعة زمنى وعميان ومرضى، فسألت عن حالهم؟ فقالوا: هنا رجل صدّيق يخرج في كل سنة مرة واحدة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء، فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له: بي علة باطنة فما دواؤها؟ فقال: خِلّ يا سري عني فإنه غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه.

قال علاّن الخياط: كنت يومًا جالسًا مع السري السقطي فوافته امرأة فقالت له: يا أبا الحسن أنا في جوارك، وقد أخذ ابني الطائفُ البارحة، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه.

قال عِلاّن: فتوقعت أن يبعث إليه! فقام وكبّر وطول في صلاته.

فقالت المرأة: يا أبا الحسن الله الله فيّ هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان. فسلم وقال لها: أنا في حاجتك.

قال علان: ورأيت منه أعجب من هذا، وذاك أنه اشترى مرة كُرّ لوز بستين دينارًا، وكتب ثلاثة دنانير ربحة، فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وقال له: إن ذلك اللوز أريده، فقال: خذه، قال: بكم؟ فقال: بثلاثة وستين دينارًا. فقال له الدلال: إنه قد صار الكُرّ بتسعين دينارًا، فلا الدلاّل اشترى منه ولا سري باعه منه.

قال علان: فكيف لا يُستجاب من هذا فعله؟.

وقال الحسن بن محمد: كنت يومًا عند السري أعوده من علة اعتلها، فقلت له: كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي

قال الحسن بن محمد: فأخذتُ المروحةَ أروِّحُه بها فقال لي: كيف يجدُ ريح المروحةَ من جوفُه يحترقُ من داخلِه، ثم قال:

القلبُ محترقٌ والدمعُ مستبقٌ والكربُ مجتمعٌ والصبرُ مفترقُ
كيفَ القرارُ على مَنْ لا قرارَ له مما جَنَاه الهوى والشوقُ والقلقُ
يا ربُّ إنْ يكُ شيءٌ فيه لي فرجٌ فامننْ عليَّ به ما دامَ بي رَمَقُ

قال السري: صحبت رجلاً من سَر يعرف بالواله، مدة سنة، فلم أسأله عن مسألة، ثم قلت له يومًا: إيش المعرفة التي ليس فوقها معرفة؟ فقال: إن تجد الله أقرب إليك من كل شيء وأن تمحي من سرائرك وظواهرك كل شيء غيره، فقلت له: بأي شيء يُوصَلُ إلى هذا؟ فقال: بزهدك فيك وبرغبتك فيه.

قال سري: فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر.

وقال إن إبليس قال: زينت لأمة محمد ﷺ الذنوب فقطعوا ظهري بالاستغفار، فغويتهم بالأهواء فإنها ذنوب يقاتلون عليها ولا يستغفرون منها.

وكان للسري تلميذةٌ: وكان لها ولد عند المعلم في الكتّاب، فبعث به المعلم إلى الرحا فنزل الفتى إلى الماء فغرق، فجاء المعلم إلى سري فأخبره بذلك.

قال سري: قوموا بنا فذهبوا إلى أمه فجلسوا عندها، وتكلم عليها سري في علم الصبر.

ثم في علم الرضا قالت له: يا أستاذ وإيش تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق، فقالت: ابني؟.

قال لها: نعم، قالت إن ربي ما فعل هذا، ثم عاد سري في كلامه في الصبر والرضا مثل ذلك. فقالت: قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر، فقالت: أين غرق؟ قالوا: هاهنا فصاحت: ابني محمدا فأجابها: لبيك يا أماه، فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها، فالتفت سري إلى الجنيد، وقال: إيش هذا؟ فقال: جنيد: أقول؟ فقال: قل.

قال: إن المرأة مراعية لما لله عليها، وحكم من كان مراعيًا لما لله عليه أن لا تحدث حادثة

حتى يعلمه بذلك، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك، فقالت: إن ربي ما فعل هذا أو كلامًا هذا معناه.

وقال ابن أبي الورد: كان سري يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس، فاعتل فعدته عيادة السنّة يعني بين كل ثلاثة أيام، فنظرت في وجهه، فرأيت على لسانه شيئًا، فَهَمَلَتْ عيناي وسقط من دموعي على وجهه، ففتح عينيه ونظر إلي، فقلت له: رحمك الله أوصِ بشيء أحفظه عنك! فقال: احذر ثم احذر أن تعرف الأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار، وكان ذلك آخر كلامه.

وقال بعضهم: دخلت على السري، فرأيته يكنس بيته بخرقة ويتمثل بهذين البيتين:

وما رمتُ الدخول عليه حتّى حللتُ محلّةَ العبدِ الذليلْ

وأغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيلْ

وحكى أبو القاسم الجنيد قال: بت ليلة عند السري ﷺ، فلما كان بعض الليل، قال لي: يا جنيد أنت نائم؟ قلت: لا، فقال: الساعة أوقفني الحق ﷻ بين يديه، وقال لي: يا سري خلقت الخلق كلهم، فادّعوا محبتي، فخلقت الدنيا فاشتغل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عني بالدنيا، وبقي ألف فخلقت الجنة، فاشتغل بالجنة عني من الألف تسعمائة، وبقي مائة فسلطت عليهم شيئًا من البلاء، فاشتغل عني من المائة تسعون بالبلاء وبقي عشرة، فقلت لهم: لا الدنيا أردتم ولا الآخرة رغبتم ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد، فقال: إني أنزل عليكم من البلاء مالا تطيقون ولا تحمله الجبال الرواسي فتثبتون لذلك، فقالوا: أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا، بك نحمل وفيك نحمل مالا تطيقه الجبال، فقال لهم: أنتم عبيدي حقًا رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وقال ابن مسروق: سمعت سريًا يقول: بينما نحن نسير في بلاد الشام إذ ملنا عن الطريق إلى ناحية جبل عليه عابد فجئنا إليه فوجدناه يبكي، قال سري: فقلت له: ما أبكى العابد؟ فقال: ومالي لا أبكي وقد توعرت الطرق، وقل السالكون فيها، وهجرت الأعمالي، وقل الراغبون فيها ورفض الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، وقد افترش الرخص وتمهد التأويل واعتل بذلك العاصون، ثم صاح صيحة، وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السماوات؟ ثم ولى صارخًا وهو يقول:

واغمَّاه من فتنة العلماء، واكرباه من حيرة الأدلاء، وجال جولة ثم قال: أين الأبرار من العباد، بل أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى، وقال: شغلهم والله طول الوقوف، وهمّ الجواب عن ذكر الجنة والنار وذكر الثواب، ثم قال: أنا أستغفر الله من شهوة الكلام. تَنَحَّوا عني، فخليناه وهو يبكي وقد ملئنا منه همًا وغمًا.

وقال الجنيد: سمعت سريًا يقول: بدوت يومًا من الأيام وأنا حدث فطاب وقتي وجن علي الليل وأنا بفناء جبل لا أنيس به فناداني في جوف الليل مناد: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب.

قال: فتعجبت، وقلت: أجنّي يناديني أو إنسي؟ فقال: بل جني مؤمن بالله ومعي إخواني، قلت: فهل عندهم ما عندك؟ قال: نعم وزيادة.

قال: فناداني الثاني منهم: لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة.

قال: فقلت في نفسي: ما أبلغ كلامَهُم، فناداني الثالث منهم: من أنس به في الظلام نشر له غدًا الأعلام.

قال: فصعقت، فما أفقت إلا برائحة الطيب، فإذا أترجة على صدري فشممتها، فأفقت فقلت: وصيةً رحمكم الله! فقالوا جميعًا: أبى الله إلا أن تحيا به قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع ، ومن اتبع طبيبًا مريضًا دامت علته، ومن اتبع الدليل الحائر رجع وهو كليل، وفقنا الله وإياك.

وودّعوني ومضوا وقد أتى علي حين فلا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري.

قال الجنيد: دخلت يومًا على السري، فقال لي: ما أوائل أحوال الصديقين؟ قلت: لا أدري فقال: ثلاثة من أحوال الصديقين: أن يكونوا بما في أيديهم وإخوانهم سواء، ويطالبون نفوسهم بما لله عليهم، وإذا عرض أمران لله فيهما رضا حملوا أنفسهم على أصعبهما وأشدهما، وإن كان فيه تلف نفوسهم.

وقال أبو إسحاق الحُبلي: دخلت على علي بن عبد الحميد الغضائري -رحمه الله- فوجدته من أفضل خلق الله تعالى، وكان لا يتفرغ من الصلاة آناء الليل والنهار فانتظرت فراغه، وقلت: إنا تركنا الآباء والأمهات والأهل والوطن بالرحلة إليك، فقد تفرغتَ ساعة فتحدثّنا بما عندك عما آتاك الله تعالى من العلم، فقال: أدركني دعاء الشيخ الصالح سري السقطي، وذلك أني جئت إليه يومًا فقرعت بابه، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا فسمعته يقول قبل

أن يخرج إلي: اللهُمَّ من جاءني يشغلني عنك فاشغله بك عني، فما رجعت من عنده حتى جئت على الصلاة والاشتغال بذكر الله تعالى حتى لا أتفرغ إلى شيء سواه ببركة ذلك الشيخ.

وقال قدس الله روحه: اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر، واستجلب نور القلب بدوام الخوف، والتمس وجود الفكر في مواطن الخوف، وألح في المسألة عند وجل القلوب، وإياك والتسويف، ونافس الأبرار في إقامة الفرض، ونافس المقربين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال، واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب وجمع الهمم، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، وأكثر الحسنات الحديثات للسيئات القديمات، واستبق الحسنات بقلة التبعات، وسارع في الخيرات، واحذر ما يوجب عليك العقوبات.

وقال: التصوف اسم لثلاث معان:

- وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.
- ولا يتكلم في علمٍ باطن ينقضه عليه ظاهر الكتاب.
- ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

وقال: أعرف طريقًا مختصرًا قصدًا على الجنة.

فقيل له: ما هو؟ قال: لا تنال من أحد شيئًا ولا تأخذ من أحد شيئًا، ولا يكون معك شيء تعطي أحدًا.

وقال: التوكل: الانخلاع من الحول والقوة، وأربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة لهم، وأربع خصال يرفع الله بها: العلم والأدب والدين والأمانة.

وقال: من لم يعرف قدر النعم سُلبَها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها، وقليل في سُنة خير من كثير في بدعة، وكيف يقل عمل مع تقوى.

وقال: الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فقف عنده وَكِلْهُ إلى الله وليكنِ الله دليلكَ، واجعل فقرَك إليه تستغني به عمن سواه.

وقال: لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، فيبين على الوجه ما يضمر القلب. والقلوب ثلاثة:

- قلب مثل الجبل لا يزيله شيء.
- وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها.

- وقلب كالريشة تميل مع الريح يمينًا وشمالاً.

وقال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها، فيقال يا أمة موسى، ويا أمة عيسى، ويا أمة محمد ﷺ، غير المحبين لله فإنهم ينادون: يا أولياء الله هلموا إلى الله، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحًا.

وقال: خير الرزق ما سلم من الآثام في الاكتساب والمذلة والخضوع في السؤال والغش في الصناعة، وإتيان ألد المعاصي، ومعاملة الظلمة.

وقال: وأحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين من القلوب، وألا يكون لما تهوى ركون.

وقال: خمسة أشياء لا يسكن معها في القلب غيرها:

الخوف من الله وحده، وإذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثم كتب الحديث فتر، وإذا ابتدأ بكتبه الحديث ثم تنسك نفذ، وأجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

وقال: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار عليها كلما خلق الله من الأطيار يخاطبه كل طير منها بلغة، وقال له: السلام عليك يا ولي الله، ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان في يدي نفسه أسيرًا.

توفي ببغداد في سنة إحدى وخمسين، وقيل: سبع وخمسين ومائتين، وقبره بالشونيزية ظاهر يزار.

◆ ◆ ◆

أبو تراب النخشبي[1]

أبو تراب النخشبي بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر، عربت فقيل لها (نسف)، واسمه عسكر بن حصين، ولم يشتهر إلا بكنيته حتى كاد لا يعرف إلا بها، وكان شيخ عصره بالاتفاق جامعًا بين العلم والدين والزهد والتصوف بلا شقاق، متقشفًا متوكلاً، متخشعًا متبتلاً قد أضاء في سماء المعالي بدره، واشتهر في الآفاق حسنه وذكره وخدمه أكابر الصوفية وتطفلوا عليه لهمته السرية، وخضع المريدون له ودانوا، وتطامنوا لرفعته واستكانوا له الرياضيات المذكورة السياحات المشهورة، صحب حاتمًا الأصم والخواص والطبقة.

(1) حلية الأولياء (10/ 45)، طبقات الشعراني (1/ 83)، الشذرات (2/ 108).

وكتب الحديث الكثير وتفقه على مذهب الشافعي.

وأخذ عنه: أحمد بن حنبل وابن الجلاء وآخرون من الأجلاء.

قال ابن الجلاء: لقيت ست مائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة أولهم: أبو تراب.

ووقف خمسًا وخمسين وقفة بعرفة، ومرّ به أحد الأمراء وهو يحلق رأسه فأعطاه ألف دينار فقال له: أدفعها للمزين، فردها المزين، فردها أبو تراب.

وكان إذا وجد من أتباعه فترة جدد توبة.

وقال: بشؤمي وقعوا فيما وقعوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وقال: لقيت غلامًا في التيه يمشي بلا زاد فقلت في نفسي إن لم يكن معه يقين هلك، فقلت: يا غلام، في مثل هذا الموضع بلا زاد؟! قال: يا شيخ، ارفع رأسك، هل ترى غير الله؟! قلت: الآن اذهب حيث شئت.

ومن فوائده العلية المقدار: إن الله تعالى ينطق العلماء في كل وقت بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمن.

وقال: إذا تواترت على أحدكم النعم فليبك على نفسه، فإنه قد سلك به غير منهج الصلحاء، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

وقال: العارف الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء.

وقال: الناس يحبون ثلاثة وليست لهم: النفس، والروح، وهما لله والمال وهو للورثة، ويطلبون اثنين ولا يجدونهما: الفرح والراحة هما في الجنة.

وقال: لا بدّ للأستاذ من أربعة أشياء تميز فعل الله من فعل الخلق، ومعرفة مقامات العمال، ومعرفة الطبائع والنفوس، وتمييز الخلاف من الاختلاف.

وقال: لا أعلم شيئًا أضر بالمريدين من أسفارهم على متابعة نفوسهم، وما فسد من فسد من المريدين إلا بالأسفار الباطلة، ونظر إلى صوفي مد يده إلى قشور البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام، فقال: تمد يدك إلى هذا ؟! لا يصلح لك التصوف، الزم السوق.

وقال: عرض عليّ طعام فامتنعت فبليت بالجوع أربعة عشر يومًا فعلمت أنه عقوبة.

وقال: إذا ألفت القلوب الإعراض عن الله صحبتها الوقيعة في الأولياء.

وقال: مثل الدنيا مثل ظلك إن طلبته تباعد وإن تركته يتابع.

وقال: حقيقة الغنى: أن تستغني عمّن هو مثلك، وحقيقة الفقر: أن تفتقر إلى من هو مثلك، وإذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته قبل مباشرته.

وقال: الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.

وقال: من شغل مشغولاً بالله أدركه المقت للوقت.

وقال: شرط التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطي شكر، وإن منع صبر.

وقال: صحبت مائة شيخ ما نفعني شيء مثل سد رأس الجراب.

يعني: القنع والتقلل من الدنيا.

وكان يكثر ذكر أبي يزيد البسطامي ويقول لتلميذ حظي عنده: لو رأيته، فقال: قد أكثرت من ذكر أبي يزيد البسطامي من يتجلى له الحق كل يوم مرات ما يصنع بأبي يزيد؟ فقال: لو رأيته لرأيت مرائي عظيمًا، فلم يزل يشوقه حتى ارتحل إليه فقيل له: إنه في الغيضة مع السباع، وكان يأوي إليها فقعد على طريقه فعند ما وقع بصر الفتى عليه خر ميتًا فعجب أبو تراب من ثبوته لتجلي الحق دون رؤية أبي يزيد فقال أبو يزيد: كان الحق يتجلى له كل يوم على حسب ما عنده فلما رآني تجلى له الحق على قدري فلم يطق فلا عجب.

قال ابن المنير: واصطلاح أهل الطريق معروف في التجلي، وحاصله رتبة من المعرفة جلية وحالة بين اليقظة والنوم سوية، والإيمان يزيد وينقص ولا تظنهم يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى على خصوصيته ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف:143] والتي قيل فيها على العموم:﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:103] فإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل الناس منه على اليأس في الدنيا ووعد به الخواص في الآخرة، فلا ضير عليك ولا طريق لسوء الظن إليك والله يتولى السرائر.

قال السبكي: وكلامه -أعني ابن المنير- في تفسير التجلي يقرب من قول شيخه ابن عبد السلام في قواعد التجلي والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان، واعلم أن القوم لايقتصرون في تفسير التجلي على العلم، ولا يعنون به إياه، ثم لا يفصحون بما يعنون، بل يلوحون تلويحًا، ثم يصرحون بالبراءة مما يوجب سوء الظن تصريحًا، ولم يفصح القشيري في رسالته بتفسيره، ولعله خاف على فهم من ليس من أهل الطريق، وحاصل ما قاله

متأخروهم: إن التجلي ضربان:

ضرب للعوام: وهو أن يكشف صورة كما جاء جبريل في صورة دحية، وكما جاء في حديث: «رأيت ربي في صورة شاب»[1] قالوا: وهذا تجلي الصفة، ويضربون له مثلاً المرآة، فأنت تنظر وجهك فيها وليست محلاً لوجهك، ولا وجهك حال فيها وإنما هناك مثال تعالى الله أن يكون له مثال، وحديث «في صورة شاب أمرد» موضوع.

وضرب للخواص: وهو تجلي الذات نفسها ويذكرون هناك لتقريب الفهم الشمس فإنك ترى ضوء النهار فتحكم بوجودها وحضورها برؤية الضوء، وهذا تقريب؛ فنور الباري لو سطع لأحرق الوجود بأسره.

وقال: وقد سألت العارف الأردبيلي عن الذي يراه العارف في الدنيا أهو الذي وعده الله في الآخرة؟ قال: نعم، قلت: فبما تتميز رؤية الله يوم القيامة؟ قال: بالبصر والرؤية في الدنيا إنما هي البصيرة لا بالبصر، ثم ضرب مثل المرآة؛ فقلت: هذا نوع من الحلول وهو كفر، قال: لا فإن الحلول معناه أن الذات تحل في ذات أخرى والمرآة لا يحل فيها إلا صورة؛ قلت: فالمشاهدة غير التجلي، قال: المشاهدة دوام تجلي الذات، والتجلي يكون معه مشاهدة، وهو ما إذا دام، وقد لا. انتهى.

وأقول: إذا تبرأ القوم من تفسير التجلي بما لا يمكن ولا يجوز وصف الرب به فلا لوم عليهم ولا اعتراض.

ومن كراماته:

أنه لما حج قال له أحد أصحابه: أنا عطشان، فضرب بيده الأرض وناوله قدحًا من الزجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وأسقاهم، وما زال القدح معهم لمكة.

ومنها: أنه حج مرة أخرى فأصاب أصحابه جوع فعدل عن الطريق وأخرج لهم موزًا وعنبًا وقثاء وكان معه محمد البناء، فقال له كل، قال: الذي أعتقده ترك المعلومات وصرت أنت معلومي، فلا أصحبك، فقال: كن مع ما وقع لك.

مات أبو تراب سنة خمس وأربعين ومائتين بالبادية، قيل: نهشته السباع وقيل: بل وجد بها قائمًا ميتًا لا يمسكه شيء، فأراد بعض صحبه حمله ليواريه فما أمكنه، وسمع هاتفًا يقول:

---

(1) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (11/ 214)، وذكره المصنف في فيض القدير (4/ 6)، وأورده المتقي في كنز العمال (1/ 228).

دع ولي الله مع الله بلا تكلف.

الشيخ أبو حفص الحدّاد النيسابوري[1]

أبو حفص النيسابوري، اسمه عمرو بن سلم، ويقال: عمرو بن سلمة وهو الأصح إن شاء الله، وقيل اسمه: عمر.

كان أحد المتحققين له الفتوة الكاملة والمروءة الشاملة، تخرّج به عامة الأعلام النيسابوريون، منهم:

أبو عثمان النيسابوري، وشاه الكرماني، صحب عبيد الله الأباوردي، وكان من رفقاء أحمد بن خضرويه المروزي.

من كلامه:

قال أبو حفص: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

وقال محمش الجلاب: صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط، وما كان يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله، حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره.

وقال مرة وقد ذكر الله تعالى وتغير عليه حاله فلما رجع قال: ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين، فما أظن أن مُحِقًّا يذكر الله عن غير غفلة، ثم يبقى بعد ذلك حيًا، إلا الأنبياء فإنهم أيدوا بقوة النبوة، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم.

وكان أبو حفص يقول: من إهانة الدنيا أني لا أبخل بها على أحد، ولا أبخل بها على نفسي، لاحتقارها، واحتقار نفسي عندي.

وقال محمد بن بحر، أخو زكريا: كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال، فقال لي يومًا أبو حفص: إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحدٌ أن يُغنيك، فذهب خوف الفقر من قلبي رأسًا.

قال أبو حفص: الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه، فإذا ورد عليه واردٌ يشغله عن حكم وقته، يستوحش منه وينفيه.

---

(1) انظر في ترجمته: طبقات الصوفية (15)، (ص115)، وحلية الأولياء (10/ 229)، وصفوة الصفوة (4/ 98)، والطبقات الشعرانية الكبرى (1/ 96)، ومرآة الجنان (2/ 179)، وشذرات الذهب (2/ 150).

وقال أبو حفص: ما أعز الفقر إلى الله وأذل الفقر إلى الأشكال، وما أحسن الاستغناء بالله وأقبح الاستغناء باللئام.

وكان أبو حفص إذا غضب تكلم في حسن الخلق حتى يسكن غضبه، ثم يرجع إلى حديثه.

وقال عبد الرحمن بن الحسين الصوفي: بلغني أن مشايخ بغداد اجتمعوا عند أبي حفص وسألوه عن الفتوة؟ فقال: تكلموا أنتم، فإن لكم العبارة واللسان، فقال الجنيد: الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة. فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف.

فقال الجنيد: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته.

وقال عبد الرحمن: بلغني أنه لما أراد أبو حفص الخروج من بغداد، شيَّعه من بها من المشايخ والفتيان، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم: دلنا على الفتوة ما هي؟ فقال: الفتوة تؤخذ استعمالاً ومعاملة لا نطقًا، فتعجبوا من كلامه.

وسئل أبو حفص هل للفتى من علامة؟ قال: نعم من يرى الفتيان ولا يستحي منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى.

قال أبو حفص: ما دخل قلبي حق ولا باطل، منذ عرفت الله.

وقال: تركت العمل فرجعت إليه، ثم تركني العمل، فلم أرجع إليه.

وقال: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.

وقال رجل لأبي حفص: إن فلانًا من أصحابك أبدًا يدور حول السماع، فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه، فقال أبو حفص: إيش يعمل الغريق يتعلق بكل شيء، يظن نجاته فيه.

وقال: حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني قلبي عشرين سنة، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعًا.

وقال: من تجرَّع كأس الشوق يهيم هيامًا لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء.

وقال: إذا رأيت المحب ساكنًا هادئًا، فاعلم أنه وردت عليه غفلة، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ بل يزعجه في الدنو والبعد واللقاء والحجاب.

وقال: التصوف كله آداب لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات

بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب، فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول.

وقال أبو عمرو بن حمدان: وجدت في كتاب أبي قال أبو حفص: الحال لا يفارق العلم ولا يقارن القول.

وذكر أبو عثمان الحيري النيسابوري عن أبي حفص أنه قال: من يعطي ويأخذ فهو رجلٌ، ومن يعطي ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومن لا يعطي ولا يأخذ، فهو همج لا خير فيه، فسئل أبو عثمان عن معنى هذا الكلام؟ فقال: من يأخذ من الله، ويعطي لله فهو رجل، لأنه لا يرى فيه نفسه بحال، ومن يعطي ولا يأخذ فإنه نصف رجل، لأنه يرى نفسه في ذلك، فيرى أن له - بأن لا يأخذ- فضيلة ومن لا يأخذ ولا يعطي فهو همجٌ، لأنه يظن أنه الآخذ والمعطي دون الله تعالى.

وقال أبو محمد المرتعش: سمعت أبا حفص يقول: ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لَمَحَه بقلبه.

وسئل أبو حفص عن البخل؟ فقال: ترك الإيثار عند الحاجة إليه.

وسئل أيضًا من الولي؟ فقال: من أيد بالكرامات، وغُيِّب عنها.

وقال أبو حفص: ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح.

وسئل عن أحكام الفقر وآدابها على الفقراء؟ فقال: حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وترك الخصومات في الأرزاق وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمور الدين والدنيا.

وسئل أبو حفص من العاقل؟ فقال: المطالب نفسه بالإخلاص.

وسئل عن العبودية؟ فقال: ترك ما لك والتزام ما أمرت به.

وقال: من رأى فضل الله عليه في كل حال أرجو ألا يهلك.

وقال: لا تكن عبادتك لربك سببًا لأن تكون معبودًا.

وسئل ما البدعة؟ فقال: التعدي في الأحكام، والتهاون بالسنن، واتباع الآراء، وترك الاقتداء والاتباع.

توفي سنة سبعين، وقيل: أربع وستين، وقيل: سبع وستين ومائتين.

❖ ❖ ❖

سهل بن عبد الله التستري[1]

هو الشيخ الأمين، الناصح المكين، الناطق بالعقل الرَّصين، من أعاظم المشايخ والمشهورين، ولم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله وأطلعه على عدد مريديه وأسمائهم وأنسابهم، ومن يفتح عليه منهم ومن يموت قبل الفتح.

حبر تجمل الإسلام بوجوده، وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده.

وكان أوحد زمانه في علوم الرياضات، صحب خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة، وطبق الأرض من علوم الحقائق، فحسده فقهاء بلده فقاموا عليه ونسبوه على عظائم وقبائح بسبب قوله: «التوبة فرض على العبد في كل نفس»، ولم يزالوا به حتى أخرجوه وجماعته من بلده إلى البصرة، فمات بها.

وحفظ القرآن وهو ابن سبع، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة، وهو ابن عشر فيحسن الإجابة.

وكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يومًا.

وإذا دخل رمضان يأكل أكلة واحدة في أول ليلة منه ثم يطوي بقيته لكنه يفطر كل ليلة على الماء القراح أو على زبيبة ليخرج عن الوصال المنهي عنه.

وكان يكفيه لطعامه في السنة كلها درهم، وإذا جاع قوي وإذا شبع ضعف، وكان إذا دخل عليه ضيف يأكل معه وإن لم يكن له شهوة إلى الأكل ذلك الوقت.

وكان يسمع القرآن وغيره فلا يتحرك، فلما كان أواخر عمره صار يتواجد ويقول: ضعفنا والله عن التحمل، وصار واردنا أقوى منا.

وكان يطوي ثلاثين وأربعين، وقيل سبعين ليلة لا يأكل شيئًا.

وقال الغزالي: «وقد انتهى إلى ذلك جماعة يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو المغربي، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، وإبراهيم التيمي، وحجاج بن قراقص، وحفص العابد المصيصي، وزهير وسليمان الخواص، وإبراهيم الخواص.. كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة، وذكر بعضهم أن من طوى أربعين يومًا من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت -أي

---

(1) انظر: الحلية (١٠/ ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ 532)، وطبقات الصوفية (ص206)، ووفيات الأعيان (1/ 273)، وصفوة الصفوة (4/ 46)، وشذرات الذهب (2/ 182)، والطبقات الكبرى للشعراني (1/ 90)، والمنتظم (5/ 162).

كوشف ببعض الأسرار الإلهية» انتهى.

قال ابن عربي: وكان بدأ سهل في هذا الطريق سجود القلب- وكم من ولي كبير الشأن طويل العمر مات وما حصل له سجود القلب، ولا علم أصلاً أن للقلب سجودًا مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها- وكان سجوده إذا حصل لا يرفع رأسه أبدًا من سجدته، فهو ثابت على تلك القدم الوحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة، وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال إلى حال- ولهذا سمي قلبًا- وصاحب هذا المقام، وإن تقلبت أحواله، فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخول طريق أن قلبه سجد، وانتظر أن يرفع، فبقي حائرًا فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحدًا يعرفها، فإنهم أهل صدق لا ينطلقون إلا عن ذوق محقق.. فقيل له: إن في عبادان شيخًا معتبرًا لو رحلت إليه؟

ففعل فقال له: أيها الشيخ، أيسجد القلب؟ فقال: إلى الأبد.

فوجد شفاءه عنده فلزم خدمته.

فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من يشاء من عباده، ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر:15].

ومن فوائده: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا انتبهوا ندموا، فلم ينفعهم ندم.

وقال: من الأولياء من إذا مرّ على قوم عصاة فسلم عليهم، أو سلموا عليه، فيغفر الله لهم جميع ذنوبهم وأمنهم من عذابه، ومنهم من لا تأكل النار من جالسهم ولو لحظة أو حضر جنازتهم.

وقال: الصبر عن النساء خيرٌ من الصبر عليهن، والصبر عليهن خيرٌ من الصبر على النار.

وسئل عن ذات الله! فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجدة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حُجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

وقال: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك.

وقال: ما من ساعة إلا والله يطلع على القلوب، فأي قلب وجد فيه غيره سلط عليه العدو.

وقال: التائب من يتوب من غفلته في كل لمحة.

وقال: لا يستحق الرجل الرئاسة على الناس إلا إن احتمل أذاهم، وبذل لهم ما بيده، وزهد فيما بيدهم.

وقال: دخلت الفتنة على العامة من الرخص والتأويلات، وعلى العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر.

وقال: لا يرى في القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالمصطفى ﷺ في أكله.

وقال: لم ير الأكياس شيئًا أنفع من الجوع للدين والدنيا.

وقال: لا أعلم شيئًا أضر على طلاب الآخرة من الأكل.

وقال: جعل العلم والحكمة في الجوع، وجعل المعصية والجهل في الشبع.

وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال.

وقد قال في الحديث «ثلث للطعام»[1] فما زاد فإنما يأكل من حسناته.

وقال: إنما صار الأبدال بإخماص البطون، والصمت، والسهر، والخلوة.

وقال: رأس كل بر بين السماء والأرض والجوع، ورأس كل فجور بينهما الشبع.

وقال: إقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله.

وقال: لو كانت الدنيا دمًا عبيطًا كان قوت المؤمن منها حلالاً؛ لأن أكله عند الضرورة بقدر القوام فقط.

وقال: من انتقل من نفس إلى نفس بغير ذكر فقد ضيع حالة.

وقال: من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة وسماع كلام أهل الغفلة، وكل عالم خاض في الدنيا فلا تُصْغِ لقوله، بل يتهم فيما يقول: الآن كل إنسان يدفع ما يوافق محبوبه.

وقال: أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق.

---

(1) رواه الترمذي (4/ 590).

وقال: من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو جاهل به.

وقال: قد أيس علماؤنا من ثلاث: لزوم التوبة، ومعانقة السنة، وترك أذى الناس.

وقال: العيش أربعة: عيش الملائكة في الطاعة، والأنبياء في العلم، وانتظار الوحي والصديقين في الاقتداء، وسائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم.

وقال: الولي من توالت أفعاله على الموافقة.

وقال: خلق الله الخلق ولم يحجبهم عنه، فحجبهم عنه الحجاب عن تدبيرهم واختيارهم معه، وذلك هو الذي كدر عليهم عيشهم.

وقال: مخالطة الفقير للناس ذُل، وبعده عنهم عِزّ.

وقال: ما من ولي صحت ولايته إلى يحضر إلى مكة كل ليلة جمعة لا يتأخر.

وقال: اجتمعت برجل من أصحاب المسيح عليه السلام فرأيت عليه جبة صوف فيها طوارة، فسألته عنها فقال: لهذه من أيام المسيح سبعمائة سنة، فعجبت فقال: الأبدال لا تخلق ثيابهم، وإنما يخلقها رائحة الذنوب ومطاعم السحت.

ولذلك قيل: إن للخضر عليه السلام إزارًا ورداءً لا يبليان ولا يخلقان.

وقال: إذا أصابتكم مصيبة فلا تقولوا: أخ؛ فإنه اسم الشيطان وقولوا: آه فإنه اسم الرحمن، وكذا وه فإنه مقلوب هو.

وقال: إن الله سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده؛ لأنه لم يرضها لهم.

وقال: إياكم ومعاداة من أشهره الله بالولاية؛ فإنه كان بالبصرة ولي فعاداه أهلها وآذوه فغضب الله عليهم فهلكوا أجمعين في ليلة.

وقال: طوبى لمن تعرف بالأولياء، فإنه ربما استدرك ما فاته من الطاعة، وإن لم يستدرك شفعوا فيه لأنهم أهل فتوة.

وقال: الدنيا حرام على صفوة خلق الله لا يتناولون فيها إلا بقدر الضرورة.

وقال: إذا قام عبد بما يجب الله عليه قام الله بما يجب عليه من الحقوق.

وقال: من لم يكن مطعمه من حل لم يكشف عنه حجاب.

وقال: أعظم ما يحجب به العبد عن مشاهدة الملكوت وعن دخول حضرة الله وسوء المطعم وأذى الخلق.

وقال: ما دامت النفس تشتهي المعصية فلا يصل للقلب شيء من نور الطاعة، فأدبوا أنفسكم بالجوع والعطش.

وقال: حياة القلوب الذي يموت بذكر الحي الذي لا يموت.

وقال: علامة المؤمن الكامل ألاّ يخاف أحدًا دون الله.

وسئل عمن لا يأكل أيامًا أين يذهب لهب جوعه فقال: يطفئه نور القلب.

وقال: كل عبد يفعل طاعة أو معصية بغير اقتداء فهو عيش النفس، وكل فعل يفعله باقتداء فهو عذاب على النفس.

وكان يداوي الناس ولا يداوي نفسه من الأمراض، فعوتب فيه فقال: ضربة الحبيب لا تؤلم.

وقال: لا تفتش عن مساوئ الناس ومعرفة أخلاقهم، ولكن فتش عن أخلاق الإسلام وما حالك فيه حتى يعظم قدره في نفسك وتجتهد في التلبس بتلك الأخلاق. وقال: إن الله قال لآدم: «أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني».

وقال: ما أعطي عبد شيئًا أفضل من علم يزداد به يقينًا وافتقارًا إليه.

وقال: من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

وقال: البلوى قسمان: بلوى رحمة، وبلوى عقوبة.

- فبلوى الرحمة: تبعث صاحبها على إظهار فقره وفاقته إليه تعالى وترك تدبير نفسه واختياره.

- وبلوى العقوبة: تبعثه على اختيار نفسه وتدبيرها.

وقال: الابتلاء كالمرض.. يمرض الواحد مائة سنة فلا يموت، ويمرض آخر ساعة فيموت.

وقال: ما نظر واحد إلى نفسه فأفلح ولا ادّعى لنفسه حالاً فتم له، والسعيد من صرف نفسه عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل والإفضال، ورؤية منة الله عليه في جميع الأفعال.

وقال: السرور بالله هو السرور، والسرور بغيره الغرور.

وقيل له: ما القوت؟ قال: ذكر الحي الذي لا يموت.. قال: هذا قوت الأرواح، فما

قوت الأشباح؟ قال: دع الدنيا لبانيها إن شاء عمرها، وإن شاء خربها.

وفي رواية عنه قيل له: ما القوت؟ قال: الله ؟

قيل له: سألتك عن قوت هذا الجسد.

قال: الله الذي به يقوم كل شيء.

فلما ألحوا قال: ما لكم وله، دع الديار إلى مالكها وبانيها، إن شاء عمرها وإن شاء خربها.

ويقول: ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الشكل الخاص، فلا بدّ أن نشتغل بما هو عين حياتها ووجودها، وأي بيت أسكنها فيه سكنته.

وقال: ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب.

وقال: أصفى ما يكون ذكري له إذا كنت محمومًا.

وقال: التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد.

وقال له رجل: دخل لصٌ داري وأخذ متاعي، فقال: اشكر الله، لو دخل اللص قلبك - وهو الشيطان - وأفسد التوحيد، ماذا كنت تصنع؟ وقال: العلوم ثلاثة: علم ظاهر يبذل لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يظهر إلا لأهله خوف الفتنة، وعلم بين العبد وربه يستحيل إظهاره لأحد من الخلق.

وسئل عن الاسم الأعظم فقال: أروني الأصغر أريكم الأعظم، أسماء الله كلها عظيمة، خذ أي اسم شئت يفعل معك.

وقال: من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة.

وقال: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم.

وقال: اجتنب صحبة ثلاثة أصناف:

الجبابرة الغافلون، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

وقال: المرء يعصي الله مائة سنة ثم يطيعه ويختم له بخير وينجو، وآخر يتكلم بكلمة في ساعة فتجره للكفر فيهلك، ومن ذلك عظم الحذر واشتد البلاء وأصله حديث:

«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة... إلى آخره[1]».

---

(1) رواه مسلم (4/ 2036).

وقال: الغضب أشد على البدن من المرض؛ لأنه إذا غضب دخل عليه من الألم أكثر مما يدخل من المرض، ولهذا قال المصطفى ﷺ «لا تغضب[1]» وكرره.

وقال: الفرح كله في تدبير الله لعباده.

وقال: ليس بين العبد حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق أقرب إلى الله من الذلة والافتقار، ونحوه قول البسطامي: نُوديت في سري: خزائننا مملوءة من الخدمة، فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار.

وقال: أول دلائل المحبة دوام ذكر المحبوب، ولا يستقر ذلك في صميم القلب إلا بعد أن يكون التصديق والتحقيق زاده، والتسليم والرضا مراده.

وقال: من ثقلت عليه الوحدة فهو بعيد من باب الله.

وقال: من خان الله في السر هتك ستره في العلانية.

وقال: لما دخلت البصرة وجدت بها أربعة آلاف يتكلمون في علم المعرفة.

وقال: من تمام المحبة أن تحب ما يحبه حبيبك وتكره ما يكرهه.

وقال: دع التدبير والاختيار لله الواحد القهار، فإن تدبير الخلق لأنفسهم هو المكدر لعيشتهم.

وقال: من علم أن الله قريب منه فقد بعد عن كل ما سواه.

وقال: من أسلم قلبه لله تولى الله جوارحه.

وقال: إن الله حجب عقول الخلق بحجب لطيفة، فحجب العلماء عنه بالعلم، والزهاد بالعمل، والحكماء بلطائف الحكمة، أما العارفون فأسكن قلوبهم من نور معرفته فلم يحجبهم بشيء.

وقال: يا مسكين، كان الله ولم تكن، ويكون الله ولا تكون، فلما كوّنك اليوم صرت تقول أنا وأنا؟! كن الآن كما كنت قبل تكوينك، واعرف فاقة نفسك وحقارتها ونزّلها منزلتها من الذلة والاحتقار.

وقال: الهجرة فرض إلى يوم القيامة، من الجهل إلى العلم، ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

وقال: ليس خوفنا من النار ولا رضاؤنا للجنة، بل خوفنا من الحجاب ومطلبنا لقاء

(1) رواه البخاري (3/ 1364)، ومسلم (4/ 1903).

الله.

وقال: طوبى لمن عرف الحق وأهله فإن يتدارك ما فرط منه، فإن لم يتدارك كانوا له شفعاء.

وقال: الدنيا حرام على صفوة الله من خلقه؛ كما أن صيد الحرام حرام على المحرم.

وقال: أكبر الكرامات أن تبدل خلقًا مذمومًا بمحمود.

وقال: أجمع العلماء على تفسير العافية بألاَّ يكل الله العبد إلى نفسه وأن يتولاه وهو قول المصطفى ﷺ: «لا تكلني إلى نفسي[1]».

وقال: الأنفاس معدودة، فكل نفس يخرج بغير ذكر الله فهو ميت.

وقال: يتفاضل الناس يوم القيامة بقدر يقينهم، فمن كان أغزر يقينًا كان من دونه في ميزانه، وأدنى مراتب اليقين الثقة بالله، وأدنى مراتب التوكل ترك الاختيار.

وقال: إنما منع الله الغافلين لذة مناجاته لأنه لم يرض عقولهم لمعرفته، ولا أبدانهم لخدمته، فأذلهم وجعلهم عبيدًا للدنيا.

وكان يقول: الرجل من يصلي في فلاة، فينصرف من صلاته فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة على مشاهدة منه إياهم..

وقال ابن عربي: وأنا أقول: «الرجل من يصلي في فلاة، فينصرف بالحال الذي هو في صلاته. فلا ينصرف معه أحد من الملائكة، فإنهم لا يعرفون أين يذهب.. وهؤلاء هم رجال الغيب» انتهى.

وقال: صعدت جبل قاف ورأيت سفينة نوح مطروحة فوقه.

وقال: لله عبدٌ يرفع رجله وهو بالبصرة فيضعها على جبل قاف.

وقال: أعمال البر كلها في صحائف الزاهدين.

وقال اليافعي: هذا في نهاية التحقيق، فإن أهل الدنيا يخرج بعضهم عن بعض ماله في عمل البر، والزهاد خرجوا عن الكل لله، وجمعوا بين العبادة البدنية والقلبية والمالية.

وقال: لي أربعون سنة أكلم الله والناس يظنون أني أكلمهم.

وقال القيصري: وله كلمة شأنها عظيم «قليل من يفهم حقيقتها، فإن فهمت فاحمد الله، وإلا فسلم كل صنع لأهلها، ولا تنكر ما لا تفهم تخسر أول أنصبة المؤمنين وهو

(1) رواه مسلم (4/ 2036).

التصديق، ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

وقال: تحاججت أنا وإبليس في القضاء والقدر من طلوع الشمس للغروب فكان من آخر ما قاله لي: هل أنا شيء؟ قلت: نعم. قال: قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فبأي دليل لا تنالني الرحمة؟ فأوقفني وغضضت وولى، فتدبرت الآية فرأيته عقبها بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فصحت به ارجع أجبك، فرجع منسيًا، فقلت: قد خرجت بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف:156].

وقال: إن آخذ عنه طريق المعرفة، كان له تلميذة لها ولد، فأخبره بأنه غرق، فدخل عليها فتكلم في الصبر والرضا فقالت: ما تريد بهذا؟ فقال: ابنك غرق، قالت: ما غرق، فقوموا، فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر فقالت: أين غرق؟ قالوا: هنا، فصاحت به فأجابها، فنزلت فأخذت بيده ومضت به فبهت الحاضرون، فقال السري: إن المرأة مراعية لما لله عليها، وحكم من كان مراعيًا لذلك ألاّ تحدث حادثة حتى يعلم بها، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بشيء، فأنكرت أن ربها ما فعل ذلك.

ومن كراماته: أنه حصل له فالج آخر عمره، فكان إذا حضر الصلاة زال عنه فإذا فرغ منها عاد إليه، ومنها أنه احتاج في سياحته إلى الوضوء وفقد الماء، فاغتم فأتاه دب بجرة خضراء مملوءة ماء فوضعها بين يديه وانصرف.

ومنها أن رجلاً دخل إليه يوم جمعة قبل الصلاة فرأى في بيته حية عظيمة فوقف، فقال: ادخل لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه، ثم قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقال: بيننا وبين الجامع مسيرة يوم، فأخذ بيده فأدخله إليه فورًا فصليا ثم خرج ينظر الناس خارجين فقال: أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون منهم قليل.

وكان السباع يأتونه زائرين، وعنده بيت يسمى بيت السباع فينزلهم فيه ويضيّفهم باللحم جهارًا ثم يأذن لهم بالانصراف.

وقال له تلميذه عبد الرحمن بن أحمد: يا سيدي، وبم أتوضأ؟ فالماء الذي يسيل من أعضائي يصير قضبانًا من الذهب والفضة، فقال له: أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة يشتغلون بها.

وسأله رجل الصحبة فقال: إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبني.

وله ذكر عظيم الشأن جربه أهل العرفان.

وقال الشيخ ابن عربي: دخلت به الخلوة، ففتح لي به في ليلة واحدة.

وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة، ومن أكثر ذكره حبب إليه الطاعات وبغضت إليه المنكرات.

قال بعضهم: ومن تعلق به لم يعجزه شيء من الموجودات، ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو في فراشه وجد له حلاوة في سره وهو هذا: «الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهد علي».

وحكى عن نفسه أنه في بدايته توضأ للجمعة وذهب للجامع فوجده امتلأ بالناس والخطيب يخطب، فتخطى الرقاب حتى وصل للصف الأول فقعد فأخذته حرقة البول فأكربه وقد قربت إقامة الصلاة، وبجنبه شاب لا يعرفه فالتفت إليه وقال: يا سهل أخذك البول، ثم نزع بردته عن منكبه وغشاه بها وقال: اقض حاجتك وأسرع إلى الصلاة، ففتح عينه فإذا بباب مفتوح فدخله، فإذا بقصر ونخلة بجانبها مطهرة، فأراق الماء وتوضأ، فنزع الشاب بردته عنه، فإذا هو قاعد في محله ولم يشعر به أحد.

وله تصانيف نفيسة منها «رقائق المحبين»، و«مواعظ العارفين»، و«جوابات أهل اليقين»، والتفسير، وغير ذلك، مات سنة ثلاثة وثمانين ومائتين، عن ثلاث وثمانين سنة.

❖❖❖

ذو النون المصري[1]

العارف الناطق بالحقائق الفائق للطرائق.

ذو العبارات الوثيقة والإشارات الدقيقة، والصفات الكاملة والنفس العالمة العاملة، والهمم الجليلة والطريقة المرضية، والمحاسن الجزيلة المتبعة، والأفعال والأقوال التي لا تخشى منها تبعه.

زهت به مصر وديارها، وأشرق بنوره ليلها ونهارها، وقال ابن يونس: كان عالمًا فصيحًا حكيمًا، امتحن وأوذي لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه.

---

(1) انظر: تاريخ بغداد (8/ 393)، والحلية (9/ 331)، وسير أعلام النبلاء (11/ 532)، وطبقات الصوفية (ص15)، ووفيات الأعيان (1/ 126)، وصفوة الصفوة (4/ 287)، وشذرات الذهب (2/ 107)، والبداية والنهاية (10/ 347)، ومرآة الجنان (2/ 149)، والطبقات الكبرى للشعراني (1/ 81)، الكواكب الدرية (247)، الرسالة القشيرية (ص 94).

وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال، وفي مقامات الأولياء فحول الرجال، فقال جهلة المتفقهة: هو زنديق.

وقال مسلمة بن قاسم: كان عالمًا صالحًا زاهدًا ورعًا مفتيًا في العلوم واحدًا في عصره.

وقال الجوزقاني: كان زاهدًا عليًا ضعيف الحديث.

وقال الذهبي في تاريخه الكبير: روى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وابن عيينة وسلم الخواص وغيرهم.

وروى عنه الحسن بن مصعب النخعي وأحمد بن صليح الفيومي والطائي وغيرهم.

وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم- وقيل الفيض- وأصله من النوبة ثم نزل أخميم فأقام بها فسمع يومًا صوت لهو ودفافًا فقال: ما هذا؟ قيل: عرس.. وسمع بجانبه بكاءً وصياحًا فقال: ما هذا؟ قيل: فلان مات.. قال: أعطى هؤلاء فما شكروا وابتلى هؤلاء فما صبروا، لله علي إن بت بهذا البلد، فخرج فورًا إلى مصر فقطنها.

أهدى ذي النون المصري إلى أبي يزيد -قدس الله روحيهما- مصلى فلم يقبله، وقال للرسول: قل لذي النون: إن هذا يصلح لمثلك لتصلي عليه، وقال: فبعث ذو النون ثانيًا إليه بوسادة قد كان أبلغ في تجويدها فلما أتاه الرسول.

قال: ارجع إليه بهذه، وقل له: من كان هو وسادته لا يشتغل بوسادتك، وكان هذا في آخر عمره حيث ذاب وذل ولم يبق منه إلا الجلد والعظم.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون المصري يقول لبعض من أراد أن يزور أبا يزيد قل لأبي يزيد: إلى متى هذه الراحة والنوم وقد جازت القافلة؟.

قال: فخرج الرجل قاصدًا إلى أبي يزيد وسلّم عليه.

وقال له: ذو النون يقرئك السلام، ويقول لك: إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة!.

فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: إن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله، فإذا أصبح آمنًا في المنزل قبل نزول القافلة.

قال: فرجع الرجل إلى ذي النون وأخبره، فقال: هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئًا له[1].

وسئل عن سبب توبته! فقال: نمت بالصحراء، ثم فتحت عيني فإذا بقنبرة عمياء

---

(1) نقلًا عن النور (ص37).

سقطت من وكرها، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان: إحداهما ذهب والأخرى فضة، في إحداهما سمسم والأخرى ماء، فجعلت تأكل من ذا وتشرب من ذا فقلت: حسبي قد تبت.

ولما تكلم بعلوم لدنية -لا علم لأهل مصر بها- وشوا به إلى خليفة بغداد فحمل إليه في جماعة مغلولاً، فقُدِّم للقتل، فكلم الخليفة، فأعجبه فأطلقه ورفقته.

وقال: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم.

ولما حبس لم يأكل في السجن أيامًا، فكانت له أخت تبعث له من مغزلها طعامًا على يد السجان فلا يأكله فعاتبته بعد، فقال: كان حلالاً، لكن جاءني على طبق ظالم وأشار إلى يد السجان، قال الغزالي: وهذا غاية الورع.

ومن مقاماته العلية الفائقة وأحواله المدهشة الخارقة أن روحه الشريفة كانت تدبر أجسامًا متعددة.

فقد قال العارف ابن عربي: الروح الواحد يدبر أجسامًا متعددة، إذا كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة، وفي الآخرة فإن نشأة الإنسان تعطي ذلك.

قال: وكان ذو النون المصري وقضيب البان ممن لهما هذه القوة، فكما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع وبصر، وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما وقع منها، فكذا هذه الأجساد التي تدبرها روح واحدة، أي شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع وبصر، وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما وقع منها فكذا هذه الأجساد التي تدبرها روح واحدة، أي شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحدة، وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم عين ما يقع من الآخر انتهى.

وأقام سهل سنين لا يسند ظهره للمحراب ولا يتكلم، فلما كان ذات يوم بكى واستند وتكلم، وبالغ في إبراز المعاني العجيبة، فقيل له فيه فقال: كان ذو النون بمصر حيًا فما تكلمت ولا استندت إجلالاً له، الآن قد مات فقيل لي: تكلم فقد أذنت.

وقد حكي أن ذا النون المصري بعث إنسانًا من أصحابه إلى أبي يزيد، لينقل إليه صفة أبي يزيد... فلما جاء الرجل إلى بسطام، سأل عن دار أبي يزيد. فدخل عليه فقال له أبو يزيد: ما تريد؟ فقال: أريد أبا يزيد. فقال: من أبو يزيد؟ وأين أبو يزيد؟ أنا في طلب أبي يزيد.

فخرج الرجل، وقال: هذا مجنون.

ورجع الرجل إلى ذي النون، فأخبره بما شهده، فبكى ذو النون وقال: أخي أبو يزيد ذهب في الذاهبين إلى الله.

وقيل: أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً، وقيل له: قل له إلى متى النوم والراحة، وقد جازت القافلة؟! فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجل من ينام الليل كله، ثم يصبح في المنزل قبل القافلة.

فقال ذو النون: هنيئًا له! هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

ومن فوائده:

قال: من راقب العواقب سلم.

وقال: إياك أن تكون للمعرفة مدعيًا، أو بالزهد محترفًا، أو بالعبادة متعلقًا، وفر من كل شيء إلى ربك.

وقال: من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

وقال: الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين.

وقال: ثلاثة من علامة التوفيق: الوقوع في عمل البر بلا استعداد له، والسلامة من الذنب مع الميل إليه وقلة الهرب منه، واستخراج الدعاء والابتهال.

وثلاث من علامات الخذلان: الوقوع في الذنب مع الهرب منه، والامتناع عن الخير مع الاستعداد له، وانغلاق باب الدعاء والتضرع.

وقال: من وثق بالمقادير لم يغتم.

وقال: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بغير الله سم قاطع.

وقال: الشوق أعلى الدرجات والمقامات، إذا بلغه العبد استبطأ الموت شوقًا إلى ربه وحبًا للقائه والنظر إليه.

وكان يقول في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:172]، كأنه الآن في أذني.

وقال: إذا خرج مريد عن حوزة الأدب يرجع إلى حيث شاء.

وقال: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى.

وقال: الصبر هو السكون عند تجرع غصص البليَّة، وإظهار الغنى مع حلول الفقر

بـــاحات المعيشة.

وقال: أكثر الناس همًا أسوأهم خلقًا.

وتذاكر جماعة عنده -أعني ذا النون- في حديث: «طاعة الأولياء ما سوى الله للأولياء» فقال: من الطاعة أن أقول لهذا السرير أن يدور في زوايا البيت الأربع ثم يرجع لمكانه ففعل ذلك.

وقال: مدار الطريق على أربع: حب الجليل، وبغض الفاني القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

وسأله رجل عن مسألة فقال: إن قلبي لك مقفل، فإن فُتح لك أجبتك وإلا فاعذرني واتهم نفسك.

وقال: احذر أن تنقطع عن الله فتكن مخدوعًا، وكل من نظر إلى عطائه ولم ينظر إليه فهو مخدوع.

وقال: ما أخلص عبد لله إلا أحب أن يكون في جُبٍّ لا يعرف.

وقال: إن الله ما منع الكفار الجنة بخلاً، بل ليصون من أطاعه عن أن يجمع بينهم وبين أعدائه في دار واحدة.

وقال: البلاء يلح المؤمن، فإذا عدمه فسد حاله.

وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله.

وقال: إن لله عبادًا عبدوه بخالص من السر فشرفهم بخالص من الشكر، فهم الذين تمر صحفهم مع الملائكة فزعًا، حتى إذا صارت إليه ملأها لهم من سِر ما أسرّوا.

وقال: من الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء، وطلب الآخرة بالرفاء، ومودة النساء بالغلظة والجفاء.

وقال: من ادّعى مقامًا حجب به عن الله.

وقال: من أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من الصدق.

وقال: الكريم يعطي قبل السؤال، فكيف يبخل بعده؟! ويعذر قبل الاعتذار، فكيف يحقد بعده؟!.

وقال: ثلاثة من أعلام الصواب: الأنس بالله في جميع الأحوال، والسكون إليه في كل

الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال.

وقال: ثلاثة من أعلام اليقين: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

وقال: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وقال: إنما أحب الناس الدنيا لأنه تعالى جعلها خزانة أرزاقهم فمدوا أعينهم إليها.

وقال: أدنى منازل الأنس: أن يُلقى في النار ولا يغيب عن مأمور.

وقال: لا تسكن الحكمة جوفًا ملئ طعامًا.

وقال: العبودية أن تكون عبده في كل حال، كما هو ربك في كل حال.

وقال: الحسد داءٌ لا يبرأ، وحسب الحسود من الشر ما يلقاه.

وقال: تنال المعرفة بثلاث: بالنظر في الأمور كيف دبرها، وفي المقادير كيف قدرها، وبالخلائق كيف خلقها.

وقال: الصادق لا يبكي، فإن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئًا أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسيلت الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف عندنا يا بطال.

وقال: العاقل يعترف بذنبه، ويجود بما لديه، ويزهد فيما عنده، ويكف أذاه، ويحتمل أذى غيره.

وقال: يأتي زمان تكون الدولة فيه لأهل الدنيا على أهل الآخرة.

وقال: لم يزل المنافقون يسخرون بالفقراء في كل عصر.

وقال: طوبى لمن تطهر ولزم الباب، طوبى لمن تضمر للسباق، وطوبى لمن أطاع الله أيام حياته.

وقال: من توثق بالمقادير استراح، ومن تقرب قرب، ومن صفا صفي له.

وقال: من توكل وثق، ومن تكلف مالا يعنيه ضيع ما يعنيه.

وسأله بعضهم عن حالة فقال: مالي حال أرضاها، ولا حال لا أرضاها، كيف أرضى حالي لنفسي وأنا لا أتي بما أراد مني؟ وكيف لا أرضى حالي ولا يكون مني إلا ما أراد من الأحوال؟ ولست أدري أيما أحسن؟ حسن حالي في حسن إحسانه إلي، أم حسن حالي في سوء حالي إذا كان هو المختار لي؟

وقال: من وجد خمس خصال رجوت له السعادة ولو قبل موته بساعة: استواء الخلق، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد.

وقيل له: أوصني قال: لا تكن خصمًا لنفسك فإنه لا يجتمع معك عليك، ولا تلقى أحدًا بعين الازدراء والتصغير ولو كان مشركًا خوفًا من عاقبتيكما، فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها.

وقال: *ما هلك من هلك إلا بطلب أمر قد أخفاه، وإنكار أمر قد أبداه.*

وقال: من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه، ومن عني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس سلم من شرهم، ومن شكر المزيد زيد له.

وقال: احفظ عني خمسًا، فإن حفظتها لم تبال ماذا أصبت بعدها، عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعادِ الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والصبر والخوف.

وقال: خذ لنفسك بسلاح الملامة، واقمعها بردِّ الظلامة، تلبس غدًا سرابيل السلامة، واقصرها في روضة الأمان، وذوقها مضض فرائض الإيمان تظفر بنعيم الجنان، وجرعها كأس الصبر ووطنها على الفقر حتى تكون تام الأمر.

وقال: قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها، وأدبرت النفوس عنه وهو يناديها، فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيام والإنعام.

وقال: طوبى لعبد أنصف ربه، أقرَّ له بالآفات في طاعته، وبالجهل في معصيته، فإن أخذه بالذنوب رأى عدله، وإن غفر رأى فضله.

وقال: من المحال أن يحسن الظن ولا يحسن منه المن.

وقال: كيف أفرح بعملي وذنوبي مزدحمة، وكيف أفرح بعملي وعاقبتي مبهمة.

وقال: الكيِّس من بادر بعمله وسوّف بأمله واستعد لأجله.

وقال: من علامة سخط الله على العبد أن يخاف الفقر.

وقال: لكل شيء علامة، وعلامة طرد العارف عن حضرة الله انقطاعه عن ذكره.

وقال: إذا تكامل الحزن قلصت الدمعة.

وقال: من القلوب قلوب تستغفر قبل أن تذنب، فيتاب عليها قبل أن تتوب.

وقال: من آنسه الله بقربه أعطاه العلم بغير تعب.

وقال: ليس بعاقل من لم ينصف من نفسه وطلب الإنصاف من الناس

وقال: لا تتواضع لمتكبر فتذل نفسك في غير محل وتكبر نفسه بغير حق.

وقال: من عمي عن عيوب نفسه انكشفت له عيوب الناس فمقته القلوب.

وقال: من طلب مع الخبز ملحًا بأكله، لم يفلح في الطريق أبدًا.

وقال: لولا شغلي بنفسي لاشتغلت بكتابة الحديث.

وقال: أهل القرآن هم الذين أنصبوا الركب والأبدان حتى انحلت أبدانهم وذبلت شفاههم وهملت عيونهم.

وقال: من علامة إعراض الله عن العبد أن تراه ساهيًا لاهيًا لاغيًا معرضًا عن ذكر ربه، تثقل عليه مجالسة الذاكرين.

وقال: إن الله يغار أن يجمع بين أحبابه وأعدائه في دار، فلذلك جعل لكل فريق دارا.

وقال: ما رجع من رجع إلا من الطريق، ولو وصلوا إليه ما رجعوا أبدًا، فازهد في الدنيا ترى العجب.

وسئل: متى يأنس العبد بربه؟ قال: إذا خافه أنس به، أما علمتم أن من واصل الذنوب نحي عن باب المحبوب؟.

وقال: وجدت مكتوبًا على صخرة بيت المقدس: كل عاصٍ مستوحش وكل مطيع مستأنس، وكل خائف هارب وكل راجٍ طالب، وكل قانع غني، وكل محب ذليل، فتفكرت فإذا هي أصول لكل ما استعبد الله به الخلق.

وقال: لا عيش إلا مع رجال تحن قلوبهم إلى التقوى وترتاح إلى الذكر.

ودقَّ عليه رجل الباب فشوش وقته فنظر إليه من عالم الهيئة وقال: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك.

وقال: من أعلام الإيمان اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن كرهوه.

وقال: لا تشغلنك عيوب الناس عن عيوب نفسك فلست عليهم برقيب.

وقال: أحب عباد الله إليه أعقلهم عنه.

وقال: العارف في هذه الدار كرجل توج بتاج الكرامة، وأقعد على سرير، وعلّق على رأسه سيف بشعره، وأرسل على بابه سبعون ضاريًا فأنى له السرور.

وقال: من تقرب إلى الله بما فيه تلف نفسه حفظها عليه.

وقال ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية.

وقال: كن عارفًا خائفًا ولا تكن عارفًا واصفًا.

وقال: الصدق سيف الله، ما وضع على شيء إلا قطعه.

وسئل عن السماع والصوت الحسن فقال: وارد يزعج القلب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، أو بنفسه تزندق.

وسئل عن التوحيد؛ فقال: أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله، وكل ما يتصور في وهمك فالله بخلاف ذلك.

ومن كراماته: إن تلميذه يوسف بن الحسين الرازي دخل عليه فقال له: ما يقول الناس في؟ قال: زنديق؟

فقال: الأمر سهل، حيث لم يقولوا يهودي؛ فإن الناس تنفر قلوبهم من اليهود أشد، فخرج، فسمعهم يقولون يهودي فعاد فأخبره فخرج، فوجد فقهاء «الجيم» تعصبوا ونزلوا إلى زورق ذاهبين إلى سلطان مصر ليشهدوا بكفره فانقلب الزورق، والناس ينظرون فغرقوا -حتى الملاح- فقيل له ما بال الرئيس؟ قال: حمل الفساق.

ودخل غلام من غلمانه بغداد، فسمع قوالاً، فصاح ووقع ميتًا، فلما دخل ذو النون بغداد وسأل عن القوال وقال له: قل فقال فصاح ذو النون فخر القوال ميتًا فخرج وهو يقول النفس بالنفس.

وأخرج ابن الطحان في ذيل تاريخ مصر في ترجمة ذي الكفل -وهو أخو ذي النون- أن رجلين اختصما في ثلاثمائة أردب قمح، فاعترف أحدهما بالحق وادعى العجز، فوعظه ذو النون فأصر، فقال لصاحب الدين: أتصالحه على مائة أردب؟ فرضي، فقال لأخيه ذي الكفل: كِلْ له من هذا البيت -وأومأ إلى بيت مهجور مملوء بالتراب- ففتحه، فرأى القمح يخرج من شقوقه، فكال له مائة، فقال: اردد الباب، فعاد مملوءًا ترابًا كما كان.

وقال بكر بن عبد الرحمن: كنت معه في البادية، فجلسنا تحت أم غيلان فقلت: ما أطيب الموضع لو كان فيه رطب فحرك الشجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطبًا جنيًا، فتساقط علينا الرطب، فأكلنا وشبعنا، ثم نمت وقمت

فحركت الشجرة فنثرت شوكًا.

وكسر إنسان ثنية آخر، فأراد الترافع للأمير قمرًا على الشيخ، فأخذها ووضعها في محلها، فوجد الرجل أسنانه كما كانت ولم ير لمحل القلع أثر.

وقال السلمي: دخلت عليه فرأيت بين يديه طستًا من ذهب وحوله ند وعنبر، فأعطاني درهمًا، فأنفقت منه إلى أن وصلت إلى مقصدي.

ومن وقائعه في سياحاته – ما حكي – قال: بينما أنا أسير في نواحي الشام إذ وقعت على روضة خضراء، وإذا بشابٍ يصلي تحت الشجرة، فسلمت فأوجز في صلاته ولم يرد، ثم كتب بأصبعه في الأرض:

مُنِعَ اللِّسَانُ مِنَ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ   سَبَبُ الرَّدَا وَجَالِبُ الآفَاتِ
فَإِذَا نَطَقْتَ فَكُنْ لِرَبِّكَ ذَاكِرًا   وَإِذَا سَكَتَّ فَعِدْ مَوْتَكَ آتِ

قال: فبكيت وكتبت بأصبعي في الأرض:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَبْلَى   وَيُبْقِي الدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاه
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ   يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاه

فصاح الشاب فمات، فقمت لأجهزه وأدفنه وإذا بقائل: خلّف عنه، فإن الله وعده ألاّ يتولاه إلا ملائكته، فالتفتُّ فلم أره.

وقال: بينما أنا أسير في بعض سياحتي، فإذا أنا بصوتٍ حزينٍ كئيبٍ موجعِ القلب، أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول: سبحان مفني الدهور، مخرّب الدور، سبحان باعث من في القبور، سبحان مميت القلوب، فاتبعت الصوت فإذا بإنسان يقول: سبحان من لا يسع الخلق إلا ستره، سبحانك. فاتبعت الصوت، فإذا بإنسان يقول: سبحان من لا يسع الخلق إلا ستره، سبحانك، ما ألطفك بمن خالفك، وأوفاك بعهدك، سبحانك ما أحلمك على من عصاك.

ثم قال: سيدي، بحلمك نطقت، وبفضلك تكلمت، فيا إله من مضى قبلي ومن يكون بعدي بالصالحين فألحقني، ولأعمالهم وفقني.

ثم قال: إن الزهاد والعباد نزل بهم الزمان فأبلاهم، وحل بهم البلاء فأفناهم فهل انتظر إلا مثل ما أصابهم فانصرفت وتركته باكيًا.

وقال: دخلت غارًا بجبل، فوجدت فيه رجلاً يتعبد، فسألته عن مسألة في المحبة،

فذاب كما يذوب الرصاص ثم صار تدر النطفة بلا عظمٍ ولا لحم، فالتقطه بقطنة ودفنته.

وقال: بينما أنا أسير في جبال بيت المقدس إذ سمعت قائلاً يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخدام، ولهيت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام، فتبعت الصوت، فإذا هو شاب أمرد قد علاه اصفرار، يميل الغصن إذا ميلته الريح، فلما رآني توارى مني بالشجر، فقلت له: ليس الجفاء من أخلاقهم فأوصني فخرّ ساجدًا، وجعل يقول: هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك وألف محبتك، فيا إله القلوب، وما تحويه من جلال عظمتك، احجبني عن القاطعين لي عنك.. ثم غاب فلم أره.

وقال: رأيت في جبل لبنان رجلاً أغبرًا نحيفًا يصلي، فسلمت فرد، فما زال راكعًا ساجدًا حتى صلى العصر، ثم استند إلى حجر ولم يكلمني فقلت: ادع لي فقال: آنسك الله بقربه، قلت: زدني، قال: من آنسه الله بقُربه أعطاه أربعًا: عزًّا من غير عشيرة، وعلمًا من غير طلب، وغنى بغير مال، وأنسًا بغير جماعة، ثم شهق فلم يفق إلا بعد ثلاث فقال: انصرف عني بسلام، قلت: أوصني قال: أحبب مولاك ولا ترد بحبه بدلاً.

وقال: بينما أنا أسير في جبال أنطاكيا إذا بجارية كأنها مجنونة عليها جبة صوف، فسلمت فردّت وقالت: ذا النون.. قلت: كيف عرفتني؟ قالت: بمعرفة حب الحبيب، ثم قالت: ما السخاء؟ قلت: البذل والعطاء، قالت: هذا سخاء الدنيا فما سخاء الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة رب العالمين، قالت: فإذا سارعت إلى طاعته فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئًا، ويحك، إني أريد أن أطلب منه شيئًا منذ عشرين سنة فأستحي منه مخافة أن أكون كأجير السوء، إذا عمل طلب الأجر؛ لكن اعمل عظيمًا لهيبته وعز جلاله. وذهبت وتركتني.

وقال: رأيت في تيه بني إسرائيل سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن، شاخصة ببصرها نحو السماء، فقلت: السلام عليك يا أختاه، قالت: وعليك السلام يا ذا النون، قلت: من أين عرفتني؟ قالت: يا بطال، إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان، قلت: أراك حكيمة، فعلميني ما علمك الله، قالت: يا أبا الفيض، ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله، ويبقى القلب مصفى لا شيء فيه غيره، فحينئذ يقيمك على الباب، ويوليك ولاية جديدة، ويأمر الخزان لك بالطاعة، قلت: زيديني، قالت: خذ من نفسك لنفسك، واطلع الله إذا خلوت يجيبك إذا دعوت والسلام.

وقال: كنت في جبل «الكام»، فرأيت رجلاً قاعدًا مطرقًا، فقلت: ما تصنع هنا؟ قال: أنظر وأرعى، قلت: ما أرى عندك إلا الأحجار، فما الذين تنظره وترعاه؟ فنظر إلي مغضبًا، وقال: أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي، فبحق من أطلعك علي ألا رحت عني، قلت: كلمني بشيء أنتفع به وأذهب، قال: من لزم الباب أُثبتَ من الخدم، ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة الندم، ومن استغنى بالله أمِن من العدم، ثم تركني ومضى.

وقال: مررت في وادي كنعان ليلاً، وإذا بشخص أقبل يقرأ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:47]، فلما قرب إذا به امرأة، فقالت: من أنت؟ قلت: غريب، قالت: وهل تجد مع الله غربة، مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء، فبكيت فقالت: ما هذا البكاء؟ قلت: قد وقع الدواء على الداء قالت: إن كنت صادقًا فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت:لا؛ لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئًا أحق من الشهيق والزفير، وأما البكاء فهو ضعف.

وقال: كنت على شاطئ النيل، فرأيت عقربًا، فأردت قتلها فهربت، فوقفت على الشاطئ، فركبَت على ظهر ضفدعة، فقامت بها حتى وصلت للجانب الآخر فنزلت عن ظهرها، وإذا برجل نائم وهو سكران، وثعبان قد أقبل عليه ليلدغه، فأسرعت العقرب نحو الثعبان فلدغته فتقطع، فأيقظتُ الرجل، فقام مرعوبًا، فأخبرته الخبر، فأطرق ثم قال: يا رب، هكذا تفعل بمن عصاك، فكيف بمن أطاعك؟ فوعزتك لا عصيتك أبدًا.

وقال: اجتمعت في جبل نيسان بامرأة متعبدة كالشَّنِّ البالي، كأنها تخبر عن أهل المقابر، فسألتها أين موطنك؟ قالت: مالي وطن إلا النار أو يعفو العزيز الغفار، قلت: هل من وصية؟ قالت: شمِّر عن ساق الجد، ودع ما يتعلق به البطالون من الرجاء الكاذب الذي لا تحقيق لهم فيه، ولا يدرون كيف العواقب، فو الله لا يرِدُ غدًا المنزل إلا المضمرون.

وقال: ركبت سفينة، فسُرقت منها قطيفة، فاتهموا رجلاً نائمًا، فقلت: دعوني أترفق به، وإذا الشاب أخرج رأسه من عباءته وقال: أقسمت عليك بي يا رب لا تدع واحدًا من الحيتان إلا أتى بجوهرة، وإذا بوجه الماء كله حيتان في أفواهها الجواهر، ثم ألقى نفسه في البحر ،ومرّ على وجه الماء الساحل كالبرق.

وقال: رأيت شابًا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود، فقلت له فيه فقال: أنتظر الإذن من ربي بالانصراف، فسقطت عليه رقعة من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق مغفورًا لك.

وقال: مررت في سياحتي برجل عنده عين ماء تجري، فأقمت عليه يومًا وليلة فلم يكلمني ثم قال: رأيتك يا بطّال حين أقبلت لكن ما ذهب فزعك من قلبي إلى الآن، قلت: ما الذي أفزعك مني؟ قال: بطالتك في يوم عملك، وشغلك في يوم فراغك، وتركك الزاد ليوم معادك، ومقامك على المظنون، قلت: إن الكريم ما ظن به أحد شيئًا إلا أعطاه، قال: إنه لكذلك إذا وافقه عمل صالح وتوفيق، قلت: أوصني، قال: عليك بمعاتبة نفسك إذا دعتك إلى بلية، ومنابذتها إذا دعتك إلى فترة، فإن لها مكرًا وخداعًا، فإن فعلت هذا أغناك عن الخلق، وسلمك من مجالسة الفاسقين.

وقال: رأيت بسواحل الشام امرأة فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: من عند قوم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قلت: وإلى أين؟ قالت: إلى قوم ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [السجدة:16]، [النور:37].

وقال: رأيت على شاطئ البحر جارية مكشوفة الرأس سفرة.. فقلت لها: استري وجهك بخمار، قالت: وما يصنع الخمار بوجه علاه الاصفرار، إليك عني يا بطال، فإني شربت البارحة بكأس المحبة مسرورة، فأصبحت اليوم من حُبه مخمورة.

فقلت: أوصيني، قالت: عليك بالسكوت، ولزوم البيوت، وارض بالقوت حتى تموت.

وقال: رأيت في سياحتي شيخًا فقلت: كيف الطريق إلى الله؟

وقال: دع طريق الخلاف والاختلاف.

قلت: أليس اختلاف العلماء رحمة؟ قال: إلا في تجريد التوحيد.

قلت: ما تجريده؟ قال: فقدان رؤية ما سواه لوجدانه.

قلت: هل يكون العارف مسرورًا؟ قال: وهل يكون محزونًا؟

قلت: أو ليس من عرف الله طار همه؟ قال: بل من عرفه زال همه.

قلت: أليس من عرف الله صار مستوحشًا؟ قال: معاذ الله، بل يكون مهاجرًا متجددًا.

قلت: وهل يأسف العارف على شيء غير الله؟

قال: وهل يعرف غير الله فيأسف عليه؟ قلت: وهل يشتاق إلى ربه.

قال: وهل يغيب عليه طرفة عين حتى يشتاقه؟ قلت: ما اسم الله الأعظم.

قال: أن تقول الله وأنت تهابه. قلت: كثيرًا ما أقوله، ولا تداخلني هيبة.

قال: لا تقول الله من حيث أنت لا من حيث هو. قلت: عظني؟
قال: حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك. قلت: فما تأمرني؟
قال: لا تنس اطلاعه عليك في جميع أحوالك.

وكلموه وهو في النَّزع فقال: لا تشغلوني، فقد عجبت من كثرة لطف الله بي.

ولما احتضر قيل له: ما تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل موتي.

مات سنة خمس وأربعين ومائتين، ودفن بالقرافة وقبره بها ظاهر مقصود بالزيارة وعليه أنس ومهابة.

وهو بقرب قبر سيدنا عقبة بن عامر الجهني الصحابي.

وقيل: بل هو وعقبة وعمرو بن العاص الثلاثة في قبرٍ واحد.

وعند قبر ذي النون قبر صاحب الدراية، وذلك أن ذا النون قيل له في النوم: اقعد غدًا على شفير الخندق يجيء ميت من الأولياء فصلِّ عليه، فلما أصبح قعد، فجاء رجلان يحملان ميتًا على دراية، فوضعوه، فصلى عليه ودفنه، وأوصى أن يدفن تحت رجليه.

عجيبة: حكي صاحب الترجمة عن الجوهري أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن وهو جنب، فجاء إلى شطِّ النيل، فنزل الماء ليغتسل، فرأى وهو في الماء مثل ما يرى النائم كأنه ببغداد، وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين وأولدها أولادًا، ثم رد إلى نفسه، وهو في الماء فخرج ولبس ثوبه، وأخذ خبزه من الفرن، وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره، فبعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في تلك الواقعة تسأل عن داره، فلما رآها عرفها وعرف الأولاد، وقيل لها: متى تزوجك؟ قالت منذ ست سنين وهذه أولاده مني.

فخرج في الحس ما وقع في الخيال.

وقال ابن عربي: وهذه من مسائل ذي النون الست التي تحيلها العقول، فلله قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام، كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم السمع والبصر وغيرهما، فاختص الله أولياءه بقوى مثل هذه الحكاية، فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار، ولا يعرف هذه القرب إلا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي، وما يجده به من الأمور الواسعة في النفس الفرد وطرفة العين، ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال، فيعرف هذا القرب، وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة.

◆◆◆

الحسين بن علي الجوزجاني[1]

أبو علي الجوزجاني ومنهم أبو علي الجُوزْجَانِيُّ، واسمه الحَسنُ بن علي، من كبار له التصانيف المشهورة.

من كبار مشايخ خراسان، مشهور بالرياضة والمعارف والمجاهدات اللطائف، إمام عظم شرفه، وشيخ علت في جنة الورع غرفه، صَحِب محمد بنَ علي التِّرْمِذِيَّ، ومحمد بنَ الفَضْل، وهو قريب السِّن منهم، والبلخي لقرب منهما.

تكلَّم في علوم الآفاتِ والرِّياضاتِ والمجاهداتِ، ورُبَّما تكلَّم أيضًا في شيء من علوم المعارف والحِكم.

ومن كلامه وفوائده:

ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبة، فزيادة الخوف من ترك الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة، فالخائف لا يستريح من الهرب، والراجي لا يستريح من الطلب، والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب، فالخوف نار ينوّر، والرجاء نور ينوّر، والمحبة نور الأنوار.

وقال: في البخل ثلاثة أحرف الباء: وهو البلاء، والخاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم، فالبخيل بلاء على نفسه وخاسر في سعيه وملوم في بخله.

وقال: كن صاحب استقامة لا طالب كرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك مطالبك بالاستقامة.

وقال: «ثلاثةُ أشياء من عَقْد التوحيد»: الخوف، والرجاء، والمحبَّة، فزيادةُ الخوف من كَثْرة الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادةُ الرجاءِ من اكتساب الخير لرؤية الوَعْد، وزيادةُ المحبَّة من كثرة الذكر لرؤية المِنَّة، فالخائفُ لا يستريح من الهَرَب، والراجي لا يستريح من الطَّلَب، والمحبُّ لا يستريح من ذِكْر المحبوب، فالخوف نار مُنَوَّرة، والرجاء نور منوِّر، والمحبَّة نور الأنوار.

وقال أبو علي الجُوزْجاني يقول في البخل: هو ثلاثة أحرف: الباء، وهو البلاء، والخاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم.

فالبخيل بلاء في نفسه، وخاسر في سعيه، وملوم في بُخْلِه.

---

(1) طبقات الصوفية (246)، الحلية (10/ 350)، طبقات الأولياء (333)، الكواكب الدرية (334).

وقال: السابقون هم المقرَّبون بالعطيّات، والمرتفعون في المقامات، وهم العلماء بالله من بين البَرِيَّة. عَرفوا حق معرفته، وعبدوه بإخلاص العبادة، وآووا إليه بالشوق والمحبة. وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾.

وقال: من علامات السعادة على العبد تيسيرُ الطاعة عليه، وموافقته للسُّنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن خُلُقه مع الأخوان، وبَذْل مَعْروفه للخَلْق، واهتمامُه للمسلمين، ومراعاتُه لأوقاته.

وقال: الشَّقي مَن أظهر ما كتم الله من معاصيه.

وسأله بعضُ أصحابه: كيف الطريقُ إلى الله؟ فقال: الطرق إليه كثيرة، وأصَحُّ الطرقِ وأعمرُها، وأبعدُها عن الشُّبَه، اتباعُ السنة قولاً وفِعلاً، وعقدًا ونية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ فسأله: كيف الطريق إلى اتباع السنة؟ فقال: مُجانَبةُ البِدَع، واتباعُ ما اجتمع عليه الصَّدرُ الأوَّلُ من علماء الإسلام، والتباعُدُ عن مجالس الكلام وأهله، ولزومُ طريق الاقتداء والاتِّباع؛ بذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله عز وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

وقال: الخَلْق كلهم في ميادين الغَفْلة يَرْكُضون، وعلى الظُّنون يعتمدون، وعندهم أنهم في الحقيقة يتقلَّبون، وعن المكاشَفَة يَنْطِقون.

يحيى بن معاذ الرازي[1]

المادح الشكّار، القانع الصبّار.

كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، له سطوة تكف الأيدي عن الجور، ومهابة تزعزع كل جبار متعدي الطور.

لزم الحداد توقيًا من المعاد، واستلذ السهاد تحريًا للوداد، واحتمل الشداد توصلاً إلى العتاد.

وكان يلبس الخلقان والعباءة في بداية أمره، ثم صار يلبس الناعم من الثياب، فبلغ

(1) حلية الأولياء (10/ 51)، وصفة الصفوة (4/ 71)، والرسالة القشيرية (1/ 101)، وطبقات الشعراني (1/ 94)، ووفيات الأعيان (2/ 296) وتاريخ بغداد (14/ 208)، والشذرات (2/ 138)، والبداية والنهاية (11/ 31)، وسير أعلام النبلاء (13/ 15)، والنجوم الزاهرة (3/ 30)، وطبقات الصوفية (107)، وطبقات الأولياء (321)، آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 155).

ذلك أبا يزيد البسطامي فقال: مسكين من لم يقدر على لبس الخشن، فكيف يقدر على الناعم أو يصبر عليه بلا ميل وشهوة؟

ويقال: كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي: ها هنا من شرب من كأس المحبة لم يظمأ بعده.

فكتب إليه أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك!! هاهنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد.

واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب، ولا تدار إلا على أسرار معتقة، وأرواح عن رقق الأشياء محررة.

كان شيخ الوقت وصاحب اللسان في الوعظ والقبول عند الناس، إلى أن اتصل بزين العارفين أبي يزيد البسطامي، فرأى من حالاته ما تحير فيها، فعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فلازم خدمته وذكر عنه حكايات عجيبة.

وحكي أنه رأى أبا يزيد من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزًا على صدور قدميه، رافعًا أخمصيه ضاربًا بذقنه على صدره، شاخصًا بعينيه لا يطرف، ثم سجد عند الفجر فأطال ثم قعد وقال: اللهم إن قومًا طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي على الهواء فرضوا منك بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قومًا طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض ورضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قومًا طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فإنهم رضوا بذلك، *وإني أعوذ بك من ذلك، حتى عد نيفًا وعشرين مقامًا من مقامات الأولياء، ثم التفت إلي فرآني* فقال: يحيى! قلت: نعم يا سيدي! فقال: منذ متى أنت هنا؟ قلت: منذ حين. فسكت فقلت: يا سيدي حدثني بشيء. فقال: أحدثك بما يصلح لك، ادخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي وأراني الأرض وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه وقال: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك! فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئًا استحسنته فأسألك إياه. فقال: أنت عبدي حقًا بعبدي لأجلي صدقًا لأفعلن بك ولأفعلن! وذكر أشياء! قال يحيى: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت: يا سيدي لم ما سألته المعرفة به وقد قال لك سلني ما شئت؟ قال: فصاح في صيحة وقال لي: اسكت! ويلك غرت عليه مني؟ لا أحب أن يعرفه سواه.

ومن فوائده: إن وضعَ الله على عباده عدله لم يُبق لهم حسنة، وإن أنالهم فضله لم يبق

عليهم سيئة.

وقال: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة بالقلوب.

وقال: من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلق.

وقال: الوحدة جليس الصديقين.

وقال: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم.

وقال في مناجاته: رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع العمل؛ لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وأنا بالآفات معروف، وأعتمد في الذنوب على عفوك وأنت بالجود موصوف.

وقال: مسكين ابن آدم، قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

وقال: العارف يشتغل بربه عن مفاخرة الأشكال في مجالس العطايا، وعن منازعة الأضداد في مجالس البلايا.

وقال: تضاحكت الأشياء إلى العرافين بأفواه القدرة عن مليكهم لما يرون فيها ويعانون من بدائع خلقه معها، فلهم في كل شيء معتبر، وعند كل شيء مدكر.

وقال: زلّة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها.

وقال: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

وقال: العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبني قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

وقال: إذا لم يكن الإيمان هادمًا للسيئات كما أن الكفر هادم للحسنات فما فضل الإيمان؟

وقال: لا يفلح من شمت منه رائحة الرئاسة.

وقال: جماع الأمر في شيئين: سلوك القلب مع الله على حصول ما قسم، والاجتهاد في رضاه.

وقال: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند موته: يؤخذ عنه كله، ويسأل عنه كله.

وقال: لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت وأنت سددتَ طرقها بالذنوب وأكلِ الحرام.

وقال: اترك الدنيا قبل أن تتركك، واجتهد في رضا ربك قبل لقائه، وعمّر بيتك الذي

تسكنه قبل انتقالك إليه، يعني القبر.

وقال: الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمروها.

وقال: ليس من العقل بنيان القصور على الجسور.

وقال: ذنب أفتقر به أحب إليَّ من طاعة أعجب بها.

وقال: حقيقة المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء.

وقال: الدنيا خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة عمران وأعمر منها قلب من يطلبها.

وقال: أخوك من عرفك العيوب، وصديقك من حذرك الذنوب، وعجب ممن يحزن على نقص ماله كيف لا يحزن على نقص عمره؟!.

وقال: من قوة اليقين ترك ما ترى لما لا ترى.

وقال: لا تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت، ولا تفرح بموجود لا يتركه الموت في يديك.

وقال: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لا يفيق إلا في عسكر الموتى.

وقال: التواضع حسن في كل أحد، لكنه في الأغنياء أحسن، والتكبر قبيح في كل أحد، لكنه في الفقراء أقبح.

وقال: الجوع نور والشبع نار، والشهوة كالحطب يتولد منه الإحراق، ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبه.

وقال: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات.

وقال: إن الله رضي عن قوم فغفر لهم السيئات، وغضب على قوم فلم يقبل منهم الحسنات.

وقال: الدنيا بحر التلف والنجاة منه الزهد.

وقال: يا غفول يا جهول، لو سمعت صرير القلم حين يجري بذكراك في اللوح المحفوظ متَّ طربًا.

وقال: من أصبح بالدنيا مشغولاً أصبح الخير عنه مصروفًا.

وقال: على قدر حب العبد لله يحببه إلى عباده، وعلى قدر توقيره لأمره يوقره خلقه.

وقال: لا تكن ممن فضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه.

وقال: بقدر تعلق قلبك بالدنيا يكون بعدك عن الله.

وقال: إذا أحب القلب الخلوة فقد يوصله حبه إلى الله والأنس به، ومن أنس بالله استوحش من غيره.

وقال: أعمال كالسراب وقلوب من التقوى خراب، وذنوب بعدد التراب، وتطمع مع هذا في الكواعب الأتراب؟! هيهات هيهات أنت سكران بغير شراب.

وقال: الوحدة جليس الصديقين والفوت أشد من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

وقال: الزهد ثلاثة أشياء: القلة والخلوة والجوع، ومن خان الله تعالى في السر هتك ستره في العلانية.

وقال: من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع المريدين ذهبًا ومع العارفين درًّا وياقوتًا- فليس من حكماء الله المريدين.

وقال: أحسن شيء كلام صحيح من لسان فصيح.

وقال: ما بعد طريق إلى صديق.

وقال: مسكين ابن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة.

وقال: ما صحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشتهاء اشتهاء الجائع إلى الطعام.

وقال: من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقال: التوحيد نور والشك نار، ولنور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشك لحسنات الموحدين.

وقال: إن نظر إليك مرة فرغك لذكره، وإن فرغك لذكره منّ عليك بحبه، وإن منّ عليك بحبه ناجاك بقربه.

وقال: إن لله عبادًا إذا مشوا على الأرض اهتزت تحت أقدامهم سرورًا بهم.

وقرئ عنده: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه:44]، وقال: هذا رفقك بمن يقول أنا إله، فكيف رحمتك بمن يقول: أنت الإله؟ هذا رفقك بمن يعاديك فكيف بمن يتولاك ويناديك؟ هذا رفقك بمن يقول أنا الرب فكيف بمن يقول أنا العبد وأنت الرب؟.

وقال: كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم، هذا استغفر الله وقلبه فاجر، وهذا

ساكت وقلبه ذاكر.

ودخل على علوي زائرًا فقال العلوي: ما يقول الأستاذ فينا أهل البيت؟ فقال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي وغرس بماء الرسالة؟ فهل يفوح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقى؟ فملأ العلوي فاه درًا ثم زاره العلوي من الغد فقال له يحيى: إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائرًا ومزورًا.

مات بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين.

❖ ❖ ❖

فاطمة النيسابورية[1]

كانت من المصطفيات العابدات العارفات، وهي أستاذة ذي النون المصري، وزارها أبو يزيد البسطامي وقال: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة، والمرأة فاطمة النيسابورية، ما أحدثها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عيانًا.

وقال ذو النون: ما رأيت أجل منها.. وكانت مقيمة بمكة.

ومن كلامها: من كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص.

وقالت: من لم يراقب الله في كل حال فإنه ينحدر في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن راقب الله في كل حال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص له.

وقالت: الصادق والمقرب في بحر تضطرب عليه أمواج، يدعو ربه دعاء الغريق يسأله الخلاص والنجاة.

وقالت: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص.

وقال لها ذو النون- وقد اجتمعا ببيت المقدس-: عظيني فقالت: الزم الصدق، وجاهد نفسك في أفعالك.

ماتت بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائة.

❖ ❖ ❖

(1) طبقات الشعراني (1/ 56)، وأعلام النساء (4/ 147)، وصفة الصفوة (4/ 123)، وجامع كرامات الأولياء (2/ 232).

أبو الحسين النوري[1]

أحمد بن محمد النوري أبو الحسين، بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصل[2].

كان عليّ الهمم، عظيم الكرم.

وقد قيل: التصوف: كفٌّ فارغ، وقلبٌ طيب.

وهو من أقران الجنيد صحب السري وابن أبي الحواري، نعم، وكان كبير الشأن عجيب الفطنة، عظيم البيان ذا رياسة في الفنون، وسيادة في التصوف، وتفنن في علوم الحقائق، وجَدَّ واجتهد في طلب خير الطرائق بلغ به السمو الحسني وزيادة، انتهت إليه الرياسة الصوفية في عصره، وسيادة أهل الطريق في مصره.

وكان الجنيد يعظمه جدًا، ذكر أن أحدهم رأى النوري في رياسته يمد يده، ويسأل الناس فاستقبح ذلك، وأخبر الجنيد رحمه الله فقال: لا يعظم عليك ذلك، فإنه لم يسأل الناس إلا ليعطيهم في الآخرة - أي الثواب - ثم وزن الجنيد مائة درهم بميزان، وقبض قبضة وألقاها عليه، وقال: احملها إليه، فقال الرجل في نفسه: إنما وزن المائة ليعرف قدرها، فكيف خلط بها المجهول وهو حكيم؟ فذهب بها إلى النوري رحمه الله فوزن مائة وقال: ردّها عليه، وقل له: لا أقبل منك شيئًا، وأخذ ما زاد، فزاد تعجب الرجل، فسأل النوريَّ عن ذلك، فقال: إنَّ الجنيد يريد أخذ الحبل بطرفيه، وزن مائة لنفسه طلبًا للثواب، وطرح عليها قبضة بلا وزن لله، فأخذنا مال الله وردد ما جعله لنفسه، فَرَدَّها على الجنيد وأخبره؛ فبكى، وقال: أخذ ما له ورد ما لنا.

قال الخطيب البغدادي: وهو أعلم العراقيين بلطائف علم القوم.

واعتل النوري فبعث إليه الجنيد بصرة دراهم فردها ثم اعتل الجنيد فعاده النوري وقعد عنده ووضع يده على جبهته فعوفي فورًا، فقال له: إذا عدت إخوانك فارقهم بمثل هذا البر.

---

(1) انظر في ترجمته: طبقات الصوفية (2)، (ص164)، وحلية الأولياء (10/ 149)، وصفوة (2/ 294)، والمنتظم (6/ 77)، وتاريخ بغداد (5/ 130)، والبداية والنهاية (11/ 106)، والطبقات الشعرانية الكبرى (1/ 26).

(2) قال ابن الأعرابي: أبو الحسين النوري خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الرُّوذ يقال لها: بغشور، لذلك كان يعرف بابن البغوي.

وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلامًا.

ولما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة وأمر بضرب أعناقهم فأحضروا وأحضر السياف، فبادر إليه النوري، فقال السياف: تدري لم تبادر؟ قال: نعم لضرب العنق أوثر أصحابي بحياة لحظة، فتحير السياف ورمى السيف وأخبر الخليفة فرد أمرهم لقاضي قضاة بغداد فسألهم عن مسائل، فالتفت النوري يمينًا وشمالاً ثم أطرق ثم أجاب فأعجبه، ثم قال: إن لله عبادًا يقومون بالله، ويروحون بالله، وينطقون بالله، ويحيون بالله، ويموتون بالله، ويرجعون في كل أمورهم إليه، ويتوكلون عليه، ويثقون بجميل نظره إليهم فبكى القاضي، وقال للخليفة: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم، فأطلقهم وسأله القاضي عن التفاته، فقال: سألت صاحب اليمين فقال: لا أعلم، وصاحب الشمال، فقال كذلك، فسألت قلبي فأخبرني عن ربي فأجبت.

وكان شديدًا في تغيير المنكر ولو كان فيه تلفه، نزل الدجلة يومًا يتوضأ فرأى زورقًا فيه ثلاثون دنا خمرًا فسأل عنها فقيل: للخليفة المعتضد، وكان قليل الرحمة جدًا فأخذ مدراة فكسرها إلا واحدًا، فقبض عليه وأحضر إلى المعتضد، وكان يسبق سيفه كلامه فلما رآه قال: من أنت؟ قال: محتسب، وقال: مَن ولاك الحسبة؟، قال: الذي ولاك الإمامة، فأطرق ثم قال: ما الذي حملك على ذلك؟ قال: الشفقة عليك قال: كيف تركت دنا واحدًا، قال أعجبتني نفسي عند وصولي إليه فتركته، فخلّ سبيله.

ومن فوائده: التصوف ترك كل حظ للنفس.

وقال: أعز الأشياء في زماننا عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة.

وقال: كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت مزابل على الجيف.

وسئل عن الرضا، فقال: عن وجدي تسألون؟ أو عن وجد الخلائق؟ قالوا: عن وجدك قال: لو كنت في الدرك الأسفل من النار كنت أرضى ممن هو في الفردوس الأعلى.

وقال: لا يصح لعبد مقام المشاهدة وفيه نظر لغير الله، ومتى طلع الصباح استغنى عن المصباح.

وساح فجاع في البادية أيامًا فهتف به هاتف أيها أحب إليك سبب أو كفاية؟ قال: كفاية ليس فوقها نهاية، فقعد بعده بضعة عشر يومًا لا يأكل.

وقال: الجمع بالحق تفرقة عن غيره، والتفرقة عن غيره جمع به.

وقال: من وصل وده أنس بقربه ومن توصل بالوداد فقد اصطفاه الله من بين العباد.

قال: من عقل أن الأشياء كلها بالله فرجوعه في كل حالاته إليه.

وقال: الفقير الصادق من لا يتهم الله في الأسباب؛ ويسكن إليه في كل حال.

ودخل عليه الشبلي وهو معتكف فوجده ساكنًا لا يتحرك، فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكون؟ قال من سنور لي إذا أراد الصيد لا يتحرك منه شعرة. وقال: لا تصل إلى أوائلِ أوّل مبدأ حواشي علمِ بدءِ المعرفة حتى تخوض إلى الله سبعة بحار أشد من النيران بحرًا بعد بحر فعسى بعد ذلك يقع لك أوائل بدأ المعرفة.

وقال: نعت الفقير السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجدان.

وقال: أباح الله العلم لجميع العامة وخصّ بالمعرفة أولياء، وبالمكاشفة أصفياءه، وبالمشاهدة أحباءه، واحتجب بربوبيته عن جميع بريته، فإذا ظنوا أنهم عرفوا تحيروا، وإذا توهموا أنهم كوشفوا احتجبوا، فسبحان من أمره عجيب.

وسمع رجلاً يؤذن فقال: طعنة وسم الموت.

وسمع كلبًا ينبح، فقال له: لبيك وسعديك فأنكر عليه، فقال المؤذن: ذكره على رأس غفلة، والكلب يسبحه حقيقة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:44]، وكان يكره ظهور الكرامة عليه، وأتى ليلة دجلة ليعدي فالتصق له الشط بالشط فوقف، وقال: وعزتك وجلالك لا أعبر على دجلة في هذه الليلة إلا على زورق بقيراط.

ونزل في الماء ليغتسل فجاء لص فأخذ ثيابه ومضى فرجع بعد ساعة بالثياب وقد جفت يداه فقال: إلهي كما رددت عليّ ثيابي فاردد عليه يديه فعوفي.

وقال أحدهم: احتبس على أهلي الولد فجئته بجام أتبرك بخطه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فانفلق الجام وسقط مغمى عليه فأتيته بآخر فكان كذلك، ثم ثالث ورابع وخامس وهكذا والحال الحال فقال: يا هذا اذهب إلى غيري فلو جئت بها أمكن أن تجيء به لم يمكن إلا ما رأيت فإني عبد إذا ذكرت مولاي ذكرته بهيبة وحضور.

وسبب موته أنه سمع قائلاً يقول:

لازلتُ أنزلُ من ودادِكَ منزلا تتحيّرُ الألبابُ عندَ نزولِهِ

فتواجد وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قطع وبقيت أصوله كالسيف فمشى عليها، ولم يشعر فسال الدم من بدنه ثم وقع كالسكران ومات، ولما احتضر قيل له: ما تشتهي؟ فرفع رأسه وقد انكسر لسانه وقال: أشتهي شهوة كبيرة، قيل: وما هي؟ فقال: رؤية

الله ثم تنفس نفسًا عاليًا كالمتواجد وفارق الدنيا سنة خمس وتسعين ومائتين، ولما حملت جنازته صاح الشبلي خلفه: أضرموا على الأرض النار فقد رفع العلم، وقيل له عند النزع، قل: لا إله إلا الله فقال: أليس إليه نعود؟

◆ ◆ ◆

شقيق بن إبراهيم البلخي(1)

الزاهد العابد، العلي الشأن، العجيب البرهان، من أكابر السادة وأعاظم مشايخ الطريق القادة.

كان يقول بطرح المكاسب والمطالب، والتوجه في الأسباب والمذاهب، قدّم للمعاد، وتنعّم للوداد، وثق بكفالة الكفيل فتوكل، واجتهد فيما ألزمه فتحمّل وحصّل.

وقد قيل: التصوف الركون والسكون ونحول الأعضاء والغضون، والتخلي عن القرى والحصون.

كان من أجل مشايخ خراسان، له كلام حسن في التوكل فاق به الأقران، طالما خاض في المجاهدة الغمرات، واصطلى في الرياضة حرّ الجمرات، حتى قامت الأدلة على فضله، وأجلب إلى النفس والشيطان بخيله ورجله.

ومن فوائده: عملت بالقرآن عشرين سنة حتى ميّزت أعمال الدنيا من أعمال الآخرة، ووجدتها في حرفين: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى:36].

وقال: لا تتعب في طلب الدنيا؛ فإنه إذا قسم لك الفقر لا تكون غنيًا.

وقال: الفقراء إذا طمعوا في الأغنياء فقد اتخذوهم أربابًا من دون الله.

وقال: إذا صار الفقير يخاف من الغنى كما يخاف من الفقر فقد تم زهده.

وقال: الرعاة في كل عصر العلماء والصوفية، وإذا صار رعاة الغنم هم الذئاب فمن يحفظ الغنم؟

وقال: جعل الله أهل طاعته أحياء في مماتهم، وأهل المعاصي أمواتًا في حياتهم.

(1) حلية الأولياء (8/ 58)، وصفة الصفوة (4/ 159)، والجرح والتعديل (4/ 373)، وشذرات الذهب (1/ 431)، وطبقات الشعراني (1/ 76)، وسير أعلام النبلاء (9/ 313)، والوافي بالوفيات (16/ 173)، وفيات الأعيان (2/ 279)، الكواكب الدرية (113) بتحقيقنا.

وقال: إن أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس، بأيهما يكون أوثق.

وقال: تعرف تقوى الرجل في ثلاثة: في أخذه، ومنعه وكلامه.

وقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، بل في معرفة الله والرضا عنه، وأن يكون بما في يده أوثق منه بما في يد الخلق.

وقال: ميِّز بين من تعطيه وبين من يعطيك، فإن كان من يعطيك أحب إليك فأنت محب للدنيا، أو تعطيه أحب إليك فأنت محب للآخرة.

وقال: من دار حول العلو في دار الدنيا، فإنما يدور حول النار في الآخرة.

وقال: اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منها منفعتك واحذر أن تحرقك.

وقال: العبادة عشرة أجزاء: تسعة في الهرب من الناس، وواحد في السكوت.

وقال: إن أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت، والبس ما وجدت، وارض بقضاء الله.

وقال: دخلت على أستاذي أبي هاشم الرمَّاني ﷺ وبطرف كسائي شيء مصرور، فقال: ما هذا؟ فقلت: لويزات دفعهن لي أخي وقال: تفطر عليهن، فقال: ويل شقيق، تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل؟ لا أكلمك أبدًا، وأغلق في وجهي الباب.

وقال: إنما أغلق باب التوفيق على الخلق من ستة أشياء:

- بأخذهم النعم، وتركهم الشكر.
- وبتعلمهم العلم للدنيا، وتركهم العمل للراحة.
- وبمسارعتهم إلى الذنوب، وتسويفهم بالتوبة إلى غد.
- وبطول صحبتهم للصالحين، وتركهم الاقتداء بأفعالهم.
- وبدفنهم موتاهم وعدم اعتبارهم بهم.
- وبأن الدنيا مدبرة عنهم وهم يتبعونها، والآخرة مقبلة نحوهم وهم عنها غافلون.

أسند الحديث وأخذ الفقه عن أبي حنيفة ﷺ وغيره، وعنه حاتم الأصم، وأيوب ابن الحسن الزاهد.

قال الذهبي رحمه الله: سافر مرة وفي صحبته ثلاثمائة فقير من العباد الزهاد.

وكان المأمون بخراسان في أول أمره، فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به، واجتمع به

قبله أبوه الرشيد، وقال له: أنت شقيق الزاهد؟ قال شقيق ولست بالزاهد، قال: أوصني قال: إن الله قد أجلسك مكان الصديق، وإنه يطلب منكم مثل صدقه، وأعطاك موضع الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله، وأقعدك مقعد ذي النورين ويطلب منك مثل حيائه وكرمه، وأحلك محل علي كرم الله وجهه ويطلب منك العلم والعدل كما كان، فقال: زدني فقال: إن لله دار تعرف بجهنم، وإنه جعلك بواب تلك الدار، وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال، والسوط، والسيف، وأمرك أن تمنع الناس من دخولها بهذه الثلاث، فمن جاءك محتاج فلا تمنعه من بيت المال، ومن خالف أمر ربه فأدبه بالسوط، ومن قتل بغير حق فاقتله بالسيف، فإن لم تفعل ما آمرك فأنت الزعيم لأهل النار، والمقدم لدار البوار، مات سنة أربع وتسعين ومائة وقيل غير ذلك.

❖ ❖ ❖

حاتم الأصم البلخي(1)

هو المعروف بحاتم الأصم، المؤثر للأدوم والأعم، تحقق فسكن، وأيقن فركن.

وقد قيل عنه: التصوف هو التنقي من الشكوك، والترقي في السلوك.

وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي، صحب شقيقا البلخي ثم اعتزل الناس في قبة ثلاثين سنة لا يكلمهم إلا جوابًا لضرورة، وهو من أجل مشايخ خراسان.

ومن كلامه: من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضى الله: الثقة بالله، فالتوكل، فالإخلاص، فالمعرفة.. والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

وقال: تعهد بنفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فانظر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك.

وقال: من مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم، فقد خان نفسه وخانهم.

ودخل عليه أحد الأمراء فقال: ألك حاجة؟ قال: ألا تراني ولا أراك.

وقال: من ادّعى ثلاثًا بغير ثلاث فهو كذاب: من ادّعى حب الله بغير ورع، ومن ادّعى حب الجنة بغير إنفاق، ومن ادّعى حب رسول الله ﷺ بغير حب الفقراء.

---

(1) حلية الأولياء (8/ 73)، وصفة الصفوة (4/ 134)، والرسالة القشيرية (20)، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (2/ 38)، وتاريخ بغداد (8/ 241)، ومرآة الجنان (2/ 118)، وطبقات الشعراني الكبرى (1/ 93)، والسلمي (91-97) والشذرات (2/ 87)، والنجوم الزاهرة (2/ 290).

وقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

وقال: اصحب الناس كما تصحب النار، خذ نفعها واحذر أن تحرقك.

وقال: من دخل في مذهبنا فليجعل في نفسه أربع خصال: موتًا أبيض وهو الجوع، وموتًا أسود وهو تحمل الأذى، وموتًا أحمر وهو مخالفة النفس، وموتًا أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض.

وقال: أصل الطاعة ثلاثة: الخوف والرجاء والحب، وأصل المعصية ثلاثة: الكبر والحسد والحرص.

وقال: الكسل عون على الزهد.

وقيل له: عظني فقال: إن كنت تريد عصيان مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه.

وقال: لا تغتر بموضع صالح.. ففي الجنة لقي آدم ما لقي، لا بكثرة عبادة .. فإبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي، ولا بكثرة علم.. فبالعلم كان يعرف الاسم الاعظم ولقي ما لقي، ولا برؤية الصلحاء.. فلا أعظم من خاتم الرسل ولم ينتفع بلقائه ناس كثير حتى من أهل بيته.

وقال: الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه، والمتزهد بعكسه.

أسند الحديث عن أحد التابعين الذي قال في روض الرياحين: وقد اجتمع به أحمد بن حنبل وسأله فأجابه فاستحسن جوابه وهو من كبار المشايخ.

حمدون القصّار النيسابوري[1]

أحد الأئمة الكبار، مواعظه سديدة، وكلمته مفيدة، وديانته وافية وافرة، وشمس مناقبه وكراماته باهية باهرة سافرة، وهو شيخ الملامتية صحب النخشبي وغيره.

ومن كلامه: كفايتك تساق إليك من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب في الفضول.

وقال: إذا رأيت سكرانًا فاعدل عنه وتمايل؛ لئلا تبغي عليه فتبتلى بمثل ذلك.

وقال: لا يجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه.

وقال: لا أحد أدون ممن يتزين إلى دار فانية، ويتذلل إلى من لا يملك له ضرًا ولا نفعًا.

---

(1) حلية الأولياء (10/ 231-232)، وصفة الصفوة (4/ 100)، والرسالة القشيرية (24)، والسلمي (123،129)، وطبقات الشعراني (1/ 98)، وسير أعلام النبلاء (13/ 50)، والوافي بالوفيات (13/ 165).

وقال: من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

وقال: إنما كان كلام السلف أنفع من كلامنا؛ لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.

وقال: من ظن نفسه خيرًا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر، أي لأن خاتمته مغيبة.

وقال: أنت عبد ما لم تطلب من يخدمك، فإذا طلبته خرجت من حد العبودية.

وقال: إذا اجتمع إبليس وجنده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة: مؤمن قتل مؤمنًا، ورجل يموت كافرًا، وقلب فيه خوف الفقر.

وقال: اصحب الصوفية؛ فإن للقبيح عندهم وجوهًا من الأعذار وليس للحسن عندهم مقدار.

وقال: كل ما تحب أن يكون مستورًا منك ولا تحب أن يفشى عليك فلا تفشه على غيرك.

وقال: ما دمت لا تعرف عيب نفسك فأنت محجوب.

وقال: شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليًا.

وقال: أوصيكم بصحبة العلماء واحتمال الجهال، ومن رأيتم فيه خصلة من الخير فلا تفارقوه.

وقال: إن استطعت أن تصبح مفوضًا لا مدبرًا فافعل.

وقال: من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل في الدنيا والآخرة، ولم يزل على حاله راقيًا في كماله إلى أن غاب بدره فما طلع، وسار على النعش فما رجع.

مات سنة إحدى وسبعين ومائتين، ودفن بنيسابور.

وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان، وروى عنه آخرون.

◆ ◆ ◆

حبيب العجمي(1)

كان من أبناء الملوك فأنقذته العناية الربانية، فصار من أهل السلوك، ولزم مجلس وعظ الحسن فأقبل على الآجلة، وتحول عن العاجلة، واشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار

(1) حلية الأولياء (6/ 149)، الجرح والتعديل (3/ 112)، صفة الصفوة (3/ 315)، سير أعلام النبلاء (6/ 143).

تصدَّق بها.

وله وقائع شهيرة وكرامات كثيرة.

منها أنه كان يرى بالبصرة يوم التروية، وبعرفة عشية عرفة..

ونزل بأهل البصرة قحط فاشترى طعامًا بنسيئة وفرقه على المساكين.

وخاط كيسًا وجعله تحت رأسه، فلما حلّ الأجل، وجاءوه طالبين أخذ الكيس فوجده مملوءًا دراهم، فقضي الدين.

ودخل الحسن مسجدًا يصلي المغرب، فإذا حبيب يصلي بالناس فلم يصل خلفه لكونه كان يلحن لعجمة في لسانه، فرأى تلك الليلة في النوم يقال له: لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك.

وكان يقول: لا قرّة عين لمن لم تقر عينه بك، ولا فرح لمن لم يفرح بك، وعزتك أنت تعلم أني أحبك.

وقال: من أوقعه الله في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى بعلها.

ورؤي بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: هيهات، ذهبت العجمة وبقيت في النعمة.

القسم الثاني

قسم الشطحات

- الأول : في معنى الشطح على لسان القوم وتأويله.
- الثاني: في ذكر بعض ما نُسب إلى أبي زيد من الشطح، وما قاله الأئمة في معناه.
- الثالث: كلامه الموهم للاتحاد والحلول.
- الرابع : نفي نسبة الاتحاد والحلول ودعوى وحدة الوجود عن أبي زيد والصوفية.

الشطحات وما لها من تأويلات

وهي مشتملة على أربعة فصول:

الأول: في معنى الشطح على لسان القوم.

والثاني: في ذكر بعض ما نُسب إليه من ذلك قدس الله روحه، وما قاله الأئمة في معناه.

والثالث: ذكر كلام أبي يزيد في الاتحاد.

والرابع: دفع شبهة الاتحاد والحلول عن أبي يزيد وأضرابه.

الفصل الأول: في معنى الشطح والكلام عليه

قال الأطفاني: كان الشيخ أبو نصر السراج -قدس الله روحه- إن سأل سائل ما معنى الشطح؟

فيقال: معناه عبارة مستغرقة في وصف وجد قام بقوته، وهاج بشدة غلبانه، وبيان ذلك أن الشطح في لغة العرب:

هو الحركة، يقال: شطح يشطح إذا تحرك، ويقال للبيت الذي يكون فيه الدقيق: المشطاح، وإنما سمي ذلك البيت المشطاح من كثرة ما يحركون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذي يكون به! وربما يفيض الدقيق من جانبيه من كثرة ما يحركونه، فالشطح نقطة مأخوذة من الحركة لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم فيعبرون عن وجدهم ذلك بعبارة يستغربها سامعها فمفتون هالك بالإنكار والطعن عليها إذا سمعها، وسالم ناج يرفع الإنكار عنها، والبحث عما يشكل عليه منها بالسؤال عن تعلم علمها، ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى في نهر ضيق يفيض من جانبيه، يقال: شطح الماء في النهر، فكذلك المريد الواجد إذا قوي وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه شطح ذلك على لسانه، ويترجم عليها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعها، إلا من كان من أهلها، ويكون متبحرًا في علمها فسمي ذلك على لسان أهل الإصلاح، شطحًا.

وبعد هذا: فإن الله تعالى فتح على قلوب أوليائه، وأذن لهم بالإشراف على درجات متعالية بالتوجه والانقطاع إليه بكشف ما كان مستترًا عنهم قبل ذلك من مراتب صفوته ودرجات أهل الخصوص من عباده، فكل واحد منهم ينطق بحقيقة ما وجد، ويصدق عن حاله، ويصف ما ورد على سره بنطقه ومقاله؛ لأنهم لا يرون حالاً أعلى من حالهم حتى يحكموها فإذا أحكموها فعند ذلك يسمون بهمتهم إلى حالة أعلى من ذلك حتى تنتهي

الطرق، والأحوال، والأماكن إلى غاية نهاية هي أعلى النهايات وغاية الغايات، قال الله ﷻ:

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:76]، وقوله تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:32]، وقال:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:21]، وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في أوليائه ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم، وما يشكل على فهمه من كلامهم لأنهم في أوقاتهم متفاوتون وفي أحوالهم متفاضلون، ومتشاكون ومتجانسون بعضهم لبعض، ولهم أشكال ونظراء معرفون، فمن بان فضله وشرفه على أشكاله بفضل علمه وسعة معرفته، فله أن يتكلم في عللهم ونقصانهم وزيادتهم، ومن لم يسلك سبلهم ولم ينح نحوهم ولم يقصد مقاصدهم، فالسلامة له في رفع الإنكار عليهم، وأن يكل أمورهم إلى الله تعالى ويتهم نفسه بالغلط فيما ينسب إليهم من الخطأ، وبالله التوفيق.

❖ ❖ ❖

قال الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية (4/ 43) في معرفة الشطح:

الشطح دعوى في النفوس بطبعها لبقية فيها من آثار الهوى

هذا إذا شطحت بقول صادق من غير أمر عند أرباب النُّهى

واعلم أيدك الله أن الشطح كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته التي أعطاه الله من المكانة عنده أفصح بها عن غير أمر إلهي؛ لكن على طريق الفخر بالراء، فإذا أمر بها فإنه يفصح بها تعريفًا عن أمر إلهي لا يقصد بذلك الفخر قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، يقول: ما قصدت الافتخار عليكم بهذا التعريف لكن أنبأتكم به لمصالح لكم في ذلك ولتعرفوا منة الله عليكم برتبة نبيكم عند الله والشطح زلة المحققين إذا لم يؤمر به فيقول لها كما قال لها عليه السلام، ولهذا بين فقال: «ولا فخر» فإني أعلم أني عبد الله كما أنتم عبيد الله والعبد لا يفتخر على العبد إذا كان السيد واحد.

وكذا نطق عيسى فبدأ بالعبودية وهو بمنزلة قوله عليه السلام: «ولا فخر» فقال لقومه في براءة أمه، ولما علم من نور النبوة التي في استعداده أنه لا بد أن يقال فيه أنه ابن لله فقال: (إني عبد الله) فبدأ في أول تعريفه وشهادته في الحال الذي لا ينطق مثله في العادة، فما أنا ابن لأحدٍ فأمي طاهرة بتول ولست بابن لله كما أنه لا يقبل الصاحبة لا يقبل الولد ولكني عبد الله مثلكم آتاني الكتاب وجعلني نبيًا فنطق بنبوته في وقتها عنده وفي غير وقتها عند الحاضرين

لأنه لا بد له في وقت رسالته أن يعلم بنبوته كما جرت عادة الله في الأنبياء قبله فهم مأمورون بكل ما يظهر عليهم ومنهم من الدعاوى الصادقة التي تدل على المكانة الزلفى والتميز عن الأمثال والأشكال بالمرتبة المثلى عند الله، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ أي: محلاً وعلامة على زيادات الخير عندكم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ يعني في كل حال من الأحوال ما تختص البركة بسببي فيكم في حال دون حال وذكرها كلها بلفظ الماضي وهو يريد الحال والاستقبال، فما كان منه في الحال فنطقه شهادة ببراءة أمه وتنبيها وتعليمًا لمن يريد أن يقول فيه أنه ابن الله فنزه الله وهو نظير براءة أمه مما نسبوا إليها فهو في جنات الحق تنزيه وفي جنات الأم تبرئة.

ويدل لفظ الماضي فيه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أن يكون له التعريف بذلك من الله كما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم لما قال كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين فعلم مرتبته عند الله وآدم ما وجدت صورته البدنية، وأعلم عيسى بلفظ الماضي أن الله آتاه الكتاب وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام في عالم التكليف والتشريع وهو قوله ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ يريد حياة التكليف في ظاهر الأمر عند السامعين ويريد عندنا هذا وأمرًا آخر وهو قوله تعالى في عيسى أنه كلمة الله، والكلمة جمع حروف وسيأتي علم ذلك في باب النفس بفتح الفاء فأخبر أنه آتاه الكتاب يريد الإنجيل، ويريد مقام وجوده من حيث ما هو كلمة والكتاب ضم حروف رقمية لإظهار كلمة أو ضم معنى إلى صورة حرف يدل عليه فلا بد من تركيب، فلهذا ذكر أن الله أعطاه الكتاب مثل قوله: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه:50].

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم:31] ويريد بالوصية بالصلاة والزكاة العبادة كما تدل على العمل هي على العبادة أدل لأنها لا تفتقر في كونها عبادة إلى بيان وإذا أريد بها العمل احتيج إلى تعين ذلك العمل وبيان صورته حتى يقيم نشأته هذا المكلف به فإذا كانت العبادة دل على أنه لا يزال حيًا أينما كان وإن فارق هذا الهيكل بالموت فالحياة تصحبه لأنها صفة نفسية له ولا سيما وقد جعله روح الله ثم ذكر أنه بر بوالدته أي محسن إليها فأول إحسانه أنه برأها مما نسب إليها في حالة لا يشكون في أنه صادق في ذلك التعريف ثم تمم فقال ولم يجعلني جبارًا فإن الجبروت وهو العظمة يناقض العبودة، وهو قوله أنه عبد الله ويريد بقوله جبارًا أي لا أجبر الأمة التي أرسل إليها بالكتاب والصلاة والزكاة أنها أنا مبلغ عن الله لا غير لست عليهم بمسيطر فأكون جبارًا فأجبر وأبلغ عن الله كما قال ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[المائدة: 67] ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54] ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:21 – 22] فقوله مذكر والمذكر لا يكون إلا لمن كان على

حالة منبئة ولو لم يكن كذلك لكان معلمًا لا مذكرًا فدل أنه لا يذكرهم إلا بحال أقرارهم بربوبيته تعالى عليهم حين قبض الذرية من ظهر آدم في الميثاق الأول ثم قال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝ ﴾ [مريم: 33].

بما نطقت فيكم به من أبي عبد الله فسلمت من انتساب وجودي إلى سفاح أو نكاح (ويوم أموت) فأسلم من وقوع القتل الذي ينسب إلى من يزعم أنه قتلني وهو قول بني إسرائيل أنا قتلنا المسيح ابن مريم فأكذبهم الله فقال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ ﴾ [النساء:157] فقال لهم السلام عليه يوم يموت سالمًا من القتل إذ لو قتل، قتل شهادة والشهيد حي غير ميت ولا يقال فيه أنه ميت كما ورد النهي عن ذلك عندنا وكذلك لم يزل الأمر فأخبر أنه يموت ولا يقتل فذكر السلام عليه يوم يموت ثم ذكر أن السلام عليه يوم يبعث حيًا يعني في القيامة وهو موطن سلامة الأبرياء من كل سوء مثل الأنبياء وغيرهم من أهل العناية فهو صاحب سلامة في هذه المواطن كلها وما ثم موطن ثالث ما هي إلا حياة دنيا وحياة أخرى بينهما موت فهذه كلها لو لم تكن عن أمر إلَهي لكانت من قائلها شطحات فإنها كلمات تدل على الرتبة عند الله على طريق الفخر بذلك على الأمثال والأشكال، وحاشا أهل الله أن يتميزوا عن الأمثال أو يفتخروا، ولهذا كان الشطح رعونة نفس، فإنه لا يصدر من محقق أصلاً، فإن المحقق ما له مشهود سوى ربه وعلى ربه ما يفتخر وما يدعي بل هو ملازم عبوديته مهيأ لما يرد عليه من أوامره فيسارع إليها وينظر جميع من في الكون بهذه المثابة فإذا شطح، فقد انحجب عما خلق له وجهل نفسه وربه ولو أنفعل عنه جميع ما يدعيه من القوة فيحيي ويميت ويولي ويعزل وما هو عند الله بمكان بل حكمه في ذلك حكم الدواء المسهل أو القابض يفعل بخاصية الحال لا بالمكانة عند الله كما يفعل الساحر بخاصية الصنعة في عيون الناظرين فيخطف أبصارهم عن رؤية الحق فيما أتوا به، وكل من شطح فعن غفلة شطح وما رأينا ولا سمعنا عن ولي ظهر منه شطح لرعونة نفس وهو ولي عند الله إلا ولا بد أن يفتقر ويذل ويعود إلى أصله ويزول عنه ذلك الزهو الذي كان يصول به، فذلك لسان حال الشطح هذا إذا كان بحق هو مذموم فكيف لو صدر من كاذب، فإن قيل وكيف صورة الكاذب في الشطح مع وجود الفعل والأثر منه قلنا نعم ما سألت عنه، أما صورة الكاذب في ذلك فإن أهل الله ما يؤثرون إلا بالحال الصادق إذا كانوا أهل الله، وذلك المسمى شطحًا عندهم حيث لم يقترن به أمر إلَهي أمر به كما تحقق ذلك عن الأنبياء -عليهم السلام- فمن الناس من يكون

عالمًا بخواص الأسماء فيظهر بها الآثار العجيبة والانفعالات الصحيحة ولا يقول أن ذلك عن أسماء عنده وإنما يظهر ذلك عند الحاضرين أنه من قوة الحال والمكانة عند الله والولاية الصادقة وهو كاذب في هذا كله، وهذا لا يسمى شطحًا ولا صاحبه شاطحًا بل هو كذب محض ممقوت، فالشطح كلمة صادقة صادرة من رعونة نفس عليها بقية طبع تشهد لصاحبها ببعده من الله في تلك الحال، وهذا القدر كاف في حال معرفة الشطح .

وقال الشيخ الكتاني في سر الحق الامتناني ما نصه:

- ربما أورد بعض من لم يترد بأردية التسليم، ولم يعلم أن فوق كل ذي علم عليم أن في صلوات هذه الطائفة ورواتبها ما تقصر العامة عن إدراكه مستدلاً بـ «حدثوا الناس على قدر ما يفهمون» [1]، وقد رأيت الإمام العالم الصدر الشهير قطب الشام في عصره شيخ المشايخ الأستاذ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي دفين صالحية دمشق -قدس سره- ذكر في كتابه «إيضاح الدلالات على سماع الآلات» الذي ذكره من مؤلفاته صاحب «سلك الدرر» وأحال عليه الشيخ بنفسه في كثير من كتبه كلامًا في هذا الباب نص المقصود منه: والحق أن تكلم أهل المعرفة بما لا يفهمه القاصرون من علوم الأسرار أمر غير منكر؛ لأن التكلم بالمشابهات سنة الله ورسوله، ولكن أهل الجهل والقصور تعدوا أطوارهم ولم يعرفوا أقدارهم، جزاهم الله تعالى بأعمالهم في الدنيا والآخرة، انتهى.

- وقال قبل هذا ولم يرد عن رسول الله ﷺ أنه ترك تبليغ حكم من الأحكام التي كلف الله تعالى بها الخلق إطلاقًا وتفصيلاً، حتى نقتدي نحن به في ذلك، سواء احتملته عقولهم أو لم تحتمله، كما بلغ رسول الله ﷺ خبر المعراج والإسراء للأمة وإن لم تحتمله العقول، ولم يراع جانب أهل القصور في ذلك، حتى أنه ورد ارتداد جماعة من المسلمين بسبب استبعاد عقولهم وقائع الإسراء والمعراج، ولم يبال عليه الصلاة والسلام بذلك لعلمه بأن المؤمن عند الله تعالى لم يزل مؤمنًا، والكافر عند الله تعالى لم يزل كافرًا، وإن ظهر في الدنيا خلاف ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] بخلاف ما عليه الآن فقهاء العوام من كتمانهم عن عباد الله تعالى أحكامًا شرعية، ظنًا منهم أنها من العلم المكتوم، وأنهم اطلعوا عليها بقوة تدقيقهم في العلم، والعلم المكتوم بعيد عن فهم هؤلاء الأراذل بين العلماء الذين هم عار على بني آدم، ولذا تراهم يعللون كتمان ما

---

(1) ذكره الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (2/ 108).

زعموا أنهم أدركوه من بعض أحكام الله تعالى على المكلفين بإساءة الظن في الخلق، بأن العامة لا يقدرون على معرفة بعض ما أدركوه هم مما كلفهم الله تعالى به علمًا وعملاً، وهذا جهل منهم؛ لأن الله تعالى لم يكلف العاجزين، وجميع المكلفين من العامة والخاصة قادرون على جميع ما كلفهم الله تعالى به علمًا وعملاً فرضًا أو نفلاً.

ثم قال بعد أن أورد: «خاطبوا الناس على قدر... إلى آخره»: هو مناقض بحال النبي ﷺ فإنه كان يخاطب الناس بما يعقلون وما لا يعقلون من خبر المعراج وغيره، كما ذكرنا إلى آخر كلامه العجيب الذي يتعين على كل طالب الوقوف عليه.

- وقال الشيخ محيي الدين ﷺ في الباب الثلاثين من «الفتوح المكي» ما نصه: فبالله يا أخي أنصفني فيما أقوله لك لا شك أنك قد اجتمعت معي على أنه كل ما صح عن رسول الله ﷺ من الأخبار في كل ما وصف به فيها ربه تعالى من الفرح والضحك والتعجب والتبشبش والغضب والتردد، والكراهة والمحبة والشوق، وأمثال ذلك يجب الإيمان به والتصديق، فلو هبت نفحات من هذه الحضرة الإلهية كشفًا وتجليًا وتعريفًا إلهيًا على قلوب الأولياء لعلموا بإعلام الله، وشاهدوا بإشهاد الله هذه الأمور المعبر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرسول ﷺ.

وقد وقع الإيمان مني ومنك بهذا كله، فإذا أتى بمثله هذا الولي في حق الله ألست تزندقه كما قال الجنيد، ألست تقول هذا مشبه، هذا عابد وثن، كيف وصف الحق بما وصف به المخلوق؟ وما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا، وكما قال علي بن الحسين: ألست كنت تقتله أو تفتي بقتله، وكما قال ابن عباس: فبأي شيء آمنت وسلمت لما سمعت من رسول الله ﷺ ما في حق الله من الأمور التي تحيلها الأدلة العقلية وتمنع من تأويلها، والأشعري تأولها على وجوه من التنزيه فأين الإنصاف؟ فهلا قلت القدرة واسعة، فلها أن تعطي لهذا الولي ما أعطت للنبي من علوم الأسرار، فإن ذلك ليس من خصائص النبوة، ولا حجر الشارع على أمته هذا الباب، ولا تكلم فيه بشيء بل قال: «إن يكن في أمتي مُحَدَّثُون فعمر منهم»[1].

فقد أثبت النبي ﷺ أن ثم من يحدث ممن ليس بنبي، وقد تحدث بمثل هذا، فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام، فإن ذلك أعني التشريع من خصائص النبوة، وليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوة التشريع ، بل هي سارية في عباد الله

(1) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (3/ 138).

من رسول وولي وتابع ومتبوع يا ولي، فأين الإنصاف منك؟

أليس هذا موجودًا في الفقهاء وأصحاب الأفكار الذين هم فراعنة الأولياء ودجاجلة عباد الله الصالحين، والله يقول لمن عمل منا بما شرع الله له إن الله يعلمه، ويتولى تعليمه بعلوم انتخبتها أعماله، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]، وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] إلى أن قال: ثم الطامة الكبرى إنك إذا قلت لواحد من هذه الطائفة: اشتغل بنفسك، يقول لك: إنما أقوم حماية لدين الله وغيرة له والغيرة لله من الإيمان وأمثال هذا، ولا يسكت ولا ينظر إذ ذاك من قبيل الإمكان أم لا، أعني أن يكون الله قد عرف وليًا من أوليائه بما يجريه في خلقه كالخضر، وعلمه علومًا من لدنه، تكون العبارة عنها بهذه الصيغ التي ينطلق بها الرسولﷺ كما قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: 82] وآمن هذا المنكر بها على زعمه إذ جاء بها رسول الله ﷺ فوالله لو كان مؤمنًا بها ما أنكرها على هذا الولي؛ لأن الشارع ما أنكر إطلاقها في جانب الحق من استواء ونزول ومعية وضحك وفرح وتبشبش وتعجب وأمثال ذلك.

وما ورد عنه ﷺ قط أنه حجرها على أحد من عباد الله، بل أخبر عن الله أنه يقول لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، ففتح لنا وندبنا إلى التأسي به ﷺ وقال: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:31]، وهذا من اتباعه والتأسي به، فمن التأسي به إذا ورد علينا من الحق تعالى وارد حق، فعلمنا من لدنه علمًا فيه رحمة حبانا الله بها وعناية حيث كنا في ذلك على بينة من ربنا، ويتلوها شاهد منا وهو اتباعنا سنته، وما شرع لنا لم نخل بشيء منا، ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فتطلب لذلك المعلوم الذي علمناه من جانب الحق عبارة أمثال هذه العبارات النبوية لتفصح بها عن ذلك، ولاسيما إذا سئلنا عن شيء من ذلك؛ لأن الله أخبر عمن هذه صفته أنه يدعو إلى الله على بصيرة.

فمن التأسي المأمور به برسول الله ﷺ أن نطلق على تلك المعاني هذه الألفاظ النبوية؛ إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها ﷺ فإنه المأمور بتبيين ما أنزل إلينا ولا نعدل إلى غيرها لما نريده من البيان مع التحقيق بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] فإنا إذا عدلنا إلى عبارة غيرها ادعينا بذلك أنا أعلم بحق الله وأمره من رسول الله ﷺ، وهذا أسوأ ما يكون من الأدب، ثم إن المعنى لا بدّ يخيل عند السامع إن كان ذلك اللفظ الذي خالفت به

لفظ من كان أفصح الناس، وهو رسول الله ﷺ.

والقرآن لا يدل على ذلك المعنى بحكم المطابقة، نشرع لنا التأسي، وعاب هذا المنكر المكفر من أتى بمثل هذا عن النظر في هذا كله، وذلك لأمرين أو لأحدهما، إن كان عالمًا فلحسد قام به، كما قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: 109]، وإن كان جاهلاً فهو بالنبوة أجهل يا ولي، انتهى كلامه العجيب المضطرب رضي الله عن أهل الله.

– وقال أيضًا في الباب الرابع والخمسين في معرفة الإشارات ما نصه: ثم لتعلم أن أصحابنا ما اصطلحوا على ما جاءوا به في شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ إلا بتعليم إلهي، جهله علماء الرسوم، وذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير، لا من جهة المشار إليه، وإذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة أجروها عند السائل من علماء الرسوم مجرى الغالب، مثال ذلك الإنسان يكون في أمر قد ضاق به صدره وهو مفكر فيه فينادي رجل رجلاً آخر اسمه فرج: يا فرج، فيسمعه هذا الشخص الذي قد ضاق صدره فيستبشر ويقول: جاء فرج الله إن شاء الله، يعني: من هذا الضيق الذي هو فيه، وينشرح صدره كما فعل رسول الله ﷺ في مصالحة المشركين لما صدوه عن البيت، فجاءه رجل من المشركين اسمه سهيل، فقال رسول الله ﷺ: «سهل الأمر»[1] وأخذه فألا، فكان كما تفاءل به رسول الله ﷺ فانتظم الأمر على يد سهيل، وما كان أبوه قصد ذلك حين سماه به، وإنما جعله له اسمًا علمًا يعرف به من غيره، وإن كان ما قصد أبوه بتحسين اسمه إلا الخير، ولما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة استعملوها فيما بينهم، ولكنهم بينوا معناها ومحلها ووقتها، فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم، أو لأمر يقوم في نفوسهم.

واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم، كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض، كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض، وإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح، وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها، فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه ولا ما يقولون ومن أعجب الأشياء في هذه الطريقة ولا يوجد إلا فيها أنه ما من طائفة تحمل علمًا

---

(1) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (6/ 633).

من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والنجوم والمتكلمين والفلاسفة إلا ولهم اصطلاح، لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله، لا بدّ من ذلك، إلا أهل هذه الطريقة خاصة إذا دخلها المريد الصادق وبهذا يعرف صدقه عندهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه، فإذا فتح الله له عين فهمه، وأخذ عن ربه في أول ذوقه، ولم يعلم أن قومًا من أهل الله اصطلحوا على ألفاظ مخصوصة.

فإذا قعد معهم وتكلموا باصطلاحهم على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم أو من أخذها عنهم فهم هذا المريد الصادق جميع ما يتكلمون به، حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح، ويشاركهم في الكلام بها معهم، ولا يستغرب ذلك من نفسه، بل يجد علم ذلك ضروريًا لا يقدر على دفعه، فكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل، وبهذا يعرف صدقه عندهم، والدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بموقف، فبهذا معنى الإشارة عند القوم، ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير أو في تآليفهم ومصنفاتهم لا غير ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] انتهى.

وعليك أيها الأخ المسترشد الطالب بيان الحق وإدراكه بمراجعة الفصل الثالث من «اليواقيت والجواهر» والباب العاشر من «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والمحدثين والصوفية» لمحتسب العلماء والصوفية الأستاذ القطب عبد الوهاب الشعراني، بل وسائر كتبه كـ «رسالة الفتح عن أهل الشطح»، و«طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد» تجد نفعًا ظاهرًا وإرشادًا باهرًا حتى قال فيها بعض الكُمَّل: إن مطالعة كتب الشعراني تقوم مقام المرشد، والله الهادي لا رب سواه سبحانه.

وصل

- مما كثر التسارع إليه في هذا العصر وقبله بيسير تكفير الأجلة من المسلمين وأفاضل المؤمنين بكلمة ندرت أو فلتة صدرت، ربما جهل الجاهل تأويلها ولم يهتد إلى مقصد قائلها، وهذا من أعظم ما به بُلي الإسلام وأوجب تفرق كلمة أهله، وفي باب الردة من «الروضة الندية شرح الدرر البهية» ما نصه: تسكب العبرات ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر، لا بسنة ولا بقرآن ولا ببيان من الله ولا ببرهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم الزمان بعضهم لبعض ما هو شبيه الهباء في الهواء، والسراب في البقيعة، فيالله

والمسلمين من هذه الفاقرة التي هي أعظم فواقر الدين، والرزية التي ما رزئ بمثلها سبيل المؤمنين، وأنت إن بقي فيك نصيب من عقل وبقية من مراقبة الله عز وجل وحصة من الغيرة الإسلامية علمت، وعلم كل من له علم بهذا الدين: أن النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام قال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه إنه: «إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»(1).

والأحاديث بهذا المعنى متواترة، فمن جاء بهذه الأركان الخمسة، وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبى كائنًا من كان، فمن جاءك بما يخالف هذا من ساقط القول وزائف العلم بالجهل فاضرب به في وجهه، وقل له: قد تقدم هذيانك هذا برهان محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه:

دَعُوا كُلَّ قَومٍ عِندَ قَولِ مُحمدٍ ... فَمَا آمِنٌ في دِينِهِ كَمُخَاطِرِ

وكما أنه تقدم الحكم من رسول الله ﷺ لمن قام بهذه الأركان الخمسة بالإسلام، فقد حكم لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره بالإيمان، وهذا منقول عنه نقلاً متواترًا، فمن كان هكذا فهو المؤمن حقًا، وقد ورد من الأدلة المشتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه ما يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح، فكيف بإخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية، فإن هذه جناية لا تعدلها جناية، وجرأة لا تماثلها جرأة، وأين هذا المجترئ على تكفير أخيه من قول رسول الله ﷺ الثابت عنه في الصحيح أيضًا: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»(2).

ومن قول رسول الله ﷺ الثابت عنه في الصحيح أيضًا: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر»(3).

ومنه قول رسول الله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»(4)، وهذا أيضًا في الصحيح.

وكم يعد العادّ من الأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية، والهداية بيد الله عز وجل:

(1) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (1/ 25).
(2) رواه البخاري (2/ 862)، مسلم (4/ 1996).
(3) رواه الترمذي (5/ 21)، والدارقطني في «العلل» (5/ 261).
(4) رواه البخاري (1/ 37)، ومسلم (3/ 1306).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: 56] هذا ما أفاده الماتن العلامة في «السيل» يعني القاضي الشوكاني الصنعاني.

- وقال أيضًا: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن: «من قال لأخيه يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما»[1] هكذا في الصحيح.

وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه»[2] أي: رجع، وفي لفظ الصحيح: «فقد كفر أحدهما».

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زجرًا وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير وقد قال عز وجل: ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: 106]، فلا بدَّ من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك، لاسيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ يلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه.

فإن قلت: قد ورد في السُّنة ما يدل على كفر من حلف بغير ملة الإسلام، وورد في السُّنة المطهرة ما يدل على كفر من كفر مسلمًا كما تقدم، وورد في السُّنة المطهرة إطلاق الكفر على من فعل فعلاً يخالف الشرع كما في حديث: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[3]، ونحوه مما ورد مورده، وكل ذلك يفيد أن صدور شيء من هذه الأمور يوجب الكفر وإن لم يرد قائله أو فاعله به الخروج من الإسلام إلى ملة الكفر.

قلت: إذا ضاقت عليك سبل التأويل، ولم تجد طريقًا تسلكها في مثل هذه الأحاديث فعليك أن تقرها كما وردت، وتقول من أطلق عليه رسول الله ﷺ اسم الكفر فهو كما قال، ولا يجوز إطلاقه على غير من سماه رسول الله ﷺ من المسلمين كافرًا إلا من شرح بالكفر صدرًا، فحينئذ تنجو من معرفة الخطر، وتسلم من الوقوع في المحنة، فإن الإقدام على ما فيه بعض

(1) رواه البخاري (5/ 2264)، ومسلم (1/ 79).
(2) رواه مسلم (61).
(3) رواه البخاري (1/ 56)، ومسلم (1/ 81).

البأس لا يفعله من يشح على دينه، ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه ولا عائدة، فكيف إذا كان على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول الله ﷺ كافرًا، فهذا يقود إليه العقل فضلاً عن الشرع، ومع هذا فالجمع بين أدلة الكتاب والسنة واجب، وقد أمكن هنا بما ذكرناه، فتعين المصير إليه، فحتم على كل مسلم ألا يطلق كلمة الكفر إلا على من شرح به صدرًا، ويقصر ما ورد مما تقدم على مورده.

وهَــذَا الحــقُّ لــيسَ بــهِ خفـــاءٌ فدعنِـــي عَـــنْ بُنَـــياتِ الطـــريقِ

ويَأبـــىَ الفتَـــى إلاَّ اتِّـــباعَ الهــوَى ومـــنهجُ الحـــقِ لـــهُ واضـــحُ

وكيف يحكم بالكفر على من حكى قولاً كفريًا صدر من كافر، فإن القرآن الكريم قد اشتمل على ما يأبى عنه الحصر من حكاية ما هو كفر بواح من أقوال الكفار، وهكذا لا يحكم بكفر من كفر مكرهًا، فقد استثناه القرآن الكريم بقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: 106] وكفى به، انتهى.

ويقول الشيخ الشرقاوي أثناء كلامه على المتصوفة وأنواعهم: وفرقة أخرى لم يلتفتوا إلى ما يُفاض عليهم من الأنوار في الطريق، ولا إلى ما تيسره لهم من العطايا الجزيلة، ولم يعرجوا على الفرح بها جادين في المسير، حتى تأربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم وصلوا وغلطوا، فإن لله تعالى سبعين حجابًا من نور لا يصل السالك إلى واحد من تلك الحجب إلا ظن أنه قد وصل، ولا يصل السالك إلى تلك الأنوار والحجب ما لم يخرج عن حجاب نفسه، ويكون هو أيضًا ربَّانيًّا بل هو نور من أنوار الله تعالى، أعني بسر القلب والروح فيه يتجلى له حقيقة الحق، حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل، حتى قيل أنه اللوح المحفوظ فإذا انتهى إلى ذلك السالك أشرق نوره إشراقًا عظيمًا؛ إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه، وقد كان في أول الأمر محجوبًا بمشكاة هي كالساتر له كما دلّ عليه القرآن فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله تعالى ربما التفت صاحب ذلك القلب، ورأى من جماله الفائق ما يدهشه فربما سبق للسكر والدهشة إلى لسانه فقال: أنا الحق، فإن أخذ الحق بيده ومدَّته الألطاف الإلهية سار ولم يقف وإلا هلك، وربما التبس المتجلي بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لونها، وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج فيحصل الغرور، وبهذه العين نظرت النصارى للمسيح، لما رأوا إشراق نور الله تعالى قد تلألأ منه فغلطوا عند رؤيته كمن نظر كوكبًا في مرآة، أو ما فطن أن

الكوكب في المرآة أو الماء فيمد يده ليتناوله.

وإلى تلك الحجب النورانية الإشارة لقول الخليل ﷺ: ﴿فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كَوكبًا قال هذا ربي﴾: أي نور من أنوار الله وهو أول الحجب؛ إذ هي على الطريق السالك ولا يتصور الوصول إلا بعبورها، وبعضها أصغر وبعضها أكبر بقدر القرب والبعد، وأصغر الأنوار السماوية هي الكواكب فيستعار لفظ الكوكب لأول تلك الأنوار؛ لأنه أصغرها وأعظمها الشمس وبينهما القمر، فلم يزل إبراهيم يترقى من نور إلى نور وحجاب بعد حجاب، وكلما أظهر له شيء من الأنوار الإلهية ظن أنه قد وصل، فيقول: هذا ربي فينكشف له بنور النبوة والتوفيق الإلهي أن وراءه أمورًا، فكلما انكشف نور ظهر للأول درجة الانحطاط عن ذروة الكمال، واطلع على أن له نهاية فيقول: ﴿لا أحب الآفلين﴾، ولم يزل كذلك إلى أن تجاوز ما لا ينتهي، فلما انتهى إلى جنات لا نهاية لها وانقطع عمله عما دون ذلك قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأنعام:79]، وانظر: شرح الحكم الكردية للشيخ الشرقاوي (ص220) بتحقيقنا.

وروي أن الحلاج مرّ يومًا على الجنيد، فقال له: أنا الحق! فقال الجنيد: أنت بالحق أية خشبة تفسد فتحقق فيه ما قال الجنيد: لأنه صلب بعد ذلك.

وقال الشريف ابن ناصر الكيلاني:

واعلم أيدك الله وإيانا بروح منه أن كل ما ظهر في الوجود، وامتاز من الغيب على اختلاف الظهور، والامتياز في التحقيق الأتم، ليس إلا تجلٍّ واحدٍ يظهر له بحسب القوابل ومراتبها واستعداداتها تعينات، فيلحقه لذلك التعدد، والنعوت المختلفة والأسماء والصفات؛ لأن الأمر في نفسه متعدد، ووروده طارٍ ومتجدد، هذا حقيقة معنى مقول القوم لا تكرار في التجلّي.

ذكر الشيخ ﷺ في «الفتوحات» هذه الكلمة عن أبي طالب المكّي قُدِّس سرُّه: وإنما التقدم والتأخر وغيرهما من أحوال الممكنات يوهم التجدد والطريان والتقيُّد والتغيُّر ونحو ذلك كالحال في التعدد، وإلا فالأمر أجلّ أن ينحصر في إطلاق أو تقييد أو اسم أو صفة أو نقصان أو مزيد، وهذا التجلّي الأحدي المشار إليه ليس غير النور الوجودي، ولا يصل من الحق تعالى إلى الممكنات بعد الاتصاف بالوجود، ولا قبله غير ذلك، وما سوى ذلك فإنه أحكام الممكنات وآثارها تتصل من بعضها بالبعض حال الظهور بالتجلي الوجودي

الوحداني المذكور، ولما لم يكن الوجود ذاتيًا لسوى الحق سبحانه؛ بل مستفاد من تجلّيه اقتضى العالم في بقائه إلى الإمداد الوجودي الأحدي مع الأنات دون فترة ولا انقطاع؛ إذ لو انقطع الإمداد المذكور طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة، فإن الحكم العدمي أمر لازم للممكن، والوجود عارض له من موجده فافهم لتفهم سر وحدة الوجود، وهذا هو الأصل في كل موجود، فإذا أشرق نور التجلّي الوحداني على القلب الوحداني توحّدت أحكام الأحديات، واختفت آثار الكثرات فيها، وشهد أن التجلّي هو التجلّي الذاتي والفيض فيض الأقدس دون المقدس، وأن ما في العالم سواه؛ بل هو المتجلي والمتجلّي له، والتجلّي هذا هو: المعتمد والمعتني والمعوَّل عليه وغير هذا الذوق لا تمل إليه ولا تحول لديه فافهم.

واشكر هذه النعم؛ حيث جعلك الله ممن قرع سمعك أسرار الله المخبوءة في خلقه، يخص الله بها من يشاء من عباده، وأثبت لما يلقى.

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:5].

فتبتَّل إلى إصغائه وإذعانه تبتيلاً جميلاً، وكن له من القابلين المؤمنين القائلين بها ولا تحرم التصديق بها فتحرم خيرها، وتجمع بين الحرمانين عدم الاتصاف وعدم الإيمان والإنصاف.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة 11].

ورد في الحديث الصحيح: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله»[1] ذكره الديلمي عن أبي هريرة ﷺ وهو من العلم الذي يكون تحت النطق والبيان فما ظنك بما عندهم مما هو خارج عن حكم الدخول تحت النطق والبيان، فما كل علمٍ يدخل تحت السيارة وهو علوم الأذواق كلها، فإذا رأيت فيك شعرة من قابلية قبول كلامهم، فأبشر فإنك سعيد فإنهم قومٌ لا يشقى جليسهم فكيف من يجد في نفسه رائحة ذوقهم وبارقة فهم كلامه؟! وما ذلك إلا لمناسبة موجودة، وأنت ما تدري كما قيل أن المناسبة علة الضم.

قال الشيخ الإمام خواجة عبد الله الأنصاري قُدِّس سرُّه: إن أول علامة القبول قبول كلامهم وعدم الإنكار عليهم.

وقال ﷺ في «الفتوحات»: إذا حسن عندك كلامهم وقبلته، وآمنت به فأبشر فإنك على

(1) رواه الديلمي (1/ 210)، والمناوي في فيض القدير (4/ 326).

كشف منه ضرورة، وأنت لا تدري لا سبيل إلا هذا؛ إذ لا يثلج الصدور إلا بها بقطع بصحته وليس للعقل هنا مدخل؛ لأنه ليس من دركه إلا إن أتي بذلك معصوم حينئذٍ يثلج صدر العاقل، وأمَّا المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلا صاحب ذوق.

فلهذا قال سيد الطائفة الجنيد قُدِّس سرُّه: «الإيمان بعلمنا ولاية»[1].

وقال ﷺ في «الفتوحات» في الباب الثالث والسبعين عن أبي يزيد البسطامي قُدِّس سره أنه قال لأبي موسى الديبلي: يا أبا موسى إذا رأيت مَنْ يؤمن بكلام هذه الطائفة، فقل له: يدعو لك فإنه يجاب الدعوة وهو أبو يزيد من أحد النوَّاب، ثم قال ﷺ: وكيف لا والمسلم في بحبوحة الحضرة، ولكن لا يدري أنه فيها لجهله بها ولا يغرَّك أيُّها الناظر قول العموم أن كل علم لا يكون عن حال فليس بشيء كما يتخيله الجهَّال، والعوَّام فإنه ﷺ ذكر في الفصل الرابع في المنازل من «الفتوحات»: إن الرجولية ليست فيما يتخيله الجهَّال من عامة الطريق بطريق الله، فيتحجَّبون بالحال عمَّا يقتضيه العلم والمقام يقولون: كل علمٍ لا يكون بالحال، فليس بشيء فقل له: لا تقل ذلك يا أخي فإنه خلاف الأمر وإنما الصحيح أن تقول: كل علم لا يكون عن ذوق فليس بعلم أهل الله، فأراك لا تفرِّق بين الحال والذوق، وما ثم علمٌ قط إلا عن ذوقٍ لا يكون غير هذا والمتمكِّن في العبودية لا حال له البتة تخرجه عن عبوديته، فلو لم

(1) انظر: الكواكب للمناوي (1/ 578)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (1/ 265)، وكتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص299).

وقال سيدي علي وفا ﷺ: إذا نطق بالحق أهله فمن علم الله فيه خيرًا أسمعه، وإلا فلا، من اختاره أسمعه منه، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ﴾ [طه: 13]، لسان الصدق سمعه التصديق، سمع هذا اللسان ولاية من سُلبها فهو معزولٌ.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 210: 212].

قال الجنيد: «الإيمان بطريقتنا ولاية»، إذا كان سمع هذا اللسان ولاية فكيف بفهمه فكيف بوجده، إذا سمعت بنطقك ترجمة معنى على صيغة ثم أسمعتها بنطق سواك على صيغة سواها، فلا تشتغل بتلحينها عن تلمح معناها، ولكن اشهد أن مناجيك يريد أن يمتعك بفنون مناجاته، ويوسع عليك مسالك تنزلاته، ومجالي تجلياته، ألم تسمع قول السيد الكامل حين أنزل الكتاب على حرفٍ واحدٍ: «رب وسِّعْ على أمتي».

فوسع إلى سبعة أحرف، إذا كنت في مقام السمع فاستمع وأنصت؛ فإن الرحمة في ذلك.

ومن ثَمَّ تقول أئمة محاسن الأخلاق: «من أدب السماع ألا تقترح على مسمعك، ولا يَجب اللسان الرَّباني لسان الوجود الحكيم»، والشيطان صورة الوهم البهيم الذي هو ضد الروح الحكيم عينًا وأثرًا، فلا يمكن تنزل الشياطين بهذا النور المبين؛ لاستحالة انقلاب الحقائق، من تنزل به فهو روح حكيم.

يكن في الأحوال من النقص إلا أن يخرج من مقامه إلى ما لا يستحقه، وهو لا حق له حتى أنه لو مات في حال الحال لما مات صاحب نقص وحُشر صاحب نقص، فليست الأحوال من مطالب الرجال لكن الأذواق من مطالبهم، وهي لهم فيها من العلوم بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر فيها انتهى كلامه ﷺ.

فلا يصرفنكم صارف عما تلونه عليكم ولو شاء الله ما فعلته.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:29].

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:9] أن تستفتحوا، فقد جاءكم الفتح.

وقال الشيخ روزبهان البقلي في عرائس البيان: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ فيه استشهاد على أن لا يجوز للعارفين أن يبدوا زينة حقائق معرفتهم وما يكشف الله لهم من عالم الملكوت، وأنوار الذات والصفات، ولا المواجيد إلا ما ظهر منهم بالغلبات من الشهقات والزعقات والاصفرار والاحمرار، وما يجري على ألسنتهم بغير اختيارهم من كلمات الشطح والإشارات المشكلة، وهذه الأحوال أشرف زينة للعارفين قال بعضهم: أزين ما تزين به العبد الطاعة فإذا أظهرها فقد ذهبت زينتها.

وقال بعضهم: الحكمة في هذه الآية لأهل المعرفة أنه من أظهر شيئًا من أفعاله إلا ما ظهر عليه من غير قصد له فيه فقد سقط به عن رؤية الحق؛ لأن ما وقع عليه رؤية الخلق ساقط عن رؤية الحق، وقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ قرن التوبة بالإيمان ثم قرنها بالفلاح معناه من رجع إلى الله من نفسه والأكوان وشاهد مشاهد الربوبية فاز من عذاب الفرقة وظهر بالمشاهدة والوصلة.

الفصل الثاني

في تفسير شطحات البسطامي

من ذلك ما نقل عنه قوله: «سبحاني سبحاني[1]».

- وقد قال ﷺ: قلت يومًا: سبحان الله! فناداني الخالق في سري: هل في عيب تنزهني عنه؟ قلت: لا يارب، قال: فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل، فأقبلت على نفسي بالرياضة

(1) قال أبو عثمان المغربي عن هذه الحكاية: هي عين الفناء. وانظر: شذرات الذهب (1/ 143)، ووفيات الأعيان (2/ 100).

حتى تنزهت عن الرذائل وتحلت بالفضائل، فصرت أقول: «سبحاني ما أعظم شأني»

قال المناوي: من باب التحديث بالنعمة.

وقال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله:

وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول:

لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائماً أبا يزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

وكذا قال: شيخ شيوخنا الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف:

وما يحكى عن أبي يزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق.

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يزيد يسرف في الكلام، وقال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول:

«سبحاني سبحاني ما أعظم شأني» فقال لي الجنيد:

إن الرجل مستهلك في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضناً من الحق به، ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إياه فيه، وقيل له: من أنت؟.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلئ عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

وحُكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المسجد ينتظره، فجاء

ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله، وما جاء عن الأكابر أولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحُسن طريقتهم، وقد قال ﷺ:

«ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً»[1] انتهى كلامه.

وقد شرح الشيوخ ما نُسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم.

وردّ جماعة على أبي يزيد، فقالوا: يا أبا يزيد كنا نسمع كلام ذي النون وأبي سليمان الداراني، وننتفع به ومنذ سمعنا كلامك تركنا كلامهم؟ فقال: نعم القوم تكلموا من بحر صفاء الأحوال، وأنا أتكلم من بحر صفاء المنة فتكلموا ممزوجاً، وأنا أتكلم صرفاً، وشتان بين من يقول: أنا وأنت، وبين من يقول أنت، وأنت.

قال الجنيد قدس الله روحه: الحكايات عن أبي يزيد مختلفة، والناقلون عنه فيها سمعوه متفرقون، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها، فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه.

وقال الجنيد أيضًا: وكأن كلام أبي يزيد -رحمة الله عليه- بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده[2].

وقال أيضًا: كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا.

وقال أبو الحسين: ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبة لا

---

(1) قلت: إنما هو من كلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله، من ثماني عشرة كلمة كلها حكم، وقد روى الجزء الذي ذكره المصنف، المحاملي في أماليه (ص395)، وذكرها العجلوني في كشف الخفاء (1/ 45)، تاماً عن عمر.

ورواها بتمامها البيهقي في الشعب (6/ 323)، من طريق يحيى بن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن اصنع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت ... فذكر الأثر.

(2) وهذا دقيق منه وحقيق رضي الله عنه، فالناظر في كلام سيدي أبي يزيد يعرف أنه لسان نسيج وحده.

وفي كل عباراته سابغة مهيئة جرت على لسانه بإذن الله تنبيها وتحفيزاً للسامع كي يتوصل إلى ما خفي من الحقائق خلف نسق اللغة.

يجوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها. وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت علي بن بندار، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول: بلغني أن أبا حفص قدم على أبي يزيد، فقال له: يا أبا يزيد: يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكرة، فقال: إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي، والله أعلم.

لائحة لعبد الحق ابن سبعين -قدس سره- قوله في الرسالة الفقيرية ما نصه:

حكمة سابعة: ويقال: الفقر هو التجرد عن المواد والاتصال بالذوات المجردة المرسوم عليها في موضوعات الشرائع والمعبر عنها في اصطلاحهم: بالملائكة وعالم الأمر، ثم التجرد عنها والاتصال بالحكيم العليم الذي أمر، الحكيم العليم المبدع الأول الذي أمر الحكيم العليم الثاني، ثم التجرد عن الجملة والاتصال بالحكمة والكلمة، ثم التجرد عنها والاتصال بالحضرة السَّنية التي يظهر فيها الحكيم العليم الأول المذكور أنه من عباد الله، والله أعز من ذلك وهو عزيز؛ لأنه اعتز على العلماء به قبل هذه التي ليست من جنس ما يعلمه الفيلسوف ولا يفهمه بعض الصوفية. وهو علم التحقيق الغريب الذي لم يخبر قط جميع من دون الدواوين كلها عنه، ولا هو من قبيل السهو والعويص ولا في قوة البطيء مع الحريص. فاسمع ما أقوله لك ولا تلتفت إلى ما تخبط فيه شيعة أرسطو، وكونهم يقولون: الحق عز وجل هو المحرك للجرم الأقصى بذاته.

والمتأخر منهم يقول: بل هو الذي فطر الأمر وهو الذي أمر بتحريكها، وهو ثالث رتبة فوق محرك الأطلس.

ومنهم من قال: هو ثاني رتبة، فانظر ذلك في آخر كتاب «المشكاة» للغزالي وفي كلام ابن سينا والفارابي. وتَحَيَّرَ ابن رشد في ذلك ثم اختار قول الحكيم، وقال به وزال عن الغير.

وتخبط في ذلك ابن طفيل وانفصل عنه بِهَذَيَان لا فائدة فيه للحكيم النبيه.

وكذلك مذهب أهل الرواق وشيعة فيثاغورس، ومن قال بالمثل المعلقة والحياة السارية في الموجودات، والذي قال بالانتقال وبالأشياء المؤلفة من الفاني والباقي.

وكذلك جميع ما تسمع من بعض الصوفية الذين يقولون: مقام الإسلام والإيمان والإحسان والحق والمطلع والأفعال والصفات والذات.

والذي يقول: الأسماء والتخلق والأسماء التي تتصف ويتصف بها والاسم الفعال والأسماء المتحابة والاسم الذي يتصف، فذلك كله منه ما يصح بوجه ما، ومنه ما لا يصح.

وكذلك قائل: «والحق وراء ذلك كله» فإنه أراد المعلوم المضاف.

وبالجملة: ما عرفوا الله حق معرفته ولا علموه على ما ينبغي له، فعليك بالرجال.

واعلم أن العلم الإلهي منه ما يتعلم، ومنه ما يورث، ومنه ما يُتلقى من صدور الرجال، ومنه ما يوجد حالاً وذوقًا، ومنه ما يظفر به في الجميع.

فقل: أعوذ بالمقصود المعلوم عند معلمي حيث معلمي: من توقف أرسطو وتشتيت مسائله الإلهية خاصة، فإن غيرها من سائر العلوم أحكمها ولم يغلط فيها إلا في القليل، ومن شكوك المشائين، وحيرة أبي نصر، وتمويه ابن سينا في بعض الأمور، واضطراب الغزالي وضعفه، وتردد ابن الصائغ، وتنويع ابن رشد، وتلويحات السهروردي مؤلف «حكمة الإشراق» والتلقيحات بمذهب أفلاطون، وتشويش ابن خطيب الرّي، وتخليط الأقدمين، ورموز جعفر المحتملة معرج التصوف مع الحكمة من حيث أتباعه، ومن شطحات بعض الرجال في «الرسالة» الذين نطقوا من أحوالهم الأول ولم تحذقهم العلوم ولا الصنائع العلمية ولا حققوا المبادئ وجاوزوا المقدار بأقوالهم وأحوالهم بوجه ما يسلمه بعض الناس وينكره الأكثر ومن تصريف ابن مسرة الجبلي في الحروف والإطلاقات في النطق اللاحق للأشياء وإضافته الآيات وفهم أقسام بعض السور والإقدام على الأحكام واقتران بعض القرآن ببعض، ومن تهذيب بعض الأسماء والصفات والكون والوجود والموجود والشفع والوتر والتوحيد على مذهب ابن قَسِيّ صاحب «خلع النعلين» ومن الأجناس الجامعة المتقدمة والتآليف والمذاهب والذهاب والاعتبار المقدر المصرف في جملة الأسماء ومدلولها وفي الصفات الدائرة التي تدور من مدلولها على صيغها، وبالعكس على مذهب ابن برجان، ومن الوصول المنسوب والوقوف عنده بحسب متعلق الأسماء والصفات والمقامات والأرواح والتلوين والتمكين والمحبة والوجود والواحد والوحدة والإضافة المحذوفة والمجردة والشائعة وغير الشائعة بحسب «المواقف» المنسوبة إلى النفرى المعلم الناقل عن المولد على زعمه وغيره.

فجميع ذلك كله لا خلاص فيه متمم، ولا إخلاص مكمل، وهو مما يدخله الغلط من الصنائع عند طائفة، ومن الأحوال عند آخرين، ومن الاصطلاح عند قوم، ومن الفهم عند آخرين، ومن الرياسة ومن اللذة ومن سوء الفهم عند الأكثر.

وهؤلاء منهم من تلذذ بالأنوار والأحوال، وغفل عن الأصل، وفرح بنفسه ولم

يكمل، ومنهم من علم المقصود ولم يتحرك إليه بالسلوك وغلبته الطبيعة والأمور الطبيعية والرياسة وحفظ الصيت عليه، ومنهم من بهره حال الاتصال فغلط.

ومنهم: من شك في الأصل ودفع تارة وجذب أخرى.

ومنهم: من كان أوله ضد آخره وبالعكس.

ومنهم: من وصف المقصود ولم يتصف به.

ومنهم: من ضر بكلامه ونفع وتنوع أمره وانتقل.

ومنهم: من ينفع من جهة ما ويضر من جهات. ولولا ما قصدت في هذا التقييد من الاختصار كنت أرسم لك مقاصدهم من حيث مواضعها والمسألة والجواب ونبين لك شأنهم كله وكيف الأمر فيهم على الإطلاق بالبرهان.

وبالجملة: عليك بالحق وفريقه وأهله وطريقه، فإن الرجال إذا تنوعوا دار الأمر بينهم وفيهم وعليهم، لا زوال للحق ولا شك فيه، ولا يأخذه النقص ولا يختلف ولا يتغير، وهو الذي به هو الشيء وما هو، وهو الشاهد المتفق من جميع جهاته، وهو هو كما تقدم، وكل حائر فمن أجله كانت حيرته وفيه وبه. فافهم. فإنه هو المطلوب وبه يطلب، ومنه الطالب وله ومنه وعنه الكل. انتهى المراد منه.

وصل

وقال الشريف ابن ناصر الكيلاني في «مجمع البحرين»: قد علمنا بالخبر الصحيح أن أعمالنا ترد علينا، فإليه يرجع الأمر كله، فالعبد بحسب ما عمل فهو المقدس إن كان عمله التقديس والتنزيه والمعظم إن كان عمله التعظيم.

ولما لاحظ من أصل الكشف هذه الرجعة، قال: «سبحاني»، فأعاد التنزيه عليه لفظًا، كما عاد حكمًا، هكذا من مقام سبح اسم ربك.

وكما قال الآخر في هذا: أنا الله، فإنه ما عبد إلا ما اعتقده، وما اعتقده إلا ما أوجده في نفسه، فما عبد إلا مجعولاً مثله، نظهر لك بهذا السرد إن كنت ذا لبٍ، أن أمر الوجود كله يرجع إلى العبد؛ لأنه ظاهر بالصورتين، وباطن عن الصورة الكونيَّة بما عنده من الصورة الإلهيَّة أن الله خلق آدم على صورته، فمن هنا يظهر رجوع الحق إلى العباد من نفسه مع غناه عن العاملين، فلمَّا خلقهم لا يمكن إلا الرجوع إليهم، والاشتغال بهم، سنفرغ لكم وهو عين

الحفظ الإلهي، فإنه ما أوجده عبثًا، فيرجع إليه سبحانه أنه توابٌ: أي رجّاع.

وقال الشيخ أبو طالب المكي: كان أبو يزيد يقول: «سبحاني ما أعظم شأني» وهو موحد لأنه وحد بأولية بدت.

وهذا الذي ذكره دواء من اعتلّ بنظره إلى نفسه، ثم سقم بنظر الناس إليه لزمه سد نظره إلى نظرهم، ليس لها من دون الله كاشفة إلا أن هذا من طبّ المجانين، يصلح لضعفاء اليقين، ولو أدخل الطبيب الأعلى ذرة من عين اليقين، أخرج بها من قلبه كل نظرة فاستراح من كل دواء، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة بشواهد الحق، ويحيا من حي عن بينة بشاهد الحق، ويتلوه شاهد منه فلا تنكرنّ من جميع ما ذكرناه شيئًا، فتخسر أقل أنصبة المؤمنين من علم القدرة واليقين، لأن للمؤمنين أنصبة من هذا العلم؛ منها المشاهدة لما وصفناه، والإدراك لما رمزناه انتهى، قوت القلوب (1 / 480).

وقال الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية (1/ 181):

يقول المنزه على الحقيقة من هو نزيه لنفسه وإنما ينزه من يجوز عليه ما ينزه عنه وهو المخلوق فلهذا يعود التنزيه على المنزه قال صلى الله عليه وسلم : «إنما هي أعمالك ترد عليكم» فمن كان عمله التنزيه عاد عليه تنزيهه فكان محله منزهًا عن أن يقوم به اعتقاد ما لا ينبغي أن يكون الحق عليه ومن هنا قال من قال سبحاني تعظيمًا لجلال الله تعالى ولهذا قال روضه مطلول وهو نزول التنزيه إلى محل العبد المنزه خالقه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ثم قال أيضًا في الفتوحات المكية (1/ 402):

ومن هذا الباب كان جواز المسح على الإطلاق سفرا أو حضرا فالحضر منه هو التنزيه الذي يعود عليك فتقول: سبحاني في هذه الحالة كما نقل عن رجال الله فكان مشهد من قال سبحاني هذا المقام الذي ذكرناه والسفر هو التنزيه الذي ينتقل من تلفظك به في التعليم إلى سمع المتعلم السامع فيؤثر في نفس السامع حصول ذلك العلم فتطهر محله من الجهل الذي كان عليه في تلك المسألة هذا القدر من انتقاله من العالم المعلم إلى المتعلم يسمى سفرا لأنه أسفر له بهذا التعليم بما هو الأمر عليه فطهر محله.

وقال أيضًا في الفتوحات المكية (2/ 172):

قال أهل التسبيح: إذا أشهد أحدهم من سبحه قال «سبحاني» فما سبح إلا نفسه، وقال تسبيحه في زعمه ربه يفضحه الشهود، فاستعجل بالتعريف في هذه الدار فقال سبحاني فأنكر

عليه من هو على حالته التي كشف له عنها، وقال: إن طلب منك الدليل فقل: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم ومن ذلك التحميد.

وقال الشهاب السهروردي: وممن قال إن هذا القول صَدَرَ عنه في حال السُكر الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومنه ما أمروا به، فصدر عنهم امتثالاً للأمر، ويكون ذلك الأمر تنويهًا بفضلهم، وبيانًا لعلوّ شأنهم، وتعريفًا للجاهل بكِبَرِ قدرهم، وإرشادًا إلى التعلُّق بهم، والتوسل برفيع جاههم، وغير ذلك من الصالح، ومن ذلك قول الشيخ عبد القادر الكيلاني قُدِّس سرُّه: «قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله»، وشطحات المشايخ كثيرةٌ جدًا، فكل ما بلغك عن أحدٍ منهم مِنْ شطحٍ فاحمله على أحد المحامل المذكورة على حسب ما يليق بحاله تسلم وتغنم إن شاء الله تعالى انتهى.

وقال حجة الإسلام الغزالي في «المقصد الأسنى»: وقول أبي يزيد -رحمه الله- إن صح عنه «سبحاني ما أعظم شأني» إما أن يكون ذلك جاريا على لسانه في معرض الحكاية عن الله عز وجل كما لو سمع وهو يقول لا إله إلا أنا فاعبدني لكان يحمل على الحكاية، وإما أن يكون قد شاهد كمال حظه من صفة القدس على ما ذكرنا في الترقي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات وبالهمة عن الحظوظ والشهوات فأخبر عن قدس نفسه وقال «سبحاني» ورأى عظم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق فقال ما أعظم شأني وهو مع ذلك يعلم أن قدسه وعظم شأنه بالإضافة إلى الخلق ولا نسبة له إلى قدس الرب تعالى وتقدس وعظم شأنه ويكون قد جرى هذا اللفظ في سكره وغلبات حاله، فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة وحال السكر ربما لا يحتمل ذلك فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الاتحاد فذلك محال قطعا فلا ينظر إلى مناصب الرجال حتى يصدق بالمحال بل ينبغي أن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال.

وقال في «إحياء علوم الدين» (1/ 39):

وأما الشطح: فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية أحدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال:

«سبحاني سبحاني»، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوي، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار مصدره العلم والجدال، والعلم حجاب، والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره، حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة، وأما أبو يزيد البسطامي -رحمه الله- فلا يصح عنه ما يحكى، وإن سمع ذلك منه، فلعله كان يحكيه عن الله ﷻ في كلام يردده في نفسه، كما لو سمع وهو يقول: «إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني» فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر. وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره، لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان، أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه، وقد قال النبي ﷺ: «ما حدث أحدكم قومًا بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم».

وقال ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله. فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره. وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء. وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم؛ إن للحكمة حقًا وإن لها أهلاً، فأعط كل ذي حق حقه.

وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح؛ وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة، كدأب الباطنية في

التأويلات؛ فهذا أيضًا حرام وضرره عظيم؛ فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى؛ وهذا أيضًا من البدع الشائعة العظيمة الضرر. وإنما قصد أصحابها الإغراب؛ لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له؛ وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم.

وقالت الست عجم بنت النفيس في شرحها لقول الشيخ الأكبر في المشاهد القدسية: وقوله: (سبحانك وتعاليت) يريد به إظهار حقيقة ذاته، فإنها من حيث هي فانية في ذات الله تعالى قد اتصف بالتنزيه والبراءة عن التشبيه والتمثيل والحصر إلى غير ذلك من النقائص وصورته من حيث هي مختصرة من حقيقته فانية في الذات والحقيقة لله تعالى من أجل النزول كما ذكرنا، فإذا نطق كان الله هو الناطق إذ قلبه خزانته كما قال قبل، وإذا سمع وأبصر كان الله هو السميع البصير، بدليل الحديث الوارد. فقوله: (سبحانك وتعاليت) إشارة إلى ذاته تعالى مع إظهار فناء هذا العارف في هذا الحال، وأقول: إنه كان حال هذا الخطاب صامتًا حتى ينطق الله بلسانه، وإن كان دائمًا هو هكذا، لكن القصد في هذا الخطاب إظهار حقيقة فناء هذا العارف، فكأنه تعالى سبّح نفسه، وأشار إلى العارف أنه لا حقيقة لصورتك، لأنها مستهلكة في ذاتي وكثيرًا ما يلحظ هذا في الشهود، وذلك أن الله تعالى يصفنا في الآن بأوصاف مختصة به لا تطلق على عبد، ويكون الإشارة فيها إلى فناء صورة العبد، فلو سبّح هذا العارف نفسه بلسان فنائه في ذات الله كان تعالى عند هذا التسبيح لا يتكلم من حيث ذاته ومن حيث ذاته ومن حيث صورته يكون ناطقًا على هذا اللسان، وهذا النطق مثل القول على لسان عبده ﷺ: «سمع الله لمن حمده» ومن هاهنا ما وقع لأرباب هذا الشأن من الكلمات المختصة بالله وهي التي نسبها الجاهل إلى الكفر والزندقة، وهو لا يعلم ما وراءها ولا حقيقة العارف الذي نطق بها ولا عرف أنها قول الله على ألسنتهم بدليل الحديث المذكور، فمن ذلك قول أبي يزيد رحمه الله: «سبحاني، ما أعظم شأني» فكان بالحقيقة هو نطق الله على لسانه، وكان المراد منه إظهار فناء حقيقة الناطق به انتهى.

قلت: ومن ذلك قول الشيخ الزاهد التقي أبي بكر الشبلي رحمه الله: «ما تحت الجبة إلا

الله»، فإشارته بما تحت الجبة إلى قلبه الذي وسع ربه، فإنه ليس في قلبه إلا الله.

ومن ذلك قول الشيخ المحقق الحسين بن منصور الحلاج -رحمه الله-: «أنا الله» لأنه ظهر باطنه على ظاهره، وليس في الباطن القلبي سوى الله، وهو الناطق على لسانه كما قررناه، فكل هؤلاء قوم صار لهم الغيب شهادة، وحكم ظاهرهم على بواطنهم، فصار نطق الله على ألسنتهم ظاهرًا.

وقد قال الشيخ الأكبر رحمه الله في بعض كتبه: «إن صار لك الغيب شهادة» ذكر هذا في كتاب التجليات، وكل هؤلاء ممن صار لهم الغيب شهادة وظهر لهم ما كان مستورًا عنهم، وعن الجاهلين عند تحقيقهم للوجود ومعرفتهم لله تعالى، فيظن الجاهل أنه خروج عن الأمر المشروع، وليس كذلك لكنه نطق الله على ألسنتهم بإرادته بعد تحقيق الأمر، فمنهم من يظهر هذا عليه كمن ذكرناه رحمهم الله، ومنهم من لا يظهر عليه كأبي القاسم الجنيد، وصاحب هذه المشاهد رحمهما الله، وأنا ممن لم يظهر عليه ذلك البتة، فإننا نكتفي في ذلك بخطاب الله تعالى لنا به في السر مع خلاصنا من الحال، وأما أولئك الذين ظهر عليهم، فإن شواهد الحال ظاهرة عليهم، وإن لم يكونوا متصفين به لكنهم تخلقوا به تخلقًا اقتداءً بالزاهد الشارع ﷺ.

وأيضًا فإنهم كانوا في زمانٍ يقتضي مثل هذا التخلق، وذلك قبل كمال من كمل منهم فعند كماله قَصَدَ التخلق بأخلاق الحال لما يقتضيه حوطة الكمال، فجرى على لسانه ما ذكر، وأما هذا الشيخ رحمه الله لم يكن متخلقًا بأخلاق الحال، فاكتفى بمثل هذا القول في الخطاب السرياني من التسبيح والتعالي.

وقال الشيخ القاشاني في «رشح الزلال»: وسر الحال: بإزاء معرفة مراد الله تعالى فيه وهو كون الحق من حيث كونه عين سمع العبد، وبصره، ولسانه، ويده، دليلاً على نفسه تعالى، ولما كانت هذه الدلالة للعبد من حاله، أضيف السر إلى الحال، ويكون الدلالة من الحال وقع الالتباس، حتى أنا الله، وسبحاني، ونحو ذلك، وأما مراد الله، فهو دلالته تعالى على نفسه حسب خصوصية حال العبد عند كونه تعالى حين سمعه، بصره ولسانه، ويده.

ومن شطحاته أيضًا:

قوله:

أُرِيــدُكَ لاَ أُرِيــدُكَ لِلــثَّوَابِ   وَلَكِنِّــي أُرِيــدُكَ لِلْعِقَــابِ
وَكُــلُّ مَــآرِبِي قَــدْ نِلْــتُ مِــنْهَا   وَسِوَى مَلْذُوذِ وَجْدِي بِالْعَذَابِ

فانظر إلى هذا النفس ما أسماه! وإلى هذا المقام ما أسناه!

- قوله: «خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله».

قال الشهاب السهروردي: وأما ما حُكي عنه أنه قال: «خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله» فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم، ونذكر هنا ما قاله الشيخ الكبير أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه فإنه أقرب إلى أفهام الناس.

قال: إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلئ عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

- قوله: «ضربت خيمتي بإزاء العرش».

وأما ما حُكي عنه قوله: «ضربت خيمتي بإزاء العرش» فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحت العرش، أو بإزاء العرش يعني: وجهت وجهي نحو ملك العرش، ولا يوجد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن.

- قوله: «أنا من ليلى ومن ليلى أنا».

قال الشهاب: إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًا من الحق به، ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إياه فيه، وقيل له: من أنت؟. قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا.

- قوله: «رفعني وأقامني بين يديه».

وأما قوله في بعض كلامه: «رفعني وأقامني بين يديه»، يعني: أشهدني ذلك وأحضر

قلبي لذلك؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهم نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة، والله تعالى أعلم. وأما قوله: قال لي وقلت له، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار، ما يقع في القلوب بدؤه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله، فهذا على هذا المعنى، والله أعلم.

- قوله: «سبحانه، أنا ربي الأعلى».

قيل للجنيد: أبو يزيد يقول: «سبحانه، أنا ربي الأعلى» فقال: الرجل استهلك فنطق ما هلك به؛ لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد في الحق إلا الحق.

- الجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة يسكنون إلى الجنة، وكل من سكن الجنة سكن إلى سواه، فهو محجوب.

- قوله: «أنا اللوح المحفوظ».

ذكر الشيخ ﷺ في رسالة القدس من هذا المقام عن عبد الله بن سهل أنه قال: سمعت أبا يزيد، وسُئل عن اللوح المحفوظ، فقال: أنا اللوح المحفوظ، وإنما أضاف هنا القلب إلى النفس؛ لأنها أصلٌ وإجمالٌ لما فُصِّل في القلب.

- قوله: «بطشي أشد من بطشه».

أما ترى أبا يزيد قُدِّس سره لما سمع القارئ يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: 12]، فقال: «بطشي أشد»؛ لأنَّ بطشه غير مخلوطٍ بالرحمة، فالضار يكون نافعًا في ضرره، والمانع معطٍ في منعه.

ويُشير إلى ذلك المقام سيِّدنا سيِّد العارفين علي بن أبي طالب ﷺ في بعض مناجاته: اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نعمته، ذكره في نهج البلاغة.

ووجهه الشيخ ابن عربي بقوله: إن بطش العبد معرّى عن الرحمة، فليس عنده حال

بطشه من الرحمة شيء، وبطش الحق وجه فيه رحمة بالمبطوش به فهو الرحيم له في بطشه.

وقال الشيخ الشعراني: اعلم أن بطش الحق ووعيده مطلق ولكن مشوب برحمته ولطفه، ولولا ذلك لتلاشى العالم، ولم يبق له وجود، وأما بطش المخلوق فهو محض نقمة لا يشوبه شيء من الرحمة؛ وسبب ذلك ضيق المخلوق، فهو يبطش بغيره ليستريح من الحرج والضيق الذي يجده في نفسه، فيطلب الرحمة بنفسه، ولو كان في ذلك هلاك غيره، بخلاف بطش الحق فإنه لسبق العلم بأخذ هذا المبطوش به للسبب الموجب له لا غير، والمنتقم لغيره ما هو كالمنتقم لنفسه، والله أعلم.

قوله: «ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي».

وفي رواية: لم أزل أبكي حتى ضحكت، ولم أزل أضحك حتى صرت لا أضحك ولا أبكي.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني: مراده -رضي الله عنه- أنه صار من أهل أحدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب.

- وقوله: «وقد قيل: أأصبحت؟ قال: لا صباح لي ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة، وأنا لا صفة لي».

وهو بمعنى الأول، قال شيخنا علي الشوني-رضي الله عنه-: وإنما كان لا نعيم عند أصحاب هذا المقام ولا عذاب؛لأن تجلي الحق لهم في غير مظهر، فهو حالة فناء ليس فيها لذة ولا ألم، فإن اللذة والألم إنما يوجدان في مركب، وأما العذاب البسيط فلا حكم له في الوجود، فاعلم ذلك.

- قوله: «ما في الجبة إلا الله».

قال الشيخ الشعراني ما نصه: معناه ما في الوجود إلا الله، كما لو قلت: ما في المرآة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في المرآة شيء أصلاً، ولا في الناظر على ما هو عليه لم يتأثر، وهذا كله من باب:

ألا كل شيء......

لأن الباطل هو الذي لا وجود له، فافهم.

- قوله: «إلهي ملكي أعظم من ملكك».

قال الشيخ إسماعيل حقي تفسير (15/ 243):

وذلك لأن الله تعالى ملك أبا يزيد وهو متناه وأبا يزيد ملك الله وهو باقٍ غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب حصول الفناء ... ونحوها، فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة وإحدى وعشرين مرة أغناه الله من فضله إما بأسباب أو بغيرها.

وقال الشيخ الشعراني: حين خاطبه الحق في سره وقال: يا أبا يزيد ملكي عظيم أعظم بإجابة دعائه، وقضاء حوائجه وغير ذلك، وليس مثل الحق في ملك الحق، فكان الشيخ يقول: ملكي أعظم من ملكك، لكونك لي وأنا لك، فأنا ملكك، وأنت ملكي، وأنت العظيم الأعظم، وملكي أنت، فأنت أعظم من ملكك، وهو أنا، فقال له الحق في سره: صدقت يا أبا يزيد، والله أعلم.

- قوله: «الإرادة ترك الإرادة».

قال الشيخ الأكبر: والإرادة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإرادة وذلك قوله أري فأراد محو الإرادة من نفسه.

وقال هذا القول في حال قيام الإرادة به ثم تمم وقال: لأني أنا المراد، وأنت المريد يخاطب الحق.

وذلك أنه لما علم أن الإرادة متعلقها العدم والمراد لا بد أن يكون معدوما لا وجود له ورأى أن الممكن عدم وإن اتصف بالوجود لذلك قال أنا المراد أي أنا المعدوم وأنت المريد، فإن المريد لا يكون إلا موجودًا.

وأما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله وهي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية، فتحصل له المعرفة بالله ذوقًا تعليمًا إلهيًا فيما أمكن ذوقه. الفتوحات المكية (4/ 218).

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني: أراد -رضي الله عنه- بذلك محو إرادة العبد من نفسه استقلالاً لا غير، وإلا فلا بدّ للعبد من إرادة في إيقاع الأقوال والأفعال التي تبرز على يديه، فالمراد أن يكون العبد في مقام التسليم لا يبرح منه أبدًا، والله تعالى أعلم.

- قوله لبعض تلامذته: «إذا عسرت عليكم الحوائج فادعوا بأبي يزيد، واتركوا دعاء الله».

قال الشيخ الشعراني: اعلم أن أبا يزيد نهج منهاج الرسل في ذلك من باب: ﴿ قُلْ إِن

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31]. فأمر الأمة بمتابعة الرسول نيابة عن الله لخفاء متابعة الله تعالى على العباد، فلما علم أبو يزيد أنه مستمد في أحواله من الرسول والرسالة قد انقطعت، وما بقي إلا أولياء الله الذين يستمدون من الرسول ويمدون العباد قال لتلامذته ما قال، ودلهم على حوائجهم من أقرب الطرق جريًا على منهاج التشريع فافهم.

- قوله: «أناني أنانيتك».

قال الشيخ الأكبر: وحكي عن بعض العارفين ورأيته منقولاً عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في بعض مشاهده مع الحق من الأحوال أناني أنانيتك أي كما ينطلق على الاسم المضمر بحقيقته كذلك ينطلق عليك ما هو مثل الاسم الظاهر ولا مثل الوصف الظاهر وهذا عين ما قلناه من قوة المضمرات ولما وقع في الكون التشبيه والاشتراك في الصور بحيث أن يغيب أحد الشخصين ويحضر الآخر فيتخيل الناظر إلى الحاضر ان الحاضر عين الغائب وضع الله في العالم الإشارات في الإخباريات والضمائر لارتفاع هذا اللبس والفصل بين ما هو وبين من يظهر بصورته واعتمدوا عليه ولما أخبر الله تعالى إن الإنسان مخلوق على الصورة قال عيسى عليه السلام كنت أنت الرقيب عليهم ففصل بين الحق وبين ما هو على الصورة فكأنه قال كنت من حيث عينك لا من هو على صورتك الرقيب عليهم فناب أنت في هذا الموضع مناب العين المقصودة.

- قوله: «الإنسان هو اسم الله الأعظم».

قال الشيخ الشعراني: أي لأن الأسماء إنما وضعت للدلالة، فقد يمكن فيها الاشتراك، والعبد أدل دليل على الله تعالى وأكبره، فهو اسم من أسمائه لدلالته على الله المسمى، لا سيما وقد خلع عليه بعض أسمائه، ثم لا يخفى أن أسماء الله كلها عظيمة، وذلك قال ذو النون المصري: «من طلب اسم الله الأعظم، فليرنا الأصغر»، فافهم ذلك.

- وصل الجمعة فسمع الخطيب يقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85]، فخرج قطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر، وقال: يا عجبًا كيف يحشر إليه من هو جليسه؟ فإن الله يقول: «أنا جليس من ذكرني[1]» والمتقي ذاكر الله ذكرًا حذرًا، فلما حشر إلى

---

(1) رواه البخاري (5/ 291)، وأحمد (4/ 136).

الرحمن وهو مقام الأمان مما كان من الحذر فرح بذلك.

وفي رواية: وقُرئ بين يديه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ [مريم:85]، فتواجد وهام وجعل يقول: من كان عنده لا يحتاج أن يحشر لأنه جليسه أبداً[1].

قال الشيخ ابن عربي: فكان دمع أبي يزيد دمع فرح -لا دمع ترح- كيف حشر منه إليه حتى حشر غيره إلى الحجاب.

- طرق طارقٌ بابه وقال: هاهنا أبو يزيد؟ فصاح: إن أبا يزيد في طلب أبي يزيد منذ أعوام فما رآه.

قال المناوي: يشير إلى ذهابه عن الخلق بلا رجوع.

- وقال: «قال لي الحق اخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني».

قال الشيخ ابن عربي: هو ظهور صفات الربوبية عليه، ألا ترى خلفاء الحق في العباد لهم الأمر والنهي والحكم والتحكم؟.. وهذه صفة الإله.

- قال: «أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت».

وقال الشيخ الأكبر: علماء الرسوم يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة، فبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمةً منه وعناية سبقت لهم عند ربهم انتهى.

- وقيل له: هل بلغت جبل قاف؟ قال: جبل قاف ليس بغريب، بل الشأن جبل كاف، وجبل صاد، وجبل عَين.

قال المناوي: هذه جبال محيطة بالأرض حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها.

- قوله: رأيت رب العزة في المنام فقال: إيش تريد؟ فقلت: أريد ألا أريد غير ما تريد؟ فقال لي: أنا لك كما كنت لي.

- قوله: وقال: أوقفني الحق بين يديه مواقف في كلها يعرض علي المملكة فيقول: أتريد؟ تحف؟ قلت: لا.. قال: الظرف؟ قلت: لا، قال: الغرف؟ قلت لا، قال: ما تريد؟ قلت: أريد ألاّ أريد، (فإنك المريد، وأنا المراد)، قال لي: أنت عبدي حقًا.

قال الشيخ الأكبر على الرواية التي وجهها في الفتوحات المكية (4/ 218):

والإرادة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإرادة وذلك قوله: أتريد، فأراد محو الإرادة من

---

(1) في النور (ص61).

نفسه، وقال هذا القول في حال قيام الإرادة به، ثم تمم وقال: لأني أنا المراد وأنت المريد، يخاطب الحق وذلك أنه لما علم أن الإرادة متعلقها العدم، والمراد لا بدّ أن يكون معدومًا لا وجود له، ورأى أن الممكن عدم، وإن اتصف بالوجود؛ لذلك قال: أنا المراد أي: أنا المعدوم وأنت المريد، فإن المريد لا يكون إلا موجودًا.

وأما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله، وهي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية، فتحصل له المعرفة بالله ذوقاً تعلياً إلهياً فيما أمكن ذوقه، انتهى المراد منه بتصرف يسير.

جملة من كلماته الشطحيات

- التوحيد هو الجاني على نفسه بإدخال الشريك في توحيده؛ لأنه الموحد للخلق حتى أشركوا، فلم يجن عليه شيء من الموجودات».

- أراد موسى عليه السلام أن يرى الله تعالى، وأنا ما أردت أن أرى الله، هو أراد أن يراني.

- أسألك ألا تحجب الخلق بك عنك، وتحجبهم عنك بي، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون.

- إذا جاء حب الله يغلب كل شيء، لا حلاوة للدنيا، لا حلاوة للآخرة، الحلاوة حلاوة الرحمن.

- أدخلني معه مدخلاً أراني الخلق كلهم بين الإصبعين.

- أسلمني إليك، فإنه لم يبق لي معها غيرك.

- أشرفت على ميدان الليسية، فما زلت أطير فيه عشر سنين حتى صرت من ليس في ليس بليس، ثم أشرفت على التضيع حتى ضعت في الضياع ضياعًا، وضعت فضعت عن التضيع بليس في ليس في ضياعة التضيع، ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن المعارف، وغيبوبة العارف عن الخلق.

- أشرف الحق على أسرار العالم فشاهدها خالية منه غير سري، فإنه رأى منه ملاءة فخاطبني معظمًا لي بأن قال: كل العالم عبيدي غيرك.

- إلهي أتعذب أقوامًا في النار غدًا من الأجنبية لا يعرفون من معذبهم؟ فهلا تعذبني

فأعرف من معذبي.

- أكبّر بالتلية، وأقرأ بالترتيل، وأركع بالتعظيم، وأسجد بالتواضع، وأسلم بالتودع... ليس بي يتمسحون، لكن يتمسحون بحلية حلانيها ربي، فكيف أمنعهم من ذلك، وذلك لغيري؟

- قال الجنيد: قال أبو يزيد قدس الله روحيها: إلهي إن كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار، فعظم خلقي فيها حتى لا تسع معي غيري.

وأنشد شعراً في ذلك:

ولو قلتَ جُدْ بالكل منك لنا لما ... تأبيت فيما قلته عند ذلكِ

ولو وضع المشار مني على لظى ... لضجت من التعظيم في وجه مالكِ

فحبك فرض كيف لي بأدائه ... ولستُ لفرضٍ ما حييت بتاركِ[1]

- إلهي الخلق لك، وأنت مالكهم، ما لي والتكلف بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة.

- إلهي لا تجعلني عالمًا ولا زاهدًا ولا متقربًا، فإن أهلتني فأهلني لشيء من أشيائك.

- إلهي لو تغفر من رأس آدم إلى يوم القيامة غفرت عن قبضة تراب، ولو تحرق من رأس آدم إلى يوم القيامة أحرقت قبضة تراب.

- إلى كم بيني وبينك هذه الأنانية؟ أسألك أن تمحو أنانيتي عني حتى تكون أنانيتي أنت، فتبقى وحدك، ولا ترى إلا وحدك يا عزيز، فاستجاب دعائي غير أنه هيجني.

- إن كنت تحب أنانيتك لي، فإني قد وهبت أنانيتي لك فافعل ما تريد.

- وقال: قطعت المفاوز حتى بلغت البوادي، وقطعت البوادي حتى وصلت إلى الملكوت حتى وصلت إلى الملك، فقلت الإجازة؟ قال: قد وهبت لك جميع ما رأيت، قلت: إنك تعلم أني لم أر شيئاً من ذلك. قال: فما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريد. قال: قد أعطيناك[2].

- إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة من رؤيته ساعة استغاثوا بالخروج من الجنة، كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار.

- إن آدم عليه السلام باع حضرة ربه بقلمه...لو شفعني الله في الأولين والآخرين لم

(1) نقلاً عن النور (ص77).

(2) في النور (ص78).

يكن ذلك عندي بكبير، غاية الأمر أنه شغفني في لقمة طين.

- أنا الشارب والشراب والساقي.

- أنا ربي الأعلى.

- دخلت طبرستان، وقد رأيت تلك السيول والأنهار كلها إذا دخلت البحر غرقت، تأمرني أن أغوص هاهنا غوصة أخرج من حيث لا مخلوق.

- روى أبو نعيم عن أبي يزيد البسطامي أنه قيل له: إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أنا كل السبعة.

- أنا لا أنا أنا أنا؛ لأني أنا هو أنا، أنا هو هو.

- طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو[1].

- أهل الجنة يتزاورون، فإذا رجعوا من الزيارة عرض عليهم صور، فمن اختار منهم صورة لم يرد إلى الزيارة.

- إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل إنسان على حسب ما يقوله، ثم ينسبه إليّ.

- إني جمعت عبادات أهل السماوات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة وضعتها تحت خدي.

- أول ما صرت إلى وحدانيته، فصرت طيرًا جسمه من الأحدية، وجناحاه من الديمومية، فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين، حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرة، فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية، فرأيت فيها شجرة الأحدية، فنظرت فعلمت أن هذا كله خدعة.

- أين الدعوى؟ المدعي هو الله، والله حيث قال: يا عبادي.

- الجنة هي الحجاب الأكبر؛ لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه، فهو محجوب.

- الشوق قصبة مملكة المحبين، فيها عرش عذاب الفراق منصوب، وسيف هول الهجران مسلول، وغصن نرجس الوحدة على كف الأمل موضوع، وفي كل آن يطيح السيف بألف من الرقاب، قالوا: إن سبعة آلاف من السنين قد مضت، ولكن النرجس لا يزال غضًا

(1) في «البدء والتاريخ» (1/ 89): وحدثني عن بعض مشايخه عن أبي يزيد البسطامي أنه قال .. فذكره.

طريًا لم يصل إليه كف، أي أمل بعد.

- المؤمن الجيد الذي تأتيه مكة وتطوف حوله، وترجع ولا يشعر به، حتى كأنه أخذ.

- تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين.

- حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شيء واحد: طلب العفو.

- ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل: أنا أولئك، قلبي واحد، وهمي واحد، وروحي واحد. بلغني أن واحدًا على قلب إسرافيل: أنا ذلك الواحد، جنني بي فمت، ثم جنني به فعشت، ثم جنني عني وعنه فغبت، ثم أوقفني في درجة الصحو وسألني أحوالي فقلت: الجنون بي فناء، والجنون بك بقاء، والجنون عني وعنك ضياء، وأنت في كل الأحوال أولى بنا.

- حججت أول حجة فرأيت البيت، وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت، ولم أر البيت، وحججت ثالثًا فلم أر البيت ولا صاحب البيت.

- خرجت إلى الحج، فرأيت في الطريق أسود فقال لي: يا أبا يزيد إلى أين؟ فقلت إلى مكة، فقال: الذي تطلبه تركته ببسطام وأنت لا تدري، تطلبه وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

- خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح مني فيّ: يا من أنت أنا، فقد تحققت بمقام الفناء بالله تعالى.

- خرجت إلى الحج فاستقبلني رجل في بعض المتاهات فقال: يا أبا يزيد إلى أين؟ فقلت: إلى الحج، فقال: كم معك من الدراهم؟ قلت: معي مائتا درهم، فقال: طف حولي سبع مرات وناولني المائتي درهم، فإن لي عيالاً، فطفت حوله وناولته المائتي درهم.

- دعوت الخلق إلى خمسين سنة، فلم يجيبوني، فتركتهم وصرت إليه وحدي، فوجدتهم قد سبقوني إليه.

رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك.

- رفعت مرة حتى أقمت بين يديه، فقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يريدون أن يروك، فقلت: يا عزيزي إني لا أحب أن أراهم، فإن أحببت ذلك مني، فإني لا أقدر أن أخالفك،

فزيني بوحدانيتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك، ففعل ذلك، فأقامني وزينني ورفعني، ثم قال: اخرج إلى خلقي، فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق، فلما كان الخطوة الثانية غشي عليّ فنادى: ردوا إليّ حبيبي، فإنه لا يصبر عني.

- سبحاني ما أعظم شأني، حسبي من نفسي حسبي.

- طلقت الدنيا ثلاثًا بتاتًا لا رجعة فيها، ثم تركتها وصرت وحدي إلى ربي، فناديته بالاستغاثة: إلهي ومولاي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك، فلما عرف صدق الدعاء من قلبي مع الإياس من نفسي، وكان يمنعني من كل عطاء عرفته، حتى ينتهي بأنانيته على غاية فهم الفاهمين، ثم يفهمني طلبه بلا كيف حين لا إله إلا الله، فمنَّ عليّ العطايا دهرًا، ثم أخرجني منها إلى ميدان التوحد، ثم أرتعني في فسحات ربوبيته، وبهاء ذاتيته، فقال: يا عزيزي، كن قدرتي وآياتي وصفتي في أرضك، ونورًا في كونك، ومنارًا في خلقك، ثم ألبس علي ستور أنواره فغطاني بستوره، وأنارني بنور ذاته، فقال: يا حُجتي، فقلت: أنت حجة نفسك، لا حاجة لي في ذلك، وأول ما أورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

- طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك.

- غبت عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما خنست عنه وجدته في كل حالٍ حتى كأنه أنا.

- غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته سبقت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وطلبه لي أولاً، حتى طلبته.

- فعلوا هم ما فعلوا بالعقل، وليس مثلي بلا عقل.

- قال: يا عزيزي هذا بساط عشقي هَلمّ، فكنت عليه في عشقي ذلك، فقلت: ما أنا هنالك، ومرادي منك غيرك.

- غبت في الجبروت، وخضت بحار الملكوت، وحجب اللاهوت، حتى وصلت إلى العرش، فإذا هو خال، فألقيت نفسي عليه وقلت: سيدي أين أطلبك؟ فكشف، فرأيت أني أنا، فأنا أنا أولي فيما أطلب، وأنا لا غيري فيما أسير.

- قال: يا عزيزي هذا بهائي، كن سفيتي فيها، فقلت: يا عزيزي بهاؤك كذلك وهو

صفتك، فكن سفينة نفسك في نفسك، ولا حاجة لي في ذلك.

- قال الله تعالى: لا تفعل الأرباب بعبيدها ما أفعل، فعالي لا توصف.

- قال لي: يا عزيزي كن غيًا في غيبي، فقلت: يا عزيزي أنت غيب نفسك في نفسك.

- كنت إذا سألت عنك أجبت منك، وإذا سألتك عني أجبتك منك.

- كنت أطوف حول البيت أطلبه، فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي.

- كنت قاعدًا يومًا من الأيام فخطر لي أني شيخ الوقت، فخرجت إلى طريق خراسان، فجلست وجعلت على نفسي وآليت عليها ألا أقوم حتى يوجه إلى الحق من يعرفني نفسي، فبقيت ثلاثة أيام بلياليها قاعدًا، فشهدت فيه حالاً، فأخرجت يدي وأومأت إلى الجمل فغاص برجليه في الأرض اليابسة، فنظر إلي وقال: تلجئني إلى أن أفتح عيني المغلوقة، فأغرق بسطام وأهلها، وأبو يزيد فيهم، ثم التفت إليّ فغشي عليّ، فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من وقت الذي عقدت بينك وبين الحق، وقد جئتك ثلاثة آلاف فرسخ، ثم قال: يا أبا يزيد احفظ قلبك، وحول وجهه عني ومر.

- قلت مرة: من مثلي قد وصَّلت إلى هذه الحالة وعجبت، فهتف بي هاتف: أعجبت؟ اذهب فلا حاجة لنا فيك، فنمت في البادية على وجهي لا آكل ولا أشرب ولا أنام، فمررت بديرٍ فيه راهبة، فقلت لها: ها هنا مكان طاهر أصلي؟ فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت، فدخلت ديرًا فرأيت قومًا يعبدون الصليب، فثرت، وقلت: ويحكم أتعبدون ما لا يضر وما لا ينفع؟ وتدعون عبادة من ينفع ويضر، فهتف هاتفٌ: نحن في غنى عن نُصحك، اذهب فلا حاجة لنا فيك، فقلت ما بقي بعد هذا حديث، ثم قلت لراهب: ناولني زنارًا، ما بقي غير شد الزنار، فأدخلت يدي في أكمام مرقعتي، وقلت: أرمي بها وأشد الزنار، ولم يبق إلا أن أخرج رأسي، فهتف بي الهاتف: لا يا أبا يزيد، ما وصل الحال إلى هذا، وإنما نحن نعلم أنك محبنا، فتدلل عليك.

- كنت لي المرآة، فصرت أنا المرآة.

- لئن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة.

- لكن هذا للمؤمن عناء، إنما المؤمن الجوهر أنى يطلع فيكون المشرق والمغرب بين يديه، فيتناول من حيث شاء.

- لم أزل أبكي حتى ضحكت، ولم أزل أضحك حتى صرت لا أضحك ولا أبكي.

- لما أشرفني على التوحيد طلقت نفسي وصرت إلى ربي، وناديته بالاستغاثة إليه، قلت: يا مولاي أدعوك دعاء من لم يبق له غيره، فلما عرف صدقي في الدعاء مع إياسي من نفسي كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية، فأنساني الخلائق والملكوتات، فتخليت من الهموم وبقيت بلا هم، فلم أزل أقطع مملكة مملكة، فإذا صرت إليهم قلت لهم: قوموا حتى أجوز، فأتيمهم وأجوز حتى صرت إليهم فقربني قربيًا جعل لي سبيلاً أقرب من الروح إلى الجسد، ثم قال: يا أبا يزيد إنهم كلهم خلقي غيرك، فقلت: فأنا أنت، وأنت أنا.

- لم أر من الصلاة إلا نصب البدن، ولا من الصوم إلا جوع البطن.

- لما صرت إلى وحدانيته - وكان أول لحظة إلى التوحيد - أقبلت أسير بالفهم عشر سنين حتى كلَّ فهمي، فصرت طيرًا جسمه من الأحدية، وجناحه من الديمومية، فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين، طيرانًا بعد ما بين العرش إلى الثرى ثمانمائة ألف مرة، فلم أزل حتى تجاوزت الديمومية، ثم أشرفت على التوحيد في غيوبة الخلق عن العارف، وغيوبة العارف عن الخلق.

- ليت الخلق عرفوني، فكفاهم من ذلك معرفتهم بأنفسهم.

- ليس أفضل للرجل من أن يكون بلا شيء، بلا زهد ولا علم ولا عمل؛ فإنه إذا كان بلا شيء كان له كل شيء.

- لو عرف الناس أنكروني، لا حق إلا وفي صافية، فيصفني قوام الحق، ولا حق إلا وأنا هو.

- وقال أبو حفص -رحمه الله-: سألت أبا يزيد عن الزهد؟ فقال: ليس للزهد منزلة، فقلت: لماذا؟ قال: لأني كنت ثلاثة أيام زاهدًا، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه، فقال أبو حفص: كيف ذلك؟

قال: زهدت أول يوم في الدنيا وما فيها، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث زهدت فيما دون الله تعالى فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله شيء، فسمعت قائلاً يقول: يا أبا يزيدا لا تَقْوىَ معنا، فقلت: إنما أردت هذه الكل، فسمعت قائلاً يقول لي: وجدت وجدت.

- ما النار؟ لأستندنَّ إليها غدًا وأقول: اجعلني لأهلها فداءً، أو لأبلعنها، ما الجنة

إلا لعبة صبيان.

- مثلي مثل البحر المصطلم، لا أول له ولا آخر.

- ليس مثلي مثل في السماء يوجد، ولا لمثلي صفة في الأرض تعرف.

- مرَّ أبو يزيد على مقابر اليهود فقال: ما هؤلاء حتى تعذبهم؟ كُفٌّ، عظامٌ جرت عليهم القضايا، اعف عنهم.

- مر أبو يزيد بمقبرة اليهود فقال: معذورون، ومر بمقبرة المسلمين، فقال: مغرورون.

وحكى بعضهم عن أبي يزيد أنه كان يقول: إلهي تعذب أقواماً - يعني في النار- غداً من الأجنبية[1] لا يعرفون معذبهم فهلا تعذبني فأعرف من معذبي.

- ويحك، فليس في الدار غير الله.

وقال أبو يزيد: من الناس من يزورني فيرجع عني وهو في رحمة الله، ومنهم من يزورني فيرجع عني وهو في لعنة الله، فقيل له: وكيف ذلك؟.

قال: ربما يزورني الإنسان فيكون على غلبة الحق فيرجع عني فيعذرني، فيرجع عني وهو في رحمة الله، ومنهم من يزورني فيرى علي غلبة حال فيقع في فينقلب عني وهو في لعنة الله.

- وقُرئ بين يديه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85]، فتواجد وهام وجعل يقول: من كان عنده لا يحتاج أن يحشر لأنه جليسه أبدًا[2].

- من كان عنده وسادة لا يشتغل بوسادتك.

- جلس قوم إلى أبي يزيد، فأطرق مليًا، ثم رفع رأسه إليهم، وقال: منذ جلستم إلى هو ذا أجيل فكري ألتمس حبة عفنة أخرجها إليكم تطيقون حملها فلم أجد.

- قال عبيد بن عبد القاهر: قال أبو يزيد، غبت عن الله عزَّ وجل ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما خنست عنه وجدته في كل حال: فقال له رجل: ما لك لا تسافر؟ قال: لأن صاحبي لا يسافر، وأنا معه مقيم. فقال السائل: إن الماء القائم قد كره الوضوء منه. فقال أبو يزيد: لم يروا بماء البحر بأسًا، هو الطهور ماؤه الحل ميته. ثم قال: قد ترى الأنهار

---

(1) أي الأخيار.

(2) في النور (ص81).

تجري لها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهرت فيه زيادة، ولا إن خرجت منه استبان فيه.

- منذ ثلاثين سنة الحق مرآتي، فصرتُ اليوم مرآة نفسي؛ لأنني لست الآن مَنْ كنته، وفي قولي: أنا والحق إنكار لتوحيد الحق؛ لأنني عدم محض، فالحق تعالى مرآة نفسه، بل انظر إن الحق مرآة نفسي، لأنه هو الذي يتكلم بلساني، أما أنا فقد فنيت.

- هل تعلم لوجع قلبي هذا دواء.

- وقال أبو موسى الديبلي: وجَّه ذو النون إلى أبي يزيد -رضي الله عنهما- مصلىً، وقال صل عليه، فرده، وقال: ما أصنع بالمصلى، وجِّهْ إلي متكئًا أتكئ عليه.

وقال: وددت أن الله تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة فأعطانيها حتى أنبذها بين يدي كلب حتى لا يغتر بها الخلق، ولو عذبني في نار جهنم مكان الخلق جميعًا لما كان مني بكثير بما ادعيت أني أحبه، ولو غفر لي ولجميع الخلق لما كان منه بكبير، حيث يقول: إني على الخلق رءوف رحيم[1].

- وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم ..أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق.

- قال قاسم الحداد: خرج أبو يزيد البسطامي في بعض سياحته، فوقف على دجلة فالتقى به الشيطان فحول وجهه، ثم قال: وعزتك إنك تعلم أني ما عبدتك قط لهذا، فلا تحجبني به عنك.

- وجاء أبو يزيد -قدس الله روحه- يومًا دجلة بغداد فانضمت بعضها إلى بعض كرامة له، فجلس أبو يزيد، وقال: أنا أحل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر بدانق[2] لا أبيع عمر ثلاثين سنة في هذا الحديث بدانق: يعني أني أتوقع منك شيئًا آخر دون الكرامة لأرضى منك بغيرك، فخرج مرة أخرى له يبلغ فلما وصل إلى نهر جيحون[3] ورآه يبلغ ألقِيَ له حافتاه، فقال: سيدي إيش هذا المكر الخفي وعزتك ما عبدتك لهذا، وعزتك ما أردت هذا،

---

(1) نقلاً عن النور (ص37).

(2) الدانق: بفتح النون وكسرها وهو سدس الدرهم.

(3) جيحون: بالفتح، اسم أعجمي، وقد تعسف بعضهم فقال هو من جاحه إذا استأصله، ومنه الخطوب الجوائح، وأصله بالفارسية هارون، وهو اسم وادي خراسان، وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ. وانظر: معجم البلدان (2/ 196).

ثم رجع ولم يعبر.

- وقصد أبا يزيد رجلٌ، من أصحاب ذي النون المصري -رضي الله عنهما- فقال له: من تطلب؟ قال: أبا يزيد، قال: يا بني أبو يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة، فرجع إلى ذي النون المصري فأخبره فغشي عليه.

- ومن أبو يزيد؟ يا ليتني رأيت أبا يزيد.

-ودخل «مدين»، فهرع إليه جميع أهلها فقال: من هؤلاء؟ قيل قوم رغبوا فيك، فقال: اللهم إني أسألك ألاّ تحجب الخلق بك عنك، فكيف تحجبهم عنك بي؟ ثم صلى بهم الفجر والتفت فقال: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون.. فتركوه وقالوا: مجنون مسكين.

وقال: يا مسكين، الزهد والمعرفة مني اشتقت (انشعبت).

- غيب معروف، وشهود مفقود، وأنا في الغيب محضور، وفي الشهود موجود.

- «إذا وقفت بين يدي الله ﷻ فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنار بين يديه».

- قال: غلطت في ابتداء أمري حسبت أني أذكره، فإذا هو ذكرني قبل ذكري له وحسبت أني أطلبه، فإذا هو طلبني له قبل طلبي له، وحسبت أني أعرفه، فإذا هو عرفني قبل معرفتي له، وحسبت أني أحبه، فإذا هو أحبني قبل محبتي له، وقد جعل خلائق الأرض خدمتي.

- دخل أبو يزيد «مدين» فهرع إليه جميع أهلها، فقال: من هؤلاء؟ قيل قوم رغبوا فيك، فقال: اللهم إني أسألك ألاّ تحجب الخلق بك عنك، فكيف تحجبهم عنك بي؟ ثم صلى بهم الفجر والتفت فقال: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون.. فتركوه وقالوا: مجنون مسكين.

- وجاء رجلٌ بابه فدقَّه، فقال: من تطلب؟ قال: ليس في البيت غير الله.

الفصل الثالث

من غريب كلامه الموهم الاتحاد

قال الشيخ أبو يزيد البسطامي قدس سره:

نظرت إلى ربي بعين اليقين بعد ما صرفني عن غيره، وأضاءني بنوره، فأراني عجائب من سره، وأراني هُويته، فنظرت بهويته إلى أنانيتي، فزال نوري بنوره، وعزي بعزته، وقدرتي

بقدرته، ورأيت أنائيتي بهويته، وإعظامي بعظمته، ورفعتي برفعته، فنظرت إليه بعين الحق، فقلت له: من هذا؟ فقال: هذا لا أنا ولا غيري، لا إله إلا أنا، فغيرني عن أنائيتي إلى هويته، وأزالني عن هُويتي بهويته، وأراني هويته فردًا، فنظرت إليه بهويته، فلما نظرت إلى الحق بالحق رأيت الحق بالحق، فبقيت في الحق زمانًا لا نفس لي ولا لسان ولا أذن لي، ولا علم حتى أن الله انشأ لي علمًا من علمه، ولسانًا من لطفه، وعينًا من نوره، فنظرت إليه بنوره، وعلمت من علمه، وناجيته بلسان لُطفِ، فقلت: ما بالي بك؟ فقال: أنا لك بك، لا إله غيرك.

قلت: لا تغرني بي، أنا لا أرضى بي عنك دونك، فأرضى بك عنك دوني، فمنّ عليّ به دوني، فناجيته به دوني، فقلت: مالي من يدك عنك يا مناي، فقال لي: عليك بأمري ونهيي، فقلت: ومالي من أمرك ونهيك؟ قال: ثنائي عليك في أمري ونهيي، أشكرك على ما أتيتك من أمري، وأحبك على ما انتهيت من نهيي، فقلت: إن شكرت فمن نفسك بشكره، وإن ذممت فلست أنت موضع المذمة يا مناي ويا رجائي من بلائي، ويا شفائي من شقائي.

أنت الآمر، وأنت المأمور، ولا إله غيرك، فسكت عني، فعلمت أن سكوته رضاه.

ثم قال: من علمك؟ قلت: السائل أعلم من المسؤول، أنت المجيب وأنت المجاب، أنت السائل، وأنت المسؤول، لا إله غيرك.

انقطع حجة الله عليّ به فرضيت عنه به، ورضي به عليّ به، إذ أنا به، هو هو، لا إله إلا هو، ثم أنارني بنور الذات، ونظرت إليه بعين الفضل، فقال: سل ما شئت من فضلي أعطيه!

قلت: أنت أفضل من فضلك، وأنت أكرم من كرمك، رضيت منك بك، وانتهيت إليك لا تعرض على غيرك، ولا تردني عنك بشيء دونك، لا تغرني بلطفك ولابكرمك ولا بفضلك، فالفضل منك أبدًا، وإليك يعود، أنت المعيد وأنت المعاد، وأنت المريد وأنت المراد، انقطع المراد عنك، وانقطع السؤال عنك، فلم يجبني زمانًا ثم أجابني وقال: حق ما قلت، وحق ما سمعت، وحق ما رأيت، وحق ما حققت، قلت: بل أنت الحق، وبالحق يرى الحق، أنت الحق، وبالحق يتحقق الحق، وإلى الحق وبالحق يسمع الحق، أنت السامع وأنت المسمع، وأنت الحق وأنت المحق، لا إله غيرك، فقال: ما أنت إلا الحق، بالحق نطقت، فقلت: بل أنت الحق، وكلامك حق، والحق بك حق، أنت أنت لا إله غيرك.

فقال لي: ما أنت؟ قلت له: ما أنت؟ قال: أنا الحق، فقلت: أنا بك، قال: إذا كنت أنت بي، فأنا أنت وأنت أنا، فقلت: لا تغرني بك عنك، بل أنت أنت لا إله غيرك.

فلما أن صرت إلى الحق، وأقمت مع الحق بالحق أنشأ لي جناح العز والكبرياء، فطرت بجناحي، فلم أبلغ منتهى عزه وكبريائه، فدعوته بالاستغاثة به عنه فيما لا طاقة لي به إلا به، فنظر إلي بعين الجود، فقواني بقوته، وزينني وتوجني بتاج كرامته على رأسه، وأفردني بفردانيته، ووحدني بوحدانيته، ووصفني بصفاته التي لا يشاركه فيها أحد، ثم قال لي: توحد بوحدانيتي، وتفرد بفردانيتي، وارفع رأسك بتاج كرامتي، وتعزز بعزتي، وتجبر بجبروتي، واخرج بصفاتي إلى خلقي أر هويتي في هويتك، ومن رآك رآني، ومن قصدك قصدني، يا نوري في أرضي، وزينتي في سمائي، فقلت: أنت عيني في عيني، وعملي في جهلي، كن أنت نورك تريك لا اله إلا أنت.

فأجابني بلسان الرضا وقال: ما أعلمك عبدي، قلت: أنت العالم وأنت المعلوم، وأنت المفرد، وأنت الفرد، تفرد بفردانيتك، وتوحَّد بوحدانيتك، لا تشغلني بك عنك.

انقطع حجة الله علي في فردانيته، وبوحدانيته في وحدانيته، فأقمت معه دون تفردي بفردانيته، فأقمت معه به، فني صفاتي بصفاته، وسقط اسمي باسمه، وسقط عني أولوية بأولويتي، وآخريتي بآخريته، فنظرت إليه بذاته التي لا يراها الواصفون، ولا يبلغها العالمون، ولا يفهمها العاملون، فنظر إلي بعين الذات بعد ما سقط اسمي وصفاتي وأولي وآخري ونعتتي، فدعاني باسمه، وكناني بهويته، ونجاني بأحديته، قال: يا أنا، فقلت: يا أنت فقال لي: يا أنت، فانقطع حجة الله علي به ما سماني باسم من أسمائه إلا سميته به، فبقيت دهرًا بلا روح ولا جسم كالميت، ثم إنه أحياني بحياتي بعد ما أماتني، فقال: لمن الملك اليوم؟ فلما أن أحياني، قلت: لله الواحد القهار، فقال: لمن الاسم؟ قلت لله الواحد القهار، فقال: لمن الحكم اليوم؟ فقلت: لله الواحد القهار، فقال: لمن الاختيار؟ قلت: للرب الجبار، فقال: أحييك بحياتي وملكتك ملكي، وسميتك باسمي، وحكمتك بحكمي، وأفهمتك اختياري، ووافقتك بأسماء الربوبية والصفات الأزلية.

قلت: لا أدري ما تريد! كنت لنفسي فلا ترضى، وكنت لك فلا ترضى، فقال: لا تكن لنفسك ولا لنفسي، إني كنت لك حيث لم تكن، فكن لي حيث لم تكن، وكن لك حيث كنت، فكن لي حيث كنت، فقلت: وأنى لي بذلك إلا بك، فنظر إلي نظرة بعين القدرة، فأعدمني بكونه، وظهر في بذاته، فكنت به، فانقطع المنجاة، فصارت الكلمة واحدة، وصار الكل بالكل واحدًا، فقال لي: يا أنت، فقلت به: يا أنا، فقال لي: أنت الفرد، قلت: أنا الفرد، قال لي:

أنت أنت، قلت: أنا أنا، ولو كنت أنا من حيث أنا لما قلت أنا، فلما أنا لم أكن أنا، فكنت أنت أنت، قال: أنا أنا قولي بأنائيته كقولي بهويته توحيدًا، فصارت صفاتي صفات الربوبية، ولساني لسان التوحيد، وصفاتي أن هو هو لا اله إلا هو، فكان ما كان بكونه مما قد كان، وما يكون بكونه يكون ما يكون، صفاتي صفات الربوبية، وإشاراتي إشارات الأزلية، ولساني لسان التوحيد، انتهى.

◆ ◆ ◆

الفصل الرابع
نفي شبهة الاتحاد والحلول
عن سلطان العارفين وأضرابه

قال الشيخ عمر العطار: مسألة: إذا كان لهذا الوجود الوحدة الذاتية، فما هو في الخارج منه، أو في الذهن من الأفراد، فإنما هو إفراد خصيصة لا حقيقية، كما تقول: إن القيام من حيث هو واحد، فإذا أضيف إلى زيد قيل: قيام زيد، وإذا أضيف إلى بكر قيل: قيام بكر وهكذا، وإذا قطعت النسبة عنهما؛ رجع القيام شيئًا واحدًا.

مسألة: قولنا: «لا بشرط شيء» يُفهم منه: أن جميع ما يعتبر لهذا الوجود من كونه كليًّا، أو جزئيًّا خارجيًّا، أو ذهنيًّا خاصًا أو عامًا أمرًا اعتباريًا، أو حقيقيًا إلى غير ذلك من وجوه الاعتبارات، ليس يُراد به هذا الوجود الحق المذكور؛ لتقيُّد ذلك وإطلاقه.

نعم هذا يكون له باعتبار تنزُّلاته في مراتبه، وظهوراته فيها كالماء، فإنه من حيث ذاته لا لون له، فإذا ظهر بالأواني المتلوِّنة؛ تبعها في اللونية، فقيل فيه: إنه أحمر أصفر، فاكتسب الوصفين من ظهوره في الإناء المتلوِّن، ثم إن هذا الوجود الحق بستره في أول مراتبه عن كل قيد وتعيُّن؛ فانتفى العلم به حينئذ لذلك، وإنما دلَّت رسله تعالى عليه، والحالة هذه، ولولا الرسل؛ لم يعلم بحال في تلك المرتبة التي لها الإطلاق، فلا اسم له هنا، ولا رسم.

وهذا شأن الذات الأحدية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، أشار بضمير الغيبة إلى الغيب المطلق الذي ينفي التعيُّن والعلم، وإنه هو الله الأحد، ثم إن التعيُّن والمعرفة كانا له تعالى باعتبار واحديته، وعند تجلياته بصورها الأسمائية والصفاتية.

فالمرتبة الأولى: هي الكنز المخفي المشار إليه بقوله تعالى في الحديث القدسي: «كنت

كنزًا مخفيًّا»[1].

والمرتبة الثانية: مرتبة المحبة، مرتبة فأحببت أن أعرف، فكان هذا الوجود هو المعلوم المجهول، قال ﷺ: «سبحانك لا أُحصي ثناء عليك»[2] أي: لا أبلغ كل ما فيك.

وقال ﷺ: «ما عرفناك حق معرفتك»[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:91]، والأدلة على هذا المدَّعى مذكورة في كتبهم، ثم إنه لمَّا كان لهذا الوجود الحق الاعتباران السابقان: أي اعتبار من حيث أحديته وعدم العلم به، واعتبار من حيث واحديته والعلم به من حيث تجلِّياته الدالة عليه بأنه لا إله إلا هو؛ توهَّم السعد -رحمه الله- من هذين الاعتبارين: إن الوجود كلي طبيعي عند القوم، لا وجود له إلا بوجود أفراده.

وتوهُّمه مدفوع كما نبَّهنا عليه من أنه له الوجود الخارجي على كلتا الحالتين، إلا أنه في الحالة الأولى لم يعلم أصلاً، وإنما علم بدلالة الرسل عليه، ولا يلزم من عدم العلم بالشيء، عدم ذلك الشيء في الواقع.

وقال الشيخ العطار أيضًا: واعلم أن الحق تعالى عند السادات الصوفية -رضي الله عنهم- هو الوجود المطلق عن كل قيد، حتى عن قيد الإطلاق، وليس هو أمرًا كليًّا كما توهمه بعضهم حتى يُقال: إن الكليَّ لا وجود له في الخارج، بل هو واحدٌ لو أحسَّ لكان مشخصًا.

وبهذا الاعتبار: أي باعتبار إطلاقه وعدم تقيده لا اسم له ولا رسم، ولا يُعلَم من جهةٍ أصلاً إلا من جهة أنه لا يُعلَم، كما أخبر الرسل عن ذلك.

وهذا الإطلاق أُخِذَ الوجود فيه بشرطٍ لا شيء، وتُسمَّى هذه المرتبة مرتبة الأحديَّة، والذات البحت، والعماء، وجمع الجمع، والغيب المطلق، وغيب الهويَّة، ونشاء ذلك للوجود الحق وذاته، مع إطلاقه من الاعتبارات الملحوظة في الرتب التي تحت هذه المرتبة، وإلا فهذه المرتبة من حيث ذاتها لا علم بها، فضلاً عن الاعتبار، وهو تعالى بهذا الاعتبار غنيٌّ عن العالمين؛ حيث إن ذاته الأقدس لا تعلُّق له بشيءٍ أصلاً؛ لإطلاقه وعدم تقيده، فلو كان له تعلُّقٌ بالغير لم يثبت له الغنى الذاتي، فهو أحدٌ من جميع الوجود أحديةً لا يُتصوَّر معها إثنيةٌ.

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 173)، والمناوي في «التعاريف» (1/ 568).

(2) رواه مسلم (1/ 352)، والترمذي (5/ 524) بنحوه.

(3) ذكره المناوي في «فيض القدير» (2/ 410).

كما قال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»: أي وهو الآن على ما عليه كان.

كما قال ذلك بعض العارفين، وهذا هو التوحيد الخالص.

بخلاف ما ذهب إليه الحكماء، وزعموا أنه هو التوحيد، فنفوا صفاته الزائدة على ذاته، وقالوا: إنه تعالى علة العلل وقديمٌ لم يزل، ولم يشعروا أن العلة تقتضي معلولاً، وأنه تعالى يكون محل الصدور، فيثبت الأين معه تعالى.

وقد كان تعالى غنيًّا عمَّن سواه، أحدًا من كل جهةٍ، فبطل ما ذهبوا إليه من دعوى التوحيد الخالص، مع ما لزمهم مما ذكرناه.

وأما ما ذهب إليه السادات من إثبات تلك المرتبة المتقدمة فهو مما لا غبار عليه.

وهو أول المراتب وأعلاها، والمرتبة التي تحتها هي أن يؤخذ الوجود الحق بشرط شيءٍ: أي بشرط جميع الأشياء اللازمة له: كليِّها، وجزئيِّها، المُسماة بالأسماء والصفات، النسب الإلهية التي لا توصف بوجودٍ ولا عدمٍ، وهذه المرتبة تُسمَّى مرتبة الألوهية، ومرتبة الواحدية، ومقام الجمع.

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:163]: أي من ترجع كثرة الأسماء والصفات إليه، وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لصور الأسماء- أعني الأعيان الثابتة والحقائق الكونية- إلى كمالاتها على حسب استعداداتها في الخارج تُسمَّى مرتبة الربوبية: أي مرتبة الأفعال الإلهية، كالإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والخفض والرفع، إلى غير ذلك من الأفعال المُسمَّاة من جهةٍ بالشئون الإلهية.

قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، وقد أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:31] أي: من هذه الشئون، وهي: أي مرتبة الربوبية تقتضي مربوبًا، كما أن الإلهية تتطلب مألوهًا، فهنا لا غنى، فافهم.

قال حضرة الشيخ مُشيرًا إلى هذا:

فالكلُّ مفتقرٌ ما الكلُّ مستغنٍ   هذا هو الحق قد قلناه لا نُكنِّي

فإن القادر يطلب مقدورًا، والعالم يطلب معلومًا وهكذا، وهذا أمرٌ ظاهرٌ، فإذا تأمَّلت ما أشرنا إليه فقد خلصت نفسك من شبهاتٍ لا يمكن ردُّها إلا بما ذكرناه من اعتبار المراتب، والأمر في ذلك سهلٌ، ثم أن البرزخ بين المرتبتين الذي تفرعنا منه، والناظر إليهما هو التعيُّن الأول، وهو العلم الذاتي الذي تعيَّنت به الذات البحت، بواسطة الحب الذاتي، المُشار إليه

بقوله في الحديث القدسي: «كنتُ كنزًا مخفيًا لم أعرف، فأحببتُ أن أعرف، فخلقتُ الخلق، وتعرَّفت إليهم، فعرفوني».

هكذا رواه حضرة الشيخ بالمعنى، وفي رواية أخرى: «فبي عرفوني».

عبَّر في هذا الحديث عن الذات البحت بالكنز بجامع النفاسة والاختفاء، وعن هذا التعيُّن الأول بالعلم الذاتي بقوله: «فبي عرفوني»؛ لأن علمه تعالى عين ذاته، وإنما كان التعين الأول بالعلم الذاتي؛ لأنه أقدم الصفات، مع أن علم الشيء بنفسه من ضرورياته، على أن علمه بذاته تعالى يستلزم العلم بسائر كمالاته فافهم، نعم صفة الحياة مقدمةٌ على العلم تقدُّم الشرط على المشروط؛ إذ من شأن العالِم أن يكون حيًّا، لكن القصد للمشروط، فكان أشرف الكل وأقدمها، لا يُقال علمه بذاته تعالى يقتضي الإحاطة بكمالاته، وكمالاته لا يُحاط بها لعدم تناهيها، فهو تعالى لا يُعلم ذاته؛ لأنا نقول: العلم الذي يقتضي الإحاطة هو الحصولي لا الحضوري، على أن علمه بذاته عين ذاته، فلا إيراد، وصورة هذا التعيُّن الأول هو التجلِّي الذاتي الأول أي: التجلي بصورة هذا التعين الذاتي، فتجلَّى تعالى لذاته بذاته في ذاته، فحصل علمٌ وعالِمٌ ومعلومٌ، ووجد الذات نفسه من غير توهُّمِ سبق خفاءً واستارًا، بل ذلك مجرد اعتبارٍ لا حقيقة؛ فإن الأمر كائنٌ لا محالة، وهذه الثلاثة الحاصلة من هذا التجلي: أعني العلم والعالِم والمعلوم.

وإن شئت قلت: المتجلي والمتجلى فيه والمتجلي له هو شيءٌ واحدٌ ذاتًا مختلفٌ اعتبارًا.

قال حضرة شيخي: يعني ترجع هذه الثلاثة إلى شيءٍ واحدٍ، وهو الذات البحت، قبل اعتبار هذا التعين والتجلي الذاتيين، فإن مرتبة الأحدية المنطوية على كل شيءٍ تنفي التعدد والتغير لذاتها، وقد بقي مرتبةٌ واعتبارٌ ثالثٌ للوجود، وهو ألا يأخذ بشرط شيءٍ، ولا بشرط لا شيء، ويُسمَّى الذات بهذا الاعتبار بالهوية السارية في جميع الموجودات، وبقي اعتباراتٌ متداخلةٌ فيما ذكرناه من المراتب، وسيأتي التعرض لها إن شاء الله تعالى.

وقد جعل العارف الفرغاني في مقدمته على شرحه لتائية سيدي عمر بن الفارض أول تعيُّنٍ تعيَّن به الحق تعالى هو الوحدة الذاتية أي: غير الزائدة على الذات الأقدس، بمعنى أن ما يُنسب إلى ذاته تعالى يُنسب إلى هذه الوحدة، ولها اعتباران أصليان:

أحدهما: سقوط الاعتبارات عنها بالكلية، وتُسمَّى الذات بهذا الاعتبار بالاسم الأحد، ومتعلقة بطون الذات وإطلاقها وأزليتها.

والاعتبار الثاني: ثبوت الاعتبارات الغير المتناهية لها: أي لتلك الوحدة الذاتية، مع اندراجها فيها اندراجًا جُمَليًا في أول رتب الذات، وتُسمّى الذات بهذا الاعتبار بالاسم الواحد، ومتعلقه ظهور الذات ووجودها وأبديتها، فكانت الوحدة المذكورة برزخًا بين هذين الاسمين ومنشأ لهما، وهما متفرعان منها.

وهذه الاعتبارات الثابتة للواحد في أول رتب الذات لا مغايرة بينها ولا تميُّز ولا تفصُّل، بل لا مغايرة بينها وبين الذات في هذه المرتبة، بل هي عين الذات، بمعنى أن كل ما يُضاف إلى الذات يُضاف إليها: من الجمعية والاشتمال على الكل، حتى أنه لا مغايرة في هذه المرتبة بين هذين الاعتبارين المذكورين؛ لأن هذه المرتبة لذاتها تنفي التعدد والغيرة، فإذن كلٌّ من الاعتبارات عين الآخر بل عين الذات؛ لما أسلفناه وقدّمناه.

قال العارف الفرغانيُّ: ولا يعرف ارتفاع المغايرة بين الاعتبارات في أول رتب الذات، إلا من ارتفع حالاً ومقامًا عن التقيد بالمراتب المقيّدة بأحكام الكثرة.

ولارتفاع حكم هذه المغايرة في هذه المرتبة حكم بعض أكابر المحققين من أهل الله بأن (الواحد الأحد) اسمٌ واحدٌ مركبٌ كـ(بعلبك)، وعني بهذا البعض حضرة سيدنا الشيخ قدّس الله سرّه.

ويُسمِي بعضهم هذه الاعتبارات المندرجة في الوحدة في أول رتب الذات بالشئون الذاتية، وهي مسمّى الأسماء الذاتية والنسب الإلهية المنفصلة تفصيلاً لا حدَّ له ولا عد، في ثاني رتب الذات الأقدس مرتبة الأسماء والصفات، ويدل عليها باطن اسم الله، وباطن اسم الرحمن، والاسم الأحد، والواحد، ومفهوم جميع أسماء الضمائر ومفاتيح الغيب، فالذي يعيّن هذه الشئون والاعتبارات ما في المرتبة الثانية، كباقي المراتب من الصور والآثار، بغيبها وأزلية أزليتها.

ولهذا الغيب الذي يعين ما فيه ما ذكرنا، وقعت الخشية والرهبة لسيدنا محمد ﷺ المشار إليها بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ [الأحقاف: 9]؛ لأنه ربما يكون في هذا الغيب والرتبة الأولى ما لم يتعيَّن بالمرتبة الثانية بعد.

فالاطّلاع على ما في علمه تعالى لا يُوجِد الاطّلاع على سائر هذه الاعتبارات الغيبيّة والشئون الذاتية.

يشهد لذلك قوله ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك»: أي لا أبلغ كل ما فيك. انظر: كشف

الأسرار شرح صلاة الشيخ الأكبر (ص80) بتحقيقنا.

مسألة: قولهم: «إن الوجود من حيث هو هو؛ هو الحق تعالى» أي: يعبِّرون عنه تعالى بهذا الوجود، حيث لم يكن شيء ترجع إليه كل الأشياء في جميع مراتبهم إلا هذا الوجود المطلق عن كل قيد المتقيِّد بكل قيد، انتهى.

ثُمَّ ليعلم أن إدراك علم التصوُّف يكون بأحد طريقين:

الطريق الأعلى: هو الذوق، والحصول بالنفث في الروح.

والثاني: يكون بالأخذ من الكتب المدوَّنة للقوم ﷺ، لكن بشرط شيخ عالم به أو ذائق، وهذا الوجه يُعدُّ من الكشف كما ذكره سيدنا العارف ﷺ في «الفتوحات»، ولا خفاء فيه؛ لأنه علم، والعلم صفة انكشاف.

والطريق الأول عليه المعوّل، فإن الطريق الثاني لا يخلو عن خبط وحيرة، فإن أهل الذوق والشهود إذا رأوا الحال على ما هو عليه في الأمر الإلهي، عبَّروا عنها بألفاظ كيفما اتفق، ولا يتحاشون في ذلك عمَّا يرد على ظواهرها، كقوله: «إن الحق تعالى هو الوجود من حيث هو هو»، فإنهم بالمشاهدة والعيان رأوا أن الحق تعالى الواجب الوجود هو الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما، وهو قيُّوم كل شيء، فلم يروا شيئًا يعم هذا الأمر ويناسبه، إلا الوجود المنزَّه عن كل قيد، فعبَّروا عنه تعالى بذلك اللفظ.

وكقولهم عندما رأوا أنه تعالى لا يخلو شيء عنه: إن العارف لا يكون عارفًا حتى يرى هَوية الحق سارية بكل شيء، وهذا بظاهره حلول، كما إن الأول بظاهره صفة وأمر اعتباري، وكقول سيدنا العارف عندما رأى أن كل شيء لا بدّ وأن يرجع بباطنه إلى الحق شعرًا:

الـــرَّب حـــقٌ والعَـــبد حـــقٌ ... يَـا لَـيْـتَ شِـعري مِـن المكلــف

إنْ قُلـــت عَـــبد فَـــذاك مــيِّت ... أو قُلـــت رب أنَّى يكلَّـــف

وهذا بظاهره اتحاد وشرك، فبهذا المذكور غلط من غلط، وهم قسمان:

قسم: متصوِّفة، يعني: إنهم مشغوفون بمطالعة كتب القوم، ويتكلَّمون بها تكلَّم القوم به، وهم جهلة لا يدرون مبادئ العلم فضلاً عن مقاصده، ويزعمون أنهم على الحاصل، وهم على الفائت، وهؤلاء هم الجهلة المارقون من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:179].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:33]، فجهلهم في هذا جهل

مركب، وحار القوم أحسن وأهدى منهم، ومثل هؤلاء يكونون علة غالبة للتكلُّم على القوم، وإلا اعترض عليهم.

والقسم الثاني: من هو من أهل العلم، إلا أنه ليس لهم هذا المشرب العذب، فيسمع كلامًا ظاهره الحلول أو الاتحاد، أو أنه مخالف لظاهر الشريعة في الجملة، فيقول على القوم ﷺ بحسب ما ظهر له من حال كلامهم من أنهم حُلولية، أو اتحادية، أو وجودية، أو إباحية، أو زنادقة، كمن عبّروا في كتبهم عن القوم عمومًا، وعن الشيخ أبي يزيد والشيخ الأكبر خصوصًا بهذه التعابير الشنيعة.

ومن علماء الظاهر مَن لزم الأدب وسكت، ووكَّل العلم في شأن كلامهم إليه تعالى، وأحبَّهم وسلَّم لهم، وهذا هو المنهج الأسلم، وعلى كل حال فشأن كلامهم، الإشارة لا صريح العبارة، بل لهم رموزات خفيَّات لا تُدرك إلا من طريق الكشف، والذوق الصحيح، إلا أنه قد اشتهر فيما بين العلماء بأحوال كلام هذا لعارف الهُمام من أن الممارسة على مطالعة كتبهم لمن له الأهلية في الجملة، تُورِّث الفتح الإلهي فيها.

فإن كلماتهم حِكم مرجعها إلى العلم اللدني، تظهر لمن فتح الله عين بصيرته، وإذا حُجبت فإنما تُحجب عن ذي الفهم السقيم، أو عن منكر أساء الظن بهم، فصاحب العقل والعين، أو صاحب أحدهما؛ هو الذي يُسقى من رحيق كلامه المختوم، ويتنافس في دُرر مبانيه، وجواهر معانيه، وهذا هو الفضل العظيم، والخير الكثير، والرزق المقسوم، نحن قسمنا قدرنا، ولله در القائل:

أمَولاي مُحيي الدين أنت الذي بَدت عُلومَك في الآفَاق كَالغيث إذا همَا
فكَشفت مَعنى كُل عِلمٍ مُكتمٍ وأوْضحتَ بِالتحقيق مَا كَان مُبهمًا

وأنت إذا تأمّلت ما نذكره ومن كلام هذا الإمام، الوارث، وجدت البَوْن بين الكلامين.

فأريها السُّهى وتريني من وجهها القمر، فسارت مشرقة وسرت مغربًا، وأين الثُّريَّا من يد المتناول؟

◆ ◆ ◆

وصل

يقول الشيخ المشهور بشاه يوسف القادري النقشبندي الپلوري ابن شاه محمد عبد الله

القادري: هذه رسالة مختصرة جامعة لأصول مسائل الصوفية، وطريق خفي، وفارقة بين مذهب الملحدين، والمحققين بوجه وفي، وسميتها: «فيض الحق الودود ببيان عقائد الخلق في وحدة الوجود» .

اعلم أن روح الإنسان جامع لكل روح، وقلبه جامع لكل قلب، ونفسه جامعة لكل نفس، وجسمه جامع لكل جسم، بل مندرج في كل جزء من أجزاءه النورانية، والنارية والمائية والترابية وغيرها، سائر العالم كذا ومتعلق به ذات الله تعالى من جميع صفاته وأفعاله. ومع هذا فلا يصدق أن يقال أن الواجب تعالى داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به، أو منفصل عنه فافهم يا أخي إن وقع في قلبك قطرة من بحر علمه أي: العلم الإجمالي المعبر به عن الواحدة إذ في هذا الكلام من إشارات دقيقة لا يفهمها إلا أهلها لأنه يشير إلى مسألة وحدة الوجود، والاندراج، وتجدد الامثال والمعية، وهذه المسائل المشار إليها بمنزلة الكليات يتناول كل واحد منها ما لا يتناهى من الجزئيات.

وظنَّ كثير أهل عصرنا أنهم حصَّلوا هذا العلم حتى توهم بعضهم أن ليس مثله محققًا كاملاً فيه، فأعرضوا عن السؤال عنه جملة مكتفين بما يلقيه النفس والشيطان إليهم زائغين .

قال الشيخ محيي الدين ابن العربي: من هنا أيضًا زلَّت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق، فقالوا: ما ثمَّ إلا ما ترى، فجعلت العالم هو الله، والله نفس العالم ليس أمر آخر، وسبب هذا المشهد؛ كونهم ما تحقَّقوا به تحقُّق أهله، فلو تحققوا به ما قالوا بذلك انتهى.

حصَّلوا هذا العلم حتى توهَّم بعضهم أن ليس مثله محققًا كاملاً فيه، فأعرضوا عن السؤال عنه جملة مُكتفين بما يلقيه النفس والشيطان إليهم زائغين عن امثال قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]، وغلطوا في هذا العلم غلطًا مديدًا، وضلُّوا ضلالاً بعيدًا، أعاذنا الله تعالى من ذلك، وقد شنَّع العلماء عليهم تشنيعًا بليغًا.

وقالوا: إن البحث مكابرة؛ لأن صاحب الكشف قادر على البيان، وليس مراد العلماء رحمهم الله تعالى الردُّ على مطلق أهل الكشف؛ بل على الفرقة الكاذبة الذين تسمُّوا باسم الصوفية، ومرادهم من البحث معهم، تفهَّم مطلبهم هل هم من أهله؟ فلو تحقَّقوا به؛ ما قالوا بذلك.

ومنهم: مَن يكتفي بمجرَّد مُطالعة كتب هذه الطائفة، وفهم ظواهر عباراتها زاعمًا إن هذا مرادهم، والحال إن عباراتهم وعبارات الملحدين متماثلة، فيفهم منها مذهبهم، فيعتقد

اعتقادهم، ويلزم من اعتقاداتهم أهل الكشف الصحيح، أو من الفرق الزائغة عن الحق الصريح لا كما يزعمه بعض أهل العصر من أن الكشوفات باطلة، وجيِّد علومها عاطلة بمجرَّد السماع من رِعاع الطلبة، وجامد العلماء الغير مميِّزين بين الحق والباطل، والعامل والعاطل.

المتكلِّمون فرقتان:

الزائغة: نفي الألوهية والرسالة والأحكام الشرعية، وهذه الاعتقادات تُفهم من كلام بعضهم صراحة، ومن كلام بعضهم كناية بعض أخر مآلاً.

ومنهم: مَن إذا سُئل عن حقيقة الحال؛ قال: هذه المسألة الغالية لا تحصل إلا بطريق الكشف، وهم أهل سنته؛ الأشعرية والماتريدية، وأهل بدعة كالمعتزلة والقدرية والوجودية أيضًا طائفتان؛ محقِّقون ومُلحدون، وقد أشرنا إلى مُعتقدهم في الفصل السابق، وفي الحكماء وأيضًا فرقتان مشهورتان؛ الإشراقيون، والمشاءون، وسنبيِّن نُبذًا من الموافقة كثيرة.

منها: إنه ليس علَّة ولا معلولاً، والعلَّة المنفية في كلامه، هي المصطلح عليها عند الحكماء لا مطلق النفي، والحاذق تكفيه الإشارة، ومَن أراد زيادة البيان؛ فعليه بالكتب الكلامية والحكمائية.

وأمَّا عند الحكماء فهو: عبارة عن المعقولات الثانية والأمور، والمخالفة بين هذه الفرق وبين الصوفية رحمهم الله تعالى.

في معنى الوجود المطلق عند الحكماء والملحدين وعند الشيخ الأكبر، وسائر الصوفية المحقِّقين:

أمَّا عند الصوفية: فهو الذي ليس له قيد عام ولا خاص، ولا إطلاق ولا تقييد.

وأمَّا عند الشيخ الأكبر: فله معاني الاعتبارية، وليس بأمر متحقِّق في الخارج.

وأمَّا الملاحدة: فما عملوا مورد الحكماء؛ فهو اصطلاح الصوفية العلماء غير إنهم وجدوا هذا اللفظ في كتبهم فزعموا بفهمهم القاصر بعد ارتكاب التكلُّفات إن النسبة في الواجب والممكن؛ نسبة الكلِّي الطبيعي، فجرهم ذلك إلى الكفر والإلحاد، وأودُّ فهم في الطرد والإبعاد.

وجود الواجب تعالى عين ذاته: وإلا لزم أن يكون صفة خارجية عارضة له ممكِّنة بالذات؛ إذ تبدُّد الواجب بالذات محال عليه، فلا بد من اتِّصافه بتلك الصفة الواجب الوجود

بالذات ولا يجوز أن يكون له علّة غير ذاته؛ وإلا لزم احتياجه فيه للغير الممكّن بالذات، والواجب بالغير؛ وهو محال، ولا يصحُّ أن تكون الذات علّة الوجود؛ للحكم ببداهة العقل إن الإيجاد فرع الوجود، وتقدُّم العلّة ذاتي، فإذا كانت غير موجودة في نفسها لا يصحُّ أن تكون علّة الموجود.

فإن ادّعى الوجود السابق عين الوجود الأحق؛ لزم تقدُّم الشيء على نفسه، وإلا يلزم التسلسل حتى ينتهي إلى الوجود الذي هو عين الذات، وهو المطلوب في هذا الكلام أبحاث عديدة يكفي الطالب منها هذا المقدار.

فإن قلت: فهم من تعدُّد الأبحاث: إن علم التصوُّف مبني على دلائل عقلية؛ وهو شعارات أرباب العقول، وخلاف قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:59].

قلت: إنما دعت الحاجة لذكر الدلائل العقلية، لدفع المعترض عليهم بدون فهم مطالبهم العليّة، وإلا فالصوفية -رحمهم الله تعالى- غير محتاجين إليها في إثبات مقدماتهم الفعلية، وقضاياهم الروحية والسرِّيَّة، إذ علمهم نورٌ يرد على قلوبهم من الفيض الخاص الإلهي غير مكتسب من النظر في الأسفار، وليس بمتلقف من قوى الأفكار.

نعم! ستوضح لك إن شاء الله تعالى حُجة المقدمة المذكورة، وإن لم تجدها في كلام مَن قبلنا مسطورة؛ وهي أن قوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام : 103] يدلُّ على أن وجوده تعالى عين ذاته؛ لأنه أورد الضمير مفرد، أو الدليل على كون مرجع الضمير على الذات قوله ﷺ: «تفكَّروا في آلاء الله، ولا تُفكِّروا في ذاته»[1] أخرجه الطبراني، كما في تسديد القوس مختصر مسند الفردوس للحافظ العسقلاني؛ إذ دلَّ أن ليس بين الآلاء والذات شيء آخر يُقال له: الوجود، وأنه زائد على الذات.

وأدلُّ منه قوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره»[2].

فإن قلت: مفهوم الاتحاد يدلُّ على التغاير؛ لاستلزامه التعدُّد والغيرية.

قلت: لا يلزم من ثبوت المغايرة في المفهوم ثبوتها في الخارج، كما أنه لا يُخفى على مَن له أدنى بصيرة.

وإذا ثبت أن ذاته عين وجوده؛ ثبت إنه وجود موجود أي: غير عارض للماهية، ونسبة

---

(1) رواه أبو الشيخ في العظمة (1/ 210)، وذكره الهيثمي في الزوائد (1/ 81).

(2) رواه البيهقي في الاعتقاد (1/ 92)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (6/ 289).

وجود العالم إليه نسبة العرض العام، وليس في الخارج وجودٌ سواه خلافًا للمشائين حيث قالوا: وجود الممكنات موجود في الخارج، وقالوا: وجود الوجود؛ عين الوجود كي لا يلزم التسلسل.

فإن قيل: إذا قلتم: إن وجود الواجب عين ذاته لم يصحّ إطلاق الموجود عليه؛ لأن معناه ذو الوجود.

قلنا: بل معناه يُقام به الوجود، وهو أعم من أن يكون قيام الشيء بنفسه، أو قيام الصفة بالموصوف، فالأول، كقيام وجود الواجب تعالى بنفسه، والثاني كقيام وجود الممكنات بما هياتها.

ومع هذا فالمحمول في قولنا: الواجب موجود ليس الوجود الخاص؛ لأنه عين الواجب في الخارج والذهن جميعًا حتى يلزم الاعتراض؛ بل المراد به الوجود العام الذي هو عين الواجب في الخارج وغيره في الذهن.

والحاصل: إن حمل الوجود الخاص على الواجب حمل المواطأة، وحمل الوجود العام عليه حمل الاشتقاق.

فإن قلت: يُفهم من هذا البيان إن قيام الوجود مجازي، وعليه فكونه موجودًا أيضًا مجازي.

قلت: كما قاله بعض المحقّقين لا يلزم من إطلاق القيام عليه مجازًا إطلاقه على الموجود، كذلك كما لا يُخفى على ذي بصيرة.

وحقيقة النار مثلاً إذا لم توجد خارجًا؛ لا توجد أحكامها وآثارها أعني: الإشراق والإحراق، كما هو مشاهدًا فعُلم بذلك: أن الوجود الخارجي مبدأ الآثار وأحكامها.

والمشاءون ذهبوا إلى أن: مبدأ الآثار والأحكام وجود آخر عارض للماهية، ويلزم منه أن النار موجودة بوجود زائد عليها.

وذهب الإشراقيون إلى أن: الفاعل أوجد نفس الماهية في الخارج بدون عروض لوجود لها: أي إن الماهية بذاتها أثر الفاعل في الخارج، وبعد وجودها خارجًا يلاحظها العقل، وينتزع منها معنى الوجود والتحقيق والكون والحصول، ويحمله عليها.

فيقال: إنها موجودة، والحال ليس في الخارج إلا الماهية، والوجود من اعتباري من المعقولات الثانية، وبيانها على ما أرادوه: إنّا إذا تعقّلنا ماهية الإنسان مثلاً؛ حصل صورته في

الذهن؛ وهي معقول أول، وفي الخارج موجود مجازة؛ وهو الإنسان، فإذا تصوَّرت صورتها الخارجية في الذهن، وإن لها صفات متعدِّدة ليس لها فشل في الخارج.

ومن جملتها: إنها في الذهن كلِّي، وفي الخارج جزئي مانع من الشركة، فالكلِّي يُسمَّى معقولاً ثانيًا، والوجود المحمول على الماهية من هذا القبيل لأن الماهية أولاً أثر الفاعل، وبعده تحصيل صورته في العقل؛ فينتزع منه معنى الحصول والوجود، فيحمل عليها.

وهذا المذهب مختار المحقِّقين من المتكاملين والحكماء، وعليه أكثر المتأخِّرين؛ لكنهم ما عرفوا كنهه، ولا أدركوا لُبَّهُ هذا، وإذا أعطى التأمُّل حقَّه في هذا المذهب؛ يُعلم أنه نفس قول الأشعري: إن وجود كل شيء عليه، وعين قول الشيخ محيي الدين ابن العربي: وجود الأشياء ذات الله تعالى، وسنوضحه إن شاء الله تعالى في فصلين:

الفصل الأول: في قول الأشعري: إن وجود كل شيء عينه، وهذا القول ظاهرة البُطلان ببداهة النظر؛ لأنه يفهم أن اشتراك الوجود بين الجوهر والعرض لفظي لا معنوي؛ وهو باطل؛ لأنه لِمَا اعتقدنا أنه صانع العالم؛ سبحانه موجود بدون العلم بحقيقة أي: إنه واجب أو ممكن أو جوهر أو عرض، فلو اعتقدناه جوهر مثلاً، وجاءت شبهة دفعت هذا الاعتقاد، ثم اعتقدناه عرضًا، فجاءت شبهة كذلك فاعتقدناه واجبًا.

وظاهره أن اعتقاد الواجب موجود لا يزول بزوال اعتقاد العرضية بالجوهرية بالواجبية. فلو كان الوجود عين الجوهر والعرض؛ لزال اعتقاد الموجودية بزوال اعتقاد الجوهرية العرضية، فثبت أن الوجود مشترك بينهما اشتراكًا معنويًا.

ولَمَّا كانت رتبة الشيخ أبي الحسن الأشعري -رحمه الله تعالى- أعلى من أن يكون كلامه باطلاً حمله المحقِّقون على هذه المعنى، وقالوا مراده بالعينية: إن الوجود الخارجي ليس في الخارج شيء من الماهية حتى يُقال له: الوجود، إذا تحقَّق هذا؛ فلا يصحُّ أن يُقال: إن الوجود الخارجي عارض للماهية الموجودة خارجًا، كعروض العروض للجسم في الخارج؛ لأن كلاً منهما موجود خارجًا وممتاز عن الماهية في الآخر ليس إلا نفس الحصول والتحقيق؛ وهو عين قول الإشراقيين؛ إذ ذهبوا إلى أن الماهية بذاتها أثر الفاعل أعني: أن ذات الفاعل مستبعة لذات المعلوم، وحين وجود ذات المعلول خارجًا؛ ينتزع العقل منه معنى الكون والحصول، ويحمله عليه، فلا فرق بين الكلامين سوى أن الإشراقيين قائلون بالوجود الذهني، فيقولون الوجود عين الماهية في الخارج، وغيرها في الذهن؛ لأنه محمول عليها، والمحمول متحد

بموضوعة خارجًا مغاثر له ذهنًا، ولَّما كان الشيخ الأشعري غير قائل بالوجود الذهني؛ ذهب إلى أن الوجود عين الماهية ليس إلا.

الفصل الثاني في أن هذا القول عين قول الشيخ محيي الدين قُدِّس سِرُّه: لا شك أن الوجود بالمعنى المصدري الذي هو عبارة عن الكون والحصول والتحقيق والثبوت غير موجود خارجًا، فلا يصحُّ كونه مبدأ الآثار.

النار وأحكامها في الخارج وذلك عن ثلاثة أوجه:

الأول: ما ذُكر من أن الوجود بالمعنى المصدري معدوم في الخارج، والمعدوم لا يكون مبدأ الآثار والأحكام؛ لأنه غير متحقِّق في حد ذاته، فكيف يكون محقِّقًا لغيره، والنزاع فيه مكابرة.

الثاني: قد تقرَّر أن ماهية الإنسان مثلاً حيث لا يكون الوجود منضمًا إليها في نفس الأمر بوجه من الوجوه غير موجود انضمامه إليها، لا يحكم بأنها موجودة أصلاً.

ولَّما كان الوجود من المعقولات الثانية التي ليس لها وجود في الخارج والماهية كذلك أي: ليست موجودة خارجًا استحال الانضمام بينهما؛ إذ هو وإن أمكن ذهنًا محال خارجًا، كما لا يُخفى على مَن له أدنى تأمُّل، والانضمام الذهني بين المعدومين الخارجين ليس مفيد الوجود.

الأمر الخارجي بداهة، نعم الأمران الاعتباريان المعدومان خارجًان القائمان بموجود في الخارج، يمكن ملاحظة انضمامهما باعتبار اجتماعهما فيه، وكذا إن كان الأمر الاعتباري قائمًا به، وعارضًا لرأي يمكن ملاحظة الانضمام بينهما، وإلا فغير ممكن بدون هذا الطريق؛ بل القول بانضمام المعدومين حالة القيام بالموجود الخارجي لا يخلو عن البعد، وما دام الوجود الخارجي غير منظَّم الماهية في الخارج؛ فهي باقية على عدمها.

ولهذا قال المشاءون: الموجود موجود في الخارج، وعارض للماهية فيه؛ كي يتصوَّر الانضمام.

الثالث وجود النار مثلاً بالمعنى المصدري من جملة آثارها وأحكامها الخارجية؛ إذ الماهية تتحقَّق خارجًا، ثم العقل يأخذ منها معنى الوجود، ونحمله عليها.

فهو بهذا المعنى متأخر عن حصول الماهية في الخارج، فلا يصحُّ أن يكون مبدأ لآثارها وأحكامها.

فصل في خلاصة المذاهب المذكورة:

وهو المقصود بالذات، قد عُلم مما تحرَّر إن الوجود بالمعنى المصدري ليس موجودًا خارجيًا، فلا يكون مبدأ للآثار والأحكام؛ بل مبدؤها الوجود لا وجود في الخارج إلا واحد، وهو ذات الواجب تعالى فهو المبدأ الآثار الماهية وأحكامها يعني: إنه جلَّ وعلا أوحد نفس الماهية في الخارج لجميع لوازمها وعوارضها، وبعده يأخذ العقل منها معنى الكون والوجود والتحقيق والحصول، ويحكم بأنها موجودة، وهذا الكلام بعينه قول الأشعري، والحكماء والإشراقيين؛ لكن الأسلوب مختلف، فالنـزاع إذًا لفظي لا غير، وسيتضح لك إن شاء الله تعالى في الفصلين الاثنين.

الفصل الأول: في أن جميع الحكماء وأكثر المتكلِّمين قائلون بالوجود الذهني وأهل السنة، وإن لم يقولون؛ لكنه لازم قولهم: إن الأشياء موجودة في علم الله تعالى إذ صرَّحوا في أصول الفقه بأن المعدوم مكلَّف بالأحكام.

قال ابن الحاجب والقاضي عضد الدين: هذا قول أهل السُنة، وأنكره عليهم سائر الطوائف إنكارًا عظيمًا، وقالوا: إذا قلتم بامتناع تكليف الغافل والنائم والمغشي عليه والمجنون؛ فامتناع تكليف المعدوم من باب أولى.

وأجاب أهلُ السُنة: فإنه ليس المراد إن المعدوم مكلَّف حال عدمه بالفعل؛ بل المراد تعلق الفعل: أي أنه تعالى بعلم المعلوم أزلاً المعدوم خارجًا أنه سيصير موجودًا، وتتوجَّه عليه شرائط التكليف، ويلزم عليه الحكم بأنه يفعل كذا.

وهذا تصريح منهم بالوجود العلمي؛ لأن الأشياء إذا لم تكن موجودة في علمه تعالى؛ لا يكون المتعلِّق العقلي، والتوجُّه الأزلي معنى.

وبالجملة فمعلوماته تعالى ليست معدومًا مطلقًا؛ لتميزها عنده، وكل متميز عند العالم لا بد له من الوجود ولو بوجه بيِّنًا عل قول أهل السُنة بأن الله عالم بالجزئيات عل الوجه الجزائي، وعليه فالأشياء حاضرة العلم القديم بماهياتها، وأشخاصها الجزئية، وهذا المبحث طويل الذيل لا يحتمل الموضع بسطه.

وحاصله: أن الأشياء موجودة في علمه تعالى وجودًا علميًا كليًا كان أو جزئيًا، والموجودات العلمية؛ هي المسمَّاة بالأعيان الثابتة في مصطلح الشيخ الأكبر، وأتباعه.

الفصل الثاني: في كونه تعالى إذا أراد أن يجعل ماهية من الماهيات الجزئية المرتسمة

والحاضرة في علمه موجودًا خارجيًا، جعل لها من ذاته تعالى نسبة خاصة بواسطتها تظهر الماهية وأحكامها الخارجية، والوجود المحض الذي هو ذاته تعالى مبدأ؛ لتحقُّقها خارجًا، وتحقُّق آثارها وأحكامها، وعلى هذا فهو غير عارض لها، وقد عُلم سابقًا أن الوجود بالمعنى المصدري أمرًا اعتباريًا ينتزِّعه العقل بعد وجود الماهية الخارجية، ويحمله عليها وإن كان غير ممكن.

يُقال: أكثر من أن الماهية بعد وجودها خارجًا ينتزِع العقل منها معنى الكون، والتحقيق نصيف العبارة، فلا اعتراض بأن الموجودية والظهور؛ هما نفس الكون والتحقيق؛ لأن الفهم ألطف من أن يكون مقيّدًا في تلقف المعاني بظواهر المدلولات؛ بل مقتضاه تلقُّفها قبل تمام التعبير باللفظ هذا، وذهب جمعٌ من العلماء إلى أن الوجود حقيقته تعالى، ووجود الممكنات عبارة عن انتسابهم لذلك الوجود.

فقولنا: زيد موجود بمنزلة قولنا: مــاء مُشمِس كما حقَّقه العلاَّمة الدواني في حاشيته «ذوق المتأهلين».

وحاصل القول: الحكم بوحدة الوجود لا بوحدة الموجود.

فعُلم منه: إن الحكم بأن وجود الخالق نفس وجود المخلوق؛ لا يلزم اتحادهما حتى يلزم عليه الكفر والإلحاد، وقد صرَّح السيد الشريف في «حاشية التجريد» بهذا المعنى حيث قال: إن الوجود ليس حقيقة مشخَّصة في حد ذاته، ولا متعدِّد الوجه من الوجوه؛ بل قائم بذاته، ولا سبيل الإمكان عليه قطعًا؛ وهو حقيقة الواجب تعالى.

ومعنى كون غيره موجود: إن حقيقته الممتنعة القيام في حد ذاتها لها نسبة خاصة إليه، وإن كانت تلك النسبة مجهولة الكيف.

وقال غيره: إنها معلومة وهي المبدئية قول مراد السيد من مجهول الكيف عدم الانكشاف أي: عدم المشاهدة القلبية؛ وذلك لكونه ألفَ «حاشية التجريد» قبل صُحبة الشيخ في الطريق الموصِّل إليه تعالى.

ومن المعلوم عند أهل الكشف والشهوات مطالعة الكتُب ونحوها مانعة من طي الحجب للمبتدئين، وليس مراد السيد قُدِّس سرُّه من مجهول الكيف؛ العجز عن تسميته نسبة المدنية، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:4].

وقال في موضع آخر منها: إن الواجب وجود مطلق؛ يعني: معراض التقيُّد بالغير

والانضمام به، وعليه فلا يتصوَّر عروض الوجود للماهيات الممكنة.

فحينئذٍ لا معنى لوجودها إلا أن لها نسبة مختلفة الوجوه، والاطِّلاع على الماهية بتلك النسبة مُتعذِّر، والموجود كلّي، وإن كان الوجود جزئيًا حقيقيًا.

ثم قال قُدِّس سرُّه: هذا ملخص ما ذكره بعض المحقِّقين من شيوخنا قال: ولا يعلمه إلا الراسخون، وإذا قَبِل السيد الشريف قُدِّس سرُّه هذا المعنى، وقرَّره؛ وهو إمام المتأخِّرين كيف يسوغ لغيره أن يطلق لسانه باعتراضات كاسدة، وشبه فاسدة؟ هذا ومحصِّل ما ذكرناه أن الوجود الخارجي عبارة عن شيئين الماهية الممكنة والمبدأ؛ وهو من حيث إنه مبدأ غير مفارق للماهيات؛ بل مقارنها؛ لكن لا لمقارنة الجوهر بالجوهر، ولا العرض بمثله، ولا هو بالجوهر؛ بل لمقارنة المبدأ بذي المبدأ؛ وهي المقارنة التي لا مدخل فيها للتحيّز والمكان؛ بل مجرَّد التأثير والتأثُّر والفعل والانفعال، ومقولة: الفعل والانفعال؛ إنما تُطلق على معنى بالعقل لا بالقوة، فالفاعل هو الفاعل بالفعل، والمنفعل بالفعل، وعلى هذا فالفاعل في حالة الفعل مُلازم منفعِّل بالفعل لا بالقوة.

فثبت بذلك أن ذات الوجود مُقارن للماهية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾ [النساء:126]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:115]، وهذا البحث خفي جداً فيه أسرار عديدة رخصة في بثّها.

اعلم أن سلوك طريق الحق جلّ وعلا لا يتم إلا بعد معرفة مراتبها، وأصولها ستة، وفروعها غير متناهية.

وأول الأصول: مراتبه أو أدنى.

وثانيها: الوحدة.

وثالثها: الواحدية.

ورابعها: ظاهر الوجود.

وخامسها: الحقيقة.

وسادسها: ظاهر العلم.

وأمّا مرتبة الأحدية: فهي أصل الأصول، فلا يتعلّق بها السلوك؛ إذ الوصول إليها محال.

وهذه المراتب نسبية أي: إن السالك يدركها مُرتَّبة كما ذُكر، وهذه الأصول الستة

مراتب العروج، وأمّا أصول مراتب النـزول: فهي الخمسة الخيِّرة.

إذًا المرتبة الأولى متنـزِّل منها، فلا تُوصف بالنـزول، وأمّا إدراك تجليّات الآفاق والأنفس من العقول، والنفوس إلى الإنسان؛ فيكون في مراتب النـزول في تصوُّر الشيخ، فيتصور المريد إن ظاهرة ظاهر المصطفى الذي هو الحقيقة الإنسانية؛ التي هي برزخ بين الوجوب والإمكان، وباطنه باطنه ﷺ الذي هو الواحدة التي هي برزخ بين الأحدية والواحدية، وهذا التصوُّر هو المراد بقولهم: ألفنا في الشيخ، وألفنا في الرسول ﷺ وألفنا في ذات الحق تعالى.

وهذا التصوُّر هو السبب في حصول المراتب المذكورة وهذا أعلى التصوُّرات؛ لسلامة المريد فيه من الخلل أن يتصوَّر جميع أفعاله الحسنة حتى أكله وشربه ونومه، وطرق أفعاله لشيخه، وهذا الطريق قريب الوصول؛ لكنه مشتمل على خطر، وهو أن المريد إذا تردَّد في كمال شيخه؛ انسدَّ عليه الطريق، وبالله التوفيق.

ومنها: أن يتصوَّر في وقت ذِكره ومراقبته: إن شيخه في مكان رفيع بهيئة جميلة، وحالة جليلة، وفي غير وقت الذِكر والمراقبة يتصوَّره متوجِّهًا إليه، ومقبلاً بهيئته الكاملة علمية فضل في بيان الخطرات القلبية لا تخلو الخطرة، إمّا حضرة خير أو خطرة شر، فإن كانت الثانية، فإن استقرت نفسانية، وإن تردَّدت فشيطانية، وإن كانت الأولى فإن تردَّدت فملكية، وإلا فرحمانية.

والعمل بها يُسمَّى فعلاً روحانيًّا، وليس للسالك العمل بالثلاث الأُوَل، والحضرة من حيث ورودها لا تُوصف إلا بالخبرية؛ لورودها من حضرة الأعيان الثانية، ووصفها بالسرية باعتبار محلِّ الظهور؛ أعني: المضغة القلبية نعم هي لا تخلو عن ثلاث أحوال:

إمّا أن تترقَّى إلى مرتبة الروحانية، فخطراتها باقية على الخبرية.

أو تتنـزَّل إلى الخصيصة النفسية، فخطراتها حينئذٍ سرِّية.

أو يتجاذبها الأمران على حدٍ سواء، فتتصف خطراتها بسائر ذِكر من الخطرات.

وتنـزُّل الخطرة من حضرة الأعيان إلى العقل الكل، ومنه إلى النفس الكل، ومنها إلى طبيعة الكل، ومنها إلى جواهر الهبا، ومنه إلى الشكل الكلِّي، ومنه إلى جسم الكل، ومنه إلى روح الإنسان، ومنها إلى قلبه، ومنه إلى نفسه.

[شغل هفمت كام] يعني: سبع خُطوات في خمسِ مراتب، وهو أن يعتقد المريد إلى كل

شيء من الناسوت متصنِّف بالحياة والعلم، والإرادة والقدرة، والسمع والبصر والكلام، ثم إنه: أي الناسوت على صورة مظهره؛ وهو الملكوت، ثم يتخيَّل إن الملكوت على صورة مظهره أي: الجبروت، ثم يتخيَّل أن الجبروت على صورة مظهره، وهو اللاهوت، ثم يتخيَّل أن اللاهوت على صورة مظهره؛ وهو الماهوت ثم يُغمض عينيه متصوِّر الماهوت بتوجُّهٍ تام حتى يحصل له صورته، فإذا حصل له ذلك؛ فقد حصل العروج، فيتصوَّر حينئذٍ مراتب النزول؛ يعني: الذات المطلقة فيتصوَّر إن الماهوت أصل وباطن اللاهوت، وهو أصل، وباطن الجبروت وهو أصل، وباطن الملكوت وهو أصل، وباطن الناسوت، ويتصوَّر ذلك على الدوام حتى يحصل له الفناء التام، والاستغراق العام.

[شغل سريار أمهات] أي: الثلاث الأقدام أعني: تصورات السميع البصير العليم على ثلاث طرق:

أحدها: ألا يتكلم بغير المشروع؛ لأن الله سميع.

ولا يفعل غير المشروع؛ لأنه تعالى بصير.

ولا يشغل قلبه بغير المشروع؛ لأنه سبحانه عليم.

ثالثها: أن يتخيَّل بطريق قرب النوافل؛ وهو أن سمعه، سمعه تعالى، وبصره بصره، ولسانه لسانه.

ومنها: أن يتخيَّل بطريق قرب الفرائض؛ وهو أن يتخيَّل إنه تعالى يسمع بسمعنا، ويبصر ببصرنا، وينطق بلساننا.

ومنها: أن يتصور لفظ الجلالة مبتدأ بها من السُّرَّة إلى طرف الفم، ثم يفتح عينيه مع إطلاق نفسه متصوِّر لفظ كليم بين شفتيه مع إطلاق نفسه، ثم يتصوَّرها.

منها: *كذلك إلى الأُذن، ثم يفتح عينيه متصوِّر لفظ سميع بأُذنه، ثم يتصورها أي:* الجلالة من السرة إلى العين، ثم يفتحها متصوِّرًا لفظ بصير مع إطلاق نفسه، وهذا عروجًا ثم نزولاً مبتدأ بالجلالة من السُّرَّة إلى الرأس، ويُجيِّم لدى العين بتصوُّره بصير، ثم بها أيضًا من السُّرَّة إلى الرأس، ويُجيِّم عند الأُذن بتصوُّره سميع، ثم بها أي: الجلالة من السُّرَّة إلى الفم، متصوِّر كليم بين شفتيه، وهذا جميعه مع حبس النفس.

ومنها: أن يتصوَّر أن صفته الكلامية مظهر صفة كلامه تعالى، وكذا صفته السميع مظهر صفة سمعه سبحانه، وصفته البصرية مظهر صفة بصره ﷻ، ثم يتصوَّرها جميعًا.

وإن الذات المطلقة المحيطة متَّصفة بها، والله بكل شيء محيط، والمراد من الإحاطة تعلُّم خاص يعلمه الراسخون من الخواص طريقة صون الأنفاس؛ يعني: حفظ الأنفاس، ينبغي للسالك أولاً أن يتخيَّل كلمة لا إله مع التنشُّق متصاعدًا من القلب إلى منتهى الدماء الذي هو محلُّ لطيفة الأخفى، وكلمة إلا الله منها إلى القلب مع التنفُّس، ثم إذ استحكم فيه هذا الذكر، وظهرت الآثار، واشتغل بتخيُّل أنها من السُّرَّة إلى المحلِّ المذكور، ثم الله على السُّرَّة بطريق ذِكر السلطان بجميع أجزاء نصفه الأعلى من السُّرَّة إلى الدماغ، وعقيبها إلا بالمدمن من إبهامي الرجل إلى محلِّ الأخفى، ولفظ هو إلى إبهام الرجل بالطريق المذكور، ثم بعد استحكام يتخيَّل هو هو من المحلَّين المذكورين بالطريق المسطور، ثم إن كان الرجل عالمًا؛ فيشتغل بتصوُّرها وقت التنشُّق.

ويتصوُّر هو في وقت التنفُّس متدبِّرًا معنى النفي والإثبات حتى يحصل الاستغراق التام، ومن بركاته حصول مرتبة الحقيقة الإنسانية، ثم الترقِّيات في المراتب الذاتية إلى ما شاء الله تعالى، والنزول بعده إلى درجة الإنسان، وعلى الله التكلان، انتهى المراد منه(1).

قلت: وبالجملة لا بدّ من تأويل كلامهم وحمله على المعنى الصحيح.

(1) راجع كتابنا: «إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول».

القسم الثالث

قسم الفوائد

الأقوال

الآثار

الحكايات

ولاية

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت طيفور البسطامي يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: قال أبي: قال أبو يزيد:

«لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدوه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة»[1].

وقال عيسى البسطامي: قال لنا يومًا أبو يزيد: قوموا بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي شهر نفسه بالولاية وكان بقومس[2] رجل مشهور بالزهد والورع.

قال: فمضينا معه، فلما خرج من بيته ودخل مسجده رمى ببزاقه نحو القبلة.

فقال أبو يزيد: قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلم عليه، فإن هذا الرجل ليس مأمونًا على أدب من آداب الشريعة التي أدب بها رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين! وقال: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف ترونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود كما الشريعة[3].

وحضر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس الله روحه عند رأس ضريح الشيخ أبي يزيد قدس الله روحه وجلس في وجاهة، وأشار إليه، وقال: قال هذا الشيخ إن الله تعالى جعل أقدام الأولياء نثار الأرض فيا لهؤلاء الحساد لا يرتضون بذلك.

وقال: أولياء الله عرائس في الدنيا والآخرة.. لا يراهم إلا من كان منهم.

محبة

قابل رجل أبا يزيد؟ فقال: دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى؟.

قال أحب أولياء الله ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم وليلة سبعين مرة، فلعل أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه، فيغفر لك.

وقال: كمال العارف احتراقه بحبه لربه.

وقال: إذا شربوا بكأس حبه وقعوا في بحار أنسه، وتلذذوا بروح مناجاته، وإذا عرفوا

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي (4 / 376).

(2) قُومس: بالضم ثم السكون وكسر الميم وسين مهملة، تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار، انظر: معجم البلدان (4/ 414).

(3) نقلاً عن النور (ص23).

حق معرفته ولهوا في عظمته.

وقال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

وقال: محال أن تعرفه ثم لا تحبه.

وقال: الجنة لا خطر لها عند المحبين، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم.

وسُئل عن علامة من يحب الله جلت عظمته. فقال: هو مشغول بعبادته ساجدًا وراكعًا، فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر القلب، فأما من يحب الله ﷻ أعطاه سخاوة كسخاوة البحر، وشفقة كشفقة الشمس وتواضعًا كتواضع الأرض.

وقال: الدنيا لأهلها غرور في غرور، والآخرة لأهلها سرور في سرور، ومحبة الله لأهل محبته نور على نور.

وقال: متى وجدت قلبك مستريحًا ودمعك جامدًا وعقلك حاضرًا، فأنت بعيد عن المحبة.

وقال: من أراده وفقه، ومن أحبه قربه.

تهليل

وقال: لو صفا لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء.

اسم الله الأعظم

وسئل عن اسم الله الأعظم؟ فقال: في قولك لا إله إلا هو، وأنت لا تكون هناك.

وسئل أيضًا: عن اسم الله الأعظم، فقال: لا إله إلا الله، وأنت هناك ثابت، فقيل له: كيف ذلك؟. قال: تعرفه إذا ذكرته.

وقال له رجل: بلغني أن عندك الاسم الأعظم فأحب أن تعلمنيه؟.

فقال: أبو يزيد: اسم الله الأعظم ليس له حد محدود؛ ولكن طهر قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارفع أي اسم شئت، فإنك تسير به المشرق والمغرب، وتجيء وتَصِف، فقال له الرجل: سبحان الله ويكون هذا! يسير الرجل في ساعة إلى المشرق والمغرب، ثم يجيء وتَصِفُ، فقال له أبو يزيد: نعم، وليس لهذا خطر أن يمشي باسمه الأعظم أقطار السماوات والأرض، لأن جميع مادون الله يكون تحت قدميه فيمر بقدميه إلى حيث شاء، ويمد يديه به إلى حيث شاء إذا ذكره ويأخذ من حيث شاء، فقال له الرجل: وأي مقام هذا؟ فقال أبو يزيد: أما المقام فلا

صفة له؛ ولكن مثله شبه مرآة لها ستة أوجه، فإذا أراد الله أن ينظر إلى خلقه نظر في هذا الرجل الذي هو مرآته، فيرى خلقه فيه ويُدبِّر أمرهم.

وكان أبو يزيد كلما أدرك هذه الحالة صار تمنيه وإرادته بأسرع من الطرف، وكان لا يهم بشيء حتى يصور له ذلك على ما يريد، فكانت له من الإجابات العجائب.

توحيد

وسُئل أبو يزيد قدس الله روحه عن قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3]، فقال: هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكوا فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه.

وسُئل فقيل له إن الناس يقولون: إن شهادة لا إله إلا الله مفتاح الجنة، فقال: صدقوا، ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء:

- لسان بغير كذب ولا غيبة.
- وقلب بغير مكر ولا خيانة.
- وبطن بغير حرام ولا شبهة.
- وعمل بغير هوى ولا بدعة.

وقال أبو يزيد: أول مقام التوحيد أن تكون للعلم قائلاً ومستمعًا.

وسمع أبو يزيد رجلاً يقول: الله أكبر، فقال له: ما معنى الله أكبر؟ فقال الرجل: أكبر من كل شيء سواه، فقال له: ويحك حددته أو كان معه شيء فيكون أكبر منه؟ فقال له الرجل: ما معنى الله أكبر، فقال أبو يزيد: أكبر من أن يقاس بالناس، أو يدخل تحت القياس، أو يُدرك بالحواس.

وقال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول: الأسماء كلها اسم الصفات والله اسم الذات، والاسم علامة يعرف به المعنى، والمعنى علامة يعرف به الذات، والأسماء علامة يعرف بها الذات، فمن أقر بالصفات ولم يقر بالذات فليس بمسلم، ومن أقر بالذات قبل الصفات يسمى مسلمًا، ويجب أن يقر بالصفات قبل الذات، والدليل على ذلك لو أن رجلاً قال: لا إله إلا الرحمن، أو لا إله إلا الرحيم، ثم يأتي على الأسماء كلها لا يكون مسلمًا حتى يقول: لا إله إلا الله، ومن أقر بهذا الاسم الواحد وهو الله، فالأسماء كلها داخلة في هذا

الاسم، ومنه تخرج معاني الأسماء كلها، ولا يحتاج هذا الاسم إلى اسم سواه.

والدليل على ذلك أن الله تعالى تفرد بهذا الاسم، ويجوز أن يسمى الرجل عالمًا ورحيمًا وكريمًا على معاني هذه الأسماء، ولا يجوز أن يسمى الرجل الله فإنه اسمه، وما دعا أحد باسم من الأسماء كلها إلا ولنفسه في ذلك نصيب، إلا الله، فإن ذلك حظ الله من عبده، ومعنى ذلك أن من طالب ربه برحمته فيقول: يا رحيم، ومن طالبه بكرمه، فيقول يا كريم، ومن طالبه بجوده فيقول يا جواد، فكل اسم تحته معنى يدعوه إلى نصيب الناس من أمر الدنيا والدين إلا الله، فإن هذا الاسم يدعوه إلى وحدانية الله تعالى وليس للنفس فيه نصيب، ومن أراد من الله عطاء يدعو الله بأسماء الصفات، ومن أراد من الله إليه يدعو إليه بأسماء الذات[1].

وقال: لا تتكلف بفكرة قلبك فيه تهلك بالتشبيه، فإنه موجود للمتفكرين في صفته، ومفقود للمتوهمين في ذاته[2].

وقال شيخ المشايخ: سئل أبو يزيد -قدس الله روحه- عن التوحيد، فقال: هو اليقين، قيل: فما اليقين؟ قال: معرفتك أن حركات الخلق وسكناتهم فعل الله لا شريك له، فإذا عرفت ربك واستقر فيك فقد وجدته.

ومعناه أنك ترى الله وحده لا شريك له في فعاله وليس يفعل فعاله أحد.

وجاء رجل إلى أبي يزيد، فقال: أوصني؟ فقال: انظر إلى السماء فنظر، فقال له أبو يزيد: من خلق هذا؟ قال: الله.

قال: إن من خلقها مطلع عليك حيث كنت أنت فاحذره.

- سُئل لماذا خلق الله الخلق؟ فقال: خلق الله الخلق لإظهار قدرته، ويرزقهم لإظهار جوده، ويميتهم لإظهار قهره، ويحييهم لإظهار عظمته، ويحاسبهم لإظهار عدله، ويدخل المؤمنين الجنة لإظهار رحمته[3].

وقال: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئًا أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

❖ ❖ ❖

(1) نقلاً عن النور (ص42).

(2) في النور: ومفقود عند المتوهمين في ذاته، (ص62).

(3) روضة الحبور (ص61).

خفاء

وقال: أقمت عشرين سنة أكابد المجاهدة وأكافح المراقبة ولا أجسر أن ألبس مرقعة ولا أتظاهر بالطريق.

غيب

قال أبو يزيد: لو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون ولا ما فيه.

وقال: لله عباد لو بدت لهم الجنة بزينتها لضجوا منها كما يضج أهل النار في النار.

وقال: في عيون الخلق أني مثلهم، ولو رأوني كيف صفتي في الغيب لماتوا دهشًا.

صلاة

نقل ابن الجوزي في تاريخه المسمى «بالمنتظم[1]» بسنده إلى العباس بن حمزة، قال: صليت خلف أبي يزيد البسطامي الظهر، فلما أراد أن يرفع يديه للتكبير لم يقدر إجلالاً لاسم الله، وارتعدت فرائصه حتى كنت أسمع تقعقع عظامه فهالني ذلك[2].

وقال رجل من أهل الحديث لأبي يزيد: يا غلام تحسن تصلي؟

فقال: نعم إن شاء الله.

فقال له: كيف تصلي؟

فقال: أكبر بالتنبيه، وأقرأ بالترتيل، وأركع بالتعظيم، وأسجد بالتواضع، وأسلم بالتوديع.

فقال: يا غلام إذا كان لك هذا الفضل والمعرفة فلم تدع الناس يتمسحون بك؟.

فقال أبو يزيد: ليس بي يتمسحون لكن بحلية حلانيها ربي، فكيف أمنعهم عن ذلك وهو لغيري.

وروي أنه أذن مرة، ثم أراد أن يقيم، فنظر في الصف، فرأى رجلاً عليه أثر سفر، فتقدم أليه فكلمه بشيء، فقام الرجل وخرج من المسجد، فسأله بعض من حضره، فقال الرجل: كنت في السفر، فلم أجد الماء، فتيممت ونسيت ودخلت المسجد، فقال لي أبو يزيد: لا يجوز التيمم في الحضرا، فذكرت ذلك وخرجت.

وصلى أبو يزيد خلف إمام في بعض المساجد، فلما كان بعد ساعة أخذ الإمام يسائله:

---

(1) انظر: المنتظم (5/ 28).

(2) المنتظم (3 / 462).

من أين تأكل؟ فقال له أبو يزيد: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليت خلفك، فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرازق[1].

وسُئل عن رفع اليدين في الصلاة؟ فقال: سنة من سنن رسول الله ﷺ، ولكن اجتهد أن ترفع قلبك إلى الله ﷻ، فإنه أولى.

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَنَفَعَنَا بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ لَيْلَةً مِنَ الْمَسْجِدِ، وَقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ، فَخَرَجَ خَلْفَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ، وَهُوَ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ رَفَعَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى فَوَضَعَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ بِيَدِهِ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ شَاخِصًا إِلَى السَّمَاءِ، فَوَقَفَ الرَّجُلُ خَلْفَهُ يَنْتَظِرُهُ إِلَى أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ رَجَعَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ خَلْفَهُ.

قال ابن الحاج: فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا أَبُو يَزِيدَ، وَإِلَى تَرْكِهِ مَا كَانَ فِيهِ، وَإِتْيَانِهِ إِلَى الْفَرْضِ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا فِيمَنْ كَانَ الْقُرْآنُ يَنْفَلِتُ مِنْهُ لِقِلَّةِ حِفْظِهِ: فَلْيَقُمْ بِهِ فِي اللَّيْلِ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُثَبِّتُهُ لَهُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِبَرَكَةِ امْتِثَالِ السُّنَّةِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي الثُّلُثِ الْآخِرِ مِنْهُ لِمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرَكَاتِ، وَالْخَيْرَاتِ[2].

وقال أبو الحسن الدمشقي: صلى أبو يزيد البسطامي ليلة فأضاء البيت كأنه نصف النهار، فقال أبو يزيد: إن كنت شيطانًا فأنا أعز وأمنع جانبًا من أن تطمع فيَّ، فإني أسأله أن يؤخره من دار الخدمة إلى دار الكرامة[3].

أدب

وروي أنه قال لبعض أصحابه: قم بنا إلى فلان، لرجل قد شهر نفسه بالزهد في ناحية، فقصداه، فرآه أبو يزيد قد خرج من بيته، ودخل المسجد وتفل في قبلة المسجد، فقال أبو يزيد لصاحبه: هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من آداب السنة، كيف يكون مأمونًا على ما يدّعيه من مقامات الأولياء؟!

وروى أن شقيقًا البلخي وأبا تراب قدما عليه فقُدِّمت السفرة، وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له: «كل معنا يا فتى!» فقال: «أنا صائم»، فقال له أبو تراب: «كُل ولك أجر صوم

---

(1) في النور (ص77).

(2) المدخل (2/ 182).

(3) نقلاً عن النور (ص63).

شهر، فأبى، فقال له شقيق: «كُل، ولك أجر صوم سنة» فأبى فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله! «فأخذ ذلك الشاب في سرقة - بعد سنة - فقطعت يده».

وقال أبو يزيد قدس الله روحه: قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي فهتف بي هاتفٌ: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.

زهد

سُئل عن الزاهد؟ فقال: الزاهد: هو الذي يلحظ إليه لحظة فيبقى عنده، ثم لا يرجع نظره إلى غيره.

وقال أبو حفص رحمه الله: سألت أبا يزيد عن الزهد؟ فقال: ليس للزهد منزلة، فقلت: لماذا؟.

قال: لأني كنت ثلاثة أيام زاهدًا، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه، فقال أبو حفص: كيف ذلك؟.

قال: زهدت أول يوم في الدنيا وما فيها، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث زهدت فيما دون الله تعالى، فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله شيء، فسمعت قائلاً يقول: يا أبا يزيد! لا تَقْوىَ معنا، فقلت: إنما أردت هذه الكل، فسمعت قائلاً يقول لي: وجدت وجدت.

وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن علي الدمشقي بدمشق نا عبد الله ابن أحمد بن كيسان قال سمعت أبا يزيد طيفور البسطامي يقول: رأيت علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في النوم فقلت يا أمير المؤمنين علمني كلمة تنفعني، فقال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء رجاء ثواب الله، فقلت: زدني، قال: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بما عند الله قلت زدني ففتح كفه، فإذا مكتوب فيها بماء الذهب: كنت ميتًا فصرت حيًا، وعن قليل تكون ميتًا فابن بدار البقاء بيتًا، واهدم بدار الفناء بيتًا، فلم أزل أرددهما في النوم حتى حفظتهما[1].

قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى مؤنة الأكل، ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ؟ فلم أسأله، ثم إن الله تعالى كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

---

(1) تاريخ دمشق (14/ 105).

قيل: عاب رجل على أبي يزيد، فقال: إنك تذكر بالزهد والعبادة ولا أعرف لك كثير عبادة. فهاج.

وقال ﷺ: يا مسكين الزهد والمعرفة مني اشتقت.

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا المتقدمين يقولون: إن أبا يزيد لم يجد في ابتداء أمره ليلة من الليالي حلاوة الطاعة، كما كان يجدها من قبل، فقال لأبي موسى: انظر هل تجد في البيت شيئًا من المأكولات والمطعومات؟ فدخل، فنظر نصف معلاق عنب فأخبره، فقال: أعطه أحدًا، صار بيتنا بيت البقالين.

وقال أيضًا: سمعنا مشايخنا، يقولون: أسرج ليلة من الليالي السراج فكان يظلمه ويوحشه ضوء ذلك السراج، فقال للقوم: فتشوا عن ذلك؟ فقالوا: استعرنا قارورة لنأتي بها الدُّهن مرة فأتينا بها مرتين[1].

وقال: وددت أن الله تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة فأعطانيها حتى أنبذها بين يدي كلب حتى لا يغتر بها الخلق، ولو عذبني في نار جنهم مكان الخلق جميعًا لما كان مني بكثير بما ادعيت أني أحبه، ولو غفر لي ولجميع الخلق لما كان منه بكثير حيث يقول: إني رءوف رحيم[2].

وقال: الدنيا للعامة والآخرة للخاصة، فمن أراد أن يكون من الخاصة فحكمه أن لا يشارك العامة في دنياهم، وإنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة، فمن نظر منها إلى الآخرة نجا، ومن شغل بها عن الآخرة هلك، وأظلمت مرآته[3].

ودخل ﷺ الجامع فوقف على فقيه، فسئل عن رجل مات وخلف كذا، فأخذ يصحح المسألة ويضرب الأعداد، فصاح به: يا فقيه، ما تقول فيمن مات ولم يخلف إلا الله؟ فبكى القوم وأبكوا، فقال: العبد لا يملك، وإذا مات لا يخلف إلا مولاه كما كان أولاً، فإن آخره يرجع إلى أوله؛ لأن أوله فرد ومعه الشهادة، فإذا كان آخره كأنه لم ير مع الله سواه ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 94].

ورع

قصد أبو يزيد ﷺ الجامع يوم الجمعة للصلاة، وكان وحلاً فزلقت رجله فوضع

(1) نقلاً عن النور (ص28).
(2) نقلاً عن النور (ص37).
(3) في النور (ص76).

إصبعه على جدار في الطريق فأمسك نفسه بسبب، فلما ثبت تفكر في ذلك، وقال لنفسه: تفحصي عن صاحب هذا الجدار ليجعلني في حل مما تعاطيت وفعلت، خير لي من أن أمضي إلى المسجد، فإن ذلك لا يفوتني، ففي الوقت سعة، فانصرف وتعرف عن صاحب الجدار، فقيل: مجوسي، فتقدم إلى باب داره وناداه، فخرج إليه فأخبره بالقصة، وطالبه أن يجعله في حل من ذلك، فقال المجوسي: أو لكم في دينكم تلك الرقة، وكل هذا الاحتياط، آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ، وآمن كل من في الدار ببركة كل ذلك القصد.

وقال أبو يزيد قدس الله روحه: ما أكلت مما يأكل الآدميون أربعين سنة.

وقال أبو عمران موسى بن عيسى هو ابن أخي أبي يزيد البسطامي: سمعت أبي يقول: خرج أبو يزيد حاجًا مع عديل له من أهل بسطام، فلما أراد الحاج دخول البادية عمد أبو يزيد فاشترى شيئًا من الحوائج وحملها على الجمل الذي عليه محمله، فقال له عديله: كل هذه الأمتعة لا يحملها الجمل ونهاه عن ذلك، وأبو يزيد يتغافل عنه وكان عمل أمره على قلة الورع، فلما ارتحل.

قال أبو يزيد لعديله: يا مسكين طأطىء رأسك وانظر هل نحن على ظهر الجمل؟

فنظر فإذا الجمال تمر وراء المحامل في الهواء فوق ظهور الجمال فبقي متعجبًا.

فقال: يا أبا يزيد المحامل بينها وبين ظهور الجمال أكثر من ذراع فقال أبو يزيد إذًا فلا تكثر عليّ، فقال: بم نلت هذا يا أبا يزيد، فقال أبو يزيد: يا مسكين وهل يقوم على هذا غير الله[1].

وأمر بعض تلامذته أن يشتري له خبزًا فاشترى فلما رآه وجده محاشًا، فأمره برده على صاحبه وأمره أن يأخذ الأجود والأبيض، وقال: كأنهم يقولون: إنهم متقربون يأكلون كيف عنا يكون.

ويحكى عنه - رحمه الله- (أَنَّهُ اشْتَرَى بِهَمَذَانَ حَبَّ الْقُرْطُمِ) ثَمَرُ شَجَرِ الْعُصْفُرِ (فَفَضَلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَحَمَلَهُ مَعَهُ فَلَمَّا رَجَعَ إلَى بِسْطَامٍ رَأَى فِيهِ نَمْلَتَيْنِ فَرَجَعَ) مِنْ بِسْطَامٍ (إلَى هَمَذَانَ) لِأَجْلِ النَّمْلَتَيْنِ مَرْحَمَةً لَهُمَا وَشَفَقَةً بِهِمَا وَخَوْفًا مِنْ احْتِمَالِ ظُلْمِهِمَا بِتَفْرِيقِهِمَا مِنْ رُفَقَائِهِمَا وَمَكَانِهِمَا وَبَيْنَ هَمَذَانَ وَبِسْطَامَ مُدَّةُ أُسْبُوعٍ (وَوَضَعَ النَّمْلَتَيْنِ) مَكَانَهُمَا[2].

---

(1) نقلاً عن النور (ص50).

(2) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية (6/ 236).

قال الشيخ إسماعيل حقي: فهذا هو الورع وكمال التقوى، ومثل هذا لا يوجد في هذا الزمان، وإن وجد فأقل من القليل وأكثر الناس ولو كانوا صوفية لا يفرقون بين الحلال والحرام والشبهات، ولذا ترى أمر الدين صار مهملا وعاد غريبا هدانا الله وإياكم إلى سواء الطريق انه ولي التوفيق[1].

وَعَنْهُ أَيْضًا (أَنَّهُ غَسَلَ ثَوْبَهُ فِي الصَّحْرَاءِ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ فَقَالَ صَاحِبُهُ نُعَلِّقُ الثِّيَابَ مِنْ جُدْرَانِ الْكُرُومِ) أَشْجَارُ الْعِنَبِ (فَقَالَ: لَا نَغْرِزُ الْوَتَدَ فِي جِدَارِ النَّاسِ فَقَالَ) الصَّاحِبُ (نُعَلِّقُهُ مِنَ الشَّجَرِ فَقَالَ) الشَّيْخُ (لَا) نَفْعَلُ (لِأَنَّهُ يَكْسِرُ الْأَغْصَانَ) فَيَتَضَرَّرُ صَاحِبُهَا (فَقَالَ نَبْسُطُهُ عَلَى الْإِذْخِرِ) نَبْتٌ مَعْرُوفٌ (فَقَالَ لَا؛ لِأَنَّهُ عَلَفُ الدَّوَابِّ لَا نَسْتُرُهُ عَنْهَا) عَنِ الدَّوَابِّ لِئَلَّا يَتَرَتَّبَ عَلَيْنَا حَقُّهَا (فَوَلَّى) الشَّيْخُ (ظَهْرَهُ إِلَى الشَّمْسِ حَتَّى جَفَّ جَانِبُهُ) الَّذِي يَلِيهَا (ثُمَّ قَلَبَهُ حَتَّى جَفَّ الْجَانِبُ الْآخَرُ) فَجَعَلَ نَفْسَهُ وِقَايَةً بَيْنَ حَقِّ الْآدَمِيِّ وَحَقِّ الْبَهِيمَةِ فَهُوَ مِنْ كَمَالِ التَّوَرُّعِ وَلِزِيَادَةِ اهْتِمَامٍ فِي حَقِّ الْآدَمِيِّ وَالْحَيَوَانِ.

وقيل: إنه دخل يومًا إلى الجامع فغرز عصاه في الأرض، فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الأرض، فأسقطها فانحنى الشيخ وأخذ عصاه، فمضى أبو يزيد إلى بيت ذلك الشيخ واستحله، وقال: إنما أحتاج سجني بسبب وقوع عصاي على عصاه.

علم وعالم

وقال: شيخ المشايخ: طعن بعض العلماء في كلام أبي يزيد، فقال: هذا الذي تقوله ليس في العلم، فأجابه أكل العلم قد بلغك؟.

قال: لا، قال: هذا من العلم الذي لم يبلغك.

وطعن أيضًا بعض العلماء في كلامه، وقال له: ليس الذي تقوله من العلم، فقال: انظر في كتابك الفلاني إلى ورقة، كذا تجد ما أقوله فيها، ففتشه، فوجد ما أشار إليه من العلم الدّال عليه[2].

قال له فقيه: علمك هذا أخذته عن من؟ قال: علمي من عطاء الله وعن الله، ومن حيث قال رسوله ﷺ: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعمل[3]» .

---

(1) تفسير حقي (2/ 101).

(2) نقلاً عن النور (ص7).

(3) رواه أبو نعيم في الحلية (10/ 15).

وقال بعضهم: حضرت مجلس أبي يزيد، والناس يقولون: فلانٌ لقي فلانًا، وأخذ من علمه وكتب منه الكتب الكثيرة، وفلان لقي فلانًا.

فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، والناس يقولون به، وأنا أقول عنه.

كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية، فقصد أبا يزيد، وقال له: قد حكي لي عنك عجائب، فقال له أبو يزيد: وما لم تسمع من عجائبي أكثر.

قال: علمك هذا عمن ومن أين؟ فقال أبو يزيد: علمي من عطاء الله ﷻ، ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم[1]».

ومن حيث قال: العلم علمان: علم ظاهر وهو حجة الله على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع فعلمك يا شيخ نقل من لسان للتعليم لا للعمل، وعلمي من الله إلهامًا من عنده، فقال له الشيخ:

علمي بالتأكيد عن الثقات أكابرًا عن أكابر عن رسول الله ﷺ عن جبريل ﵇ عن الرب ﷻ فقال له أبو يزيد: يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لا يطلع عليه جبريل، ولا ميكائيل.

قال: نعم! ولكن أريد أن يتضح لي علمك الذي تقول هو من عند الله؟.

قال: نعم أبينه لك بقدر ما يستقر في قلبك معرفته.

ثم قال: يا شيخ علمت أن الله ﷻ كلم موسى ﵇ تكليمًا، وكلّم محمد ﷺ ورآه كفاحًا، وكلم الأنبياء عليهم السلام وحيًا.

وقال الشيخ: بلى! ثم قال: أيها الشيخ أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالإلهام منه لهم وفوائده من قلوبهم، وتأييده لهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع به الأمة.

ومما يؤكد ما قلت، ما ألهم الله ﷻ أم موسى أن تلقي موسى في التابوت حتى حملت ولدها وألقته في اليم، وكما ألهم الخضر ﵇ أمر السفينة، وأمر الغلام وأمر الحائط.

وقوله لموسى: ﴿وما فعلته عن أمري﴾، وآتاه علمًا من لدنه قال ﷻ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

وكذلك ألهم يوسف ﵇ في السجن، وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنها: إن ابنة

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (6/ 163)، وأورده العجلوني في كشف الخفاء (2/ 287، 347).

خارجة حاملة بنت فولدت جارية، فقال: إنما ألهمت ذلك، وما ألهم عمر ﷺ، وكان على المنبر ونادى: يا سارية الجبل.

ومثل هذا كثير وأهل الإلهام قوم خصهم الله بالفوائد فضلاً من الله عليهم، وكرامة منه، وقد فضل الله بعضهم على بعض في الإلهام والفِراسة، فقام الشيخ، وقال: أعطيتني أصلاً، وشفيت صدري[1].

وسُئل عن طلب العلم! قال: إنما حسن طلب العلم وأخبار الرسول ﷺ لمن يطلب المخبر به يعني النبي ﷺ، أو المخبر عنه، فأما من طلبه ليزين نفسه عند الخلق فإنه يزداد بعدًا من الله ورسوله، وقال: منذ أربعين سنة لم أستند إلى حائط إلا حائط مسجد، أو رباط فقيل له: لم لا تستند وفي ذلك رخصة؟ فقال: سمعت الله ﷻ يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:7:8]، فهل ترى من رخصة؟

عن أبي يزيد البسطامي- قدس سره-: كنت أعلم الإخلاص لبعض الفقراء، وهو يعلمنا الفناء[2].

وقال: ليس العالم أن يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً، بل من يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس.. وهذا هو العالم الرباني.

شيخ

ومن كلام أبي يزيد البسطامي قدس سره: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان[3].

مريد

قال ابن الملقن: من مليح قوله أنه قال لبعض خدمه من تلامذته وهو يعظه ويرقق الكلام له، وذلك التلميذ في غلوائه وعدوائه، فقال أبو يزيد: يا هذا، والله إذا وافقتني كنت ثقيلاً علي، فكيف إذا خالفتني؟[4]

ذكر

قال أبو يزيد ﷺ: سِر في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد، وطِر في ميدان

(1) نقلاً عن النور (ص48).
(2) تفسير حقي (1/ 256).
(3) تفسير حقي (7/ 393).
(4) طبقات الأولياء (ص 66).

التفريد حتى تلحق وادي الديمومية، فإن عطشت سقاك كأسًا من الذكر لا تظمأ بعده أبدًا[1].وخرج أبو يزيد ليلاً، فسمع صوت الحارس يهلل ويكبر ويسبح، فالتفت إلى أبي موسى خادمه، وقال: يا أبا موسى قل لهذا الحارس: كم أجرتك هذه الليلة وأضعفها له وقل له يذكر شيئًا آخر ولا يذكر عزيزي بهذه الغفلة.

وقال يومًا: ما ذكروه -جل جلاله- إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة.

ويحكى أنه قال لأصحابه ذات يوم: قمت البارحة وأنا أريد أن أذكر الله تعالى فلم يمكنني ذلك، وذلك أنه جاءتني وحشة كلمة قلتها في صباي، فقلت: كيف أذكره بلسان جرى عليه ما جرى ونطق ما نطق.

دعاء

وكان يقول: اللهم من فعل بي سوءًا فعلاً وقولاً فاجمع عليه من همك كما تهب الريح فتجمع الثلج في الوادي.

وقال: إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذا الطريق فقل له يدعو لك؛ فإنه مجاب الدعوة.

قال الجنيد: كنت لقيت أبا يزيد البسطامي فقال الرجل: أنا ببسطام في جواره فقال له الرجل الداعي: أنت تطلب مني الدعاء وأنت في جواره فأنت أولى به مني[2].

حياء

ورأى أبو يزيد -قدس الله روحه- تفاحًا أحمر مليحًا، فقال: تفاح لطيف.

فقيل له: يا أبا يزيد أما استحييت أن تضع اسمي على ثمرة، قال: فأنسي اسم الله الأعظم أربعين يومًا، فقال: إلهي نذرت ألا آكل من نهار بسطام ما عشت[3].

فناء

وقال: أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد البسطامي ﷺ يقول: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعالَ إليَّ[4].

(1) نقلاً عن النور (ص49).
(2) روضة الحبور (ص67) بتحقيقنا.
(3) في النور (ص107).
(4) نقلاً عن النور (ص57).

وقال عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد: كنت عند أبي يزيد فذكر عنده الجاه والنفس، فقال: يا أبا موسى، إن المؤمن بلا نفس، ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:١١١]، فمن باع نفسه فكيف يكون له نفس.

وقال: ليس للعبد خير من أن يكون أبدًا فقيرًا ليس معه شيء، لا التزهد ولا التعبد ولا العلم ولا شيء من الأشياء، فيغنى عن الجميع، فإذا فني عن الجميع كان الجميع وراءه.

بقاء

قال: نظرت فإذا الناس في الدنيا يتلذذون بالنكاح والطعام والشراب، وفي الآخرة بالمنكوح والملذوذ، فجعلت لذتي في الدنيا ذكر الله تعالى ﷻ: وفي الآخرة النظر إلى الله تعالى.

ومن شعره:

أشار سري إليك حتى ... فنيت عني ودمت أنت
وفي فنائي فنا فنائي ... وفي فنائي وجدت أنت
محوت اسمي ورسم جسمي ... سألت عني فقلت أنت
فأنت نصب خيال عيني ... فحيث ما درتُ كنت أنت

شكر

وقال أبو يزيد: خضت في بحار الأعمال أربعين سنة فصعدت، فإذا أنا مربوط بكل زنار.

وقال: ما من أحد إلا وقد غرق في بحار الأعمال غيري، فإني قد غرقت في بحر المنة.

وقال أبو صالح الحذّاء مؤذن مسجد أبي يزيد: كان أبو يزيد يقول: هلاك الخلق في شيئين: في ترك الحرمة ونسيان المنة.

تجريد

وقصد أبا يزيد رجل من أصحاب ذي النون المصري -رضي الله عنهما- فقال له: من تطلب؟ قال: أبا يزيد، قال: يا بني أبو يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة، فرجع إلى ذي النون المصري فأخبره فغشي عليه.

وقال أحمد بن خضرويه قدس الله روحه: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

وقال سمعته يقول: اقطع قلبك عن التصنع والتزين والتملك والترييس والتدبر عن

كل ما دونه[1].

ورأى رجلاً، فقال له: ما حرفتك؟ فقال الرجل: خربنده[2]، فقال له أبو يزيد: أمات الله حمارك! لتكون عبدًا لله لا عبد الحمار.

تفريد

وقال: إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه وخلع عليهم خلعًا من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله.

وقال أبو يزيد: كنت أربعين سنة ديدبان القلب[3] فبعد الأربعين وجدته مشركًا وشركه أن يلتفت إلى ما سواه.

وقال: لا تصل إلى المخلوق إلا بالسير إليه، ولا تصل إلى الخالق إلا بالصبر عليه، وإذا أردت أن تطلبه فاطلبه في رجوعك عما دونه.

تنزيه

وكان يقول: إلهي الخلق لك، وأنت مالكهم، مالي والتكلف بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة[4].

وقال: لو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون ولا ما هو فيه.

إرادة

قال ابن خضرويه: كنت في الطريق إلى مكة فوقعت رجلي في شكال، فكنت فرسخين متعلقًا به إذ رآني بعض الناس فنزعه عني فقدمت بسطام فابتدأني أبو يزيد، وقال: الحال الذي ورد عليك في الطريق إلى مكة كيف كان حكمك مع الله فيه، قلت: أردت ألا يكون في اختياره لي اختيار، فقال لي: يا فضولي قد اخترت كل شيء حيث كانت لك إرادة.

وقال: ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى، ثم الشوق حتى بلغت السماء، ثم المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى، فنوديت: يا أبا يزيد، ماذا تريد؟ قلت: أريد ألاّ أريد.

وفي رواية: أوقفني الحق بين يديه ألف موقف، في كل موقف يعرض علي المملكة،

(1) في النور (ص62)، بنحوه.

(2) كلمة فارسية تعني سائق عربة يقودها حمار، أو مهنة حمّار، والله أعلم.

(3) نقلاً عن النور (ص95).

(4) في النور (ص75).

فأقول: لا أريدها، فقال في آخر موقف: يا أبا يزيد أتريد! فقلت: أريد أن لا أريد.

❖ ❖ ❖

فتوة

حكي أن زوجة أحمد بن خضرويه أم علي كانت من بنات الكبار، حلت من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامي، فحملها إليه، فلما دخلت عليه وقعدت بين يديه أسفرت عن وجهها، فقال لها زوجها أحمد: رأيت منك عجبًا أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد، فقالت: ألم تعلم أني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي، وكلما نظرت إليك رجعت إلى حظوظ نفسي، فلما خرج قال لأبي يزيد: أوصني، فقال: تعلم الفتوة من زوجتك، وأحمد بن خضرويه هو أحد رواة كلام أبي يزيد.

توسل

وحكي أن قومًا كانوا يستسقون بالبصرة فتقدم واحد من بعض الناس، وقال: له بحق هذا الرأس، وما فيه أن تسقيني، فصارت السماء كأفواه القرب، وانصرف الرجل إلى منزله فقال بعض من رأى ذلك منه: أن أقف أثره، وأعرف خبره، فلما حضره واستخبره، وقال له: قلت: بحق هذا الرأس وما فيه اسقني[1].

شفاعة

وقال عمي أبو موسى خادم أبي يزيد: كنا قعودًا في مسجد أبي يزيد وأبو يزيد حاضر، فقال: قوموا نستقبل وليًا من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب إذا أبو إبراهيم المروي المعروف على الدرب، فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أن أستقبلك وأشفع إلى ربي بك، فقال: لو شفعك في الخلق كلهم لم يكن كثيرًا فإنه شفعك في قطعة طين، أو قال: كف من تراب، فتحير أبو يزيد في جوابه!.

وقال: لو شفعني الله في كل أهل عصري، لم يكن عندي تكبرا لأنه شفعني في قطعة طين.

ودفع أبو يزيد فروة إلى خياط ليصلحها فخاطها وحملها إليه، فلما مات رؤي في المنام وسئل كيف كان حالك عند السؤال؟ فقال: جاء الرسل فقالوا: من ربك؟ فقلت: المثلي يسأل

(1) روضة الحبور (ص65).

عن هذا! وأنا قد حملت فروة أبي يزيد على عاتقي، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نذهب، فلا يجيء من هذا شيء.

وكان يقول: الطريق تقتضي ألاّ ينسى الشيخ أهل زمانه، فكيف مريده المختص به؟! فإنه من فتوة أهل الطريق.

ومعرفته بالنفوس أنه إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف ممن أذاهم في الدنيا، فأول ما يشفعون يشفعون فيمن أذاهم.

قال الشيخ ابن عربي: هذا نصه، وهو مذهبنا، فإن الذين أحسنوا إليهم يكفيهم عين إحسانهم، فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدموه في حق ذلك الولي.

تصوف

قال أبو موسى الديلي: سألت أبا يزيد البسطامي عن حقيقة التصوف؟ فقال: التصوف نور شعشعاني رمقته الأبصار فلاحظها.

وقال أبو يزيد: كنت اثنا عشرة سنة حداد نفسي، وخمس سنين كنت مرآة نفسي، وسنةً أنظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملتُ في قَطْعِه اثنتا عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في باطني زنار ظاهر، فعملت خمس سنين، أنظر كيف أقطعه فكشف لي عن ذلك فنظرت إلى الخلق موتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات، وقال: مررت إلى بابه فلم أر ثم زحام، لأن أهل الدنيا حجبوا بالدنيا، وأهل الآخرة شغلوا بالآخرة، والمدعين من الصوفية شغلوا بالأكل والشراب والكدية، ومن فوقهم حجبوا بالسماع والشواهد، وأئمة الصوفية لا يحجبهم شيء من هذه الأشياء فرأيتهم حيارى سكارى.

وسُئل: كيف الطريق؟ قال: غب عن الطريق تصل إلى الله تعالى[1].

وقال بعضهم لأبي يزيد: صفّ معي قلبك ساعة حتى أتكلم معك بشيء، فأجابه، وقال: منذ ثلاثين سنة أريد أن أصفي قلبي مع الله تعالى ساعة واحدة وهو بعد لم يصف، فكيف أصفو معك في ساعة واحدة[2]؟

سأل رجل أبا يزيد عن التصوف؟ فقال: طرح النفس في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، واستعمال كل خُلق سنية، والنظر إلى الله بالكلية.

(1) نقلاً عن النور (ص63، 65).

(2) نقلاً عن النور (ص68).

إيمان

قال ﷺ: حسب المؤمن من عمله أن يعلم أن الله غني عن عمله.

وقال إبراهيم بن محمد الخواص -قدس الله روحه-: سمعت أبا يزيد يقول: ظاهر التصديق وباطنه سواء، وقد اشترك الإيمان والحب في قلب الصِّديق.

فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، فإذا قال ذلك رمى قوس الدنيا بالفرقة وقطع حلقوم الطمع بسكين اليأس: وألجم نفسه بلجام الخوف وساقها بسوط الرجاء، ولبس قميص الصبر، وتردى برداء التصابر، واستوى عنده المنع والعطاء والشدة والرخاء والذم والثناء، فيسقط من ظاهره وباطنه التصنع، فليس عنده فرق بين الدانق والدينار، لعلمه أنه بورك له في الدانق كان أعظم بركة من الدينار، ويعلم أنه لو سلط عليه السنور كان أضر عليه من الأسد، فإذا كانت هذه حالته قالت الجنة: اللهم اجعل هذا العبد ساكني، فكانت الجنة طالبة له دونه، وإذا رأته على هذه الحالة النار علمت أن نوره يطفئ شررها، فتعوذت النار منه فلو عرج بذلك العبد إلى أعلى عليين لكان شكره ذلك الشكر الذي كان من أعظم البلاء، ولو أنزله الله من أعلى عليين فأسكنه الدرك الأسفل من النار لكان شكره ذلك الشكر الذي كان في أعلى عليين[1].

❖ ❖ ❖

صوفية

وقال عمي أبو موسى خادم أبي يزيد: سمعت أبا يزيد يقول: أهل خاصة الله على ثلاثة منازل:

- فطائفة هم مقيمون مبهوتون لا يحتملون ما يرد عليهم إلا أنهم ممنوعون من الاختيار.
- وطائفة يطردهم فيقولون: لا نَبرح.
- وطائفة قد أحاط بهم ولا يمكنهم البراح.

وقال أبو يزيد قدس الله روحه: علامة الانتباه خمسة: إذا ذكر نفسه افتقر، وإذا ذكر حوبته استغفر، وإذا ذكر الدنيا اعتبر، وإذا ذكر الآخرة استبشر، وإذا ذكر المولى افتخر.

---

(1) نقلاً عن النور (ص65).

حقيقة

وقال الجنيد: قال لي السري السقطي: قال لي أخي أبو يزيد بن عيسى قدس الله أرواحهم: من نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم، وهرب إلى الله تعالى منهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم وكان طريقًا لهم إليه.

صوفي

وسئل عن الصوفي فقال: هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسول الله ﷺ بشماله وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة والأخرى إلى النار يتزر بالدنيا ويرتدي بالآخرة ويلبي من بينهما للمولى لبيك اللهم لبيك.

معرفة وعارف

وقيل لأبي يزيد: إن سهلاً بن عبد الله يتكلم في المعرفة؟.

فقال: إن سهلاً على شاطئ المعرفة سلك ولم يغرق في اللجج، فقيل له: يا أبا يزيد فكيف يكون حكم من غرق في اللجج؟ فقال: يغرق عن رؤية الخلق حتى يتعطل عن عمارة الدّار.

وجاء حاتم الأصم زائرًا لأبي يزيد، فقال حاتم: قد قلت لتلامذتي: من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعًا في أهل النار، فيدخلهم الجنة لم يكن لي تلميذًا.

فقال له أبو يزيد: ولكن قد قلت لتلامذتي: ليس من تلامذتي إلا من وقف يوم القيامة، فكل من أمر به من الموحدين إلى النار أخذ بيده، فأدخله الجنة.

- الزاهد همه ألا يأكل، وهم العارف ما يأكل.

وقال: المعارف ثلاثة:

1- معرفة العوام.

2- ومعرفة الخواص.

3- ومعرفة خواص الخواص.

- فمعرفة العوام: معرفة العبودية ومعرفة الربوبية ومعرفة الطاعة ومعرفة المعصية ومعرفة العدو والنفس.

- ومعرفة الخواص: معرفة الإجلال والعظمة، ومعرفة الإحسان والمنة ومعرفة التوفيق.

- وأما معرفة خواص الخواص: فمعرفة الأُنس والمناجاة ومعرفة اللطف والتلطف، ثم معرفة القلب، ثم معرفة السر[1].

وقال: معرفة العوام: معرفة العبودية والربوبية والطاعة والمعصية والعدو والنفس، ومعرفة الخواص: معرفة الإجلال والعظمة والإحسان والمنة والتوفيق، ومعرفة خواص الخواص: معرفة الأنس والمناجاة والتَّلطف ثم معرفة القلب ثم السر.

وقال الغزالي قال أبو يزيد: رأيت الحق في منامي فقال: سلني! قلت: وعزتك، تعلم أنه ليس لي لسان يقدر على النطق الآن، فقيل له: لِمَ لا تسأله المعرفة؟ فصاح وقال: اسكت المعرفة معرفتان: معرفة حقيقة ومعرفة حق، أما معرفة الحق فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان والإيقان، وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل إليها ولا يحيطون بها علمًا.

وقال: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله.

سُئل عن الفريضة والسنة؟ فقال: السنة ترك الدنيا والفريضة صحبة المولى فمن تعلم السنة والفريضة، فقد كملت معرفته لأن الكتاب كله يدل على صحبة المولى والسنة تدل على ترك الدنيا[2].

قال: طلقت الدنيا بتاتًا[3] لا رجعة لها، وصرت وحدي إلى ربي فناديته بالاستغاثة التي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك، فلما أن علم صدق الدعاء من قلبي كان أول ما ورد على من إجابته أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

وسُئل فقيل له: كيف عرفت الله؟ فقال للسائل: لو عرفت الله لما كنت تسألني عنه، ومن لا يعرف الله فلا يعرف قول العارف، ومن عرف الله استغنى عن السؤال[4].

وقال: إذا عرفوه أسروا وإذا أسروا أسكنوا في معرفته.

وقال: أهل المعرفة مع الله تعالى على ثلاث مقامات: فقوم طلبوا الله ﷻ من حيث الغفلة عنه، وقوم تقربوا من الله ﷻ من حيث العجز عنه، وقوم وقفوا فيها لا طلب معه ولا هرب لهم عنه.

وقال: طوبى لمن كان الله همه، وطوبى لمن كان همه همًا واحدًا، ولم يشغل قلبه عبارات

---

(1) في النور (ص81).

(2) في النور (ص 57).

(3) في النور (بتة)، (ص60)، والنص من روضة الحبور، وفي الكواكب الدرية (ثلاثًا).

(4) في النور (ص58).

عيناه وسمعته أذناه، ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عن الله، ومن سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهمًا يكلم به الناس، ومن سمعه ليعمل به رزقه الله فهمًا يناجي به ربه، وسئل: بماذا يستعان على العبادة؟ فقال: بالله إن كنت تعرفه.

وقال: صفة العارف صفة أهل النار.. لا يموت لا يحيى.

وقال: إنما لم يكن العارف صاحب حال؛ لأن هويته قلبت في هوية غيره، وآثاره غيبت في آثار غيره، فالعارف طيار والزاهد سيار.

وقال: عبادة العارفين حفظ أنفاسهم مع معروفهم؛ لأنهم تركوا في جنبه كل شيء.

وقال: ما أفرح العارف بقدر معروفه إذا أيقن أنه قادر على كل شيء، فيرى نفسه من قدرته متحركة بمشيئته لا يبالي بأي تحريك يحركها بعد ما عرف أنه قائم عليها بقدرته، ولا يخرج من العبودية في القدرة.

وقال: لا يشكو قلب العارف وإن قطع بالمقراض، ولا ييأس منه ألبتة ولا يأمن من مكره وإن نؤدي بالغفران، ولا يدل عليه إلا به ولو مشى على الماء والهواء ولا يستريح من كده، ولو جلس على السرير ولا يغفل عنه، ولو كان في السوق، ولا يطمئن بدونه ولو كان في السماء.

وقال: علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد، ومبيته حيث أدرك، وشغله بربه.

وسُئل: ما علامة العارف؟ فقال: أن لا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره[1].

وقال: عشرة أسباب فريضة على البدن:

1 - أداء الفرائض.

2 - واجتناب المحارم.

3 - والتواضع لله.

4 - وكف الأذى عن الإخوان.

5 - والنصيحة للبر والفاجر.

6 - وطلب المغفرة.

7 - وطلب مرضاة الله تعالى في جميع أموره.

(1) في النور (ص99).

8- وترك الغضب والكبر والبغي والمجادلة وإظهار الجفاء.

9- وأن يكون وصي نفسه.

10- يتهيأ للموت.

وقال: عشرة أشياء حصن البدن:

1- حفظ العينين.

2- ومعاودة اللسان بالذكر.

3- ومحاسبة النفس.

4- واستعمال العلم.

5- وحفظ الأدب.

6- وفراغ البدن من شغل الدنيا.

7- والعزلة عن الناس.

8- ومجاهدة النفس.

9- وكثرة العبادة.

10- ومخالفة النفس.

وعشرة أشياء شرف البدن:

1- الحلم.

2- والحياء.

3- والعلم.

4- والورع.

5- والتقى.

6- والخلق الحسن.

7- والاحتمال.

8- والمداراة.

9- وكظم الغيظ.

10- وترك السؤال.

وفي عشرة أشياء تخرب البدن:

1 - مصاحبة من تتهمه في دينه.

2 - ومفارقة أهل الخير.

3 - ومتابعة النفس.

4 - ومجانبة الجماعة.

5 - ومجالسة أهل البدع.

6 - وطلب ما لا يعنيه.

7 - وتهمة الخلق.

8 - وطلب العلو.

9 - وهَم الدنيا.

وعشرة أشياء تميت البدن:

1 - قلة الأدب.

2 - وكثرة الجهل.

3 - وتهمة الخالق.

4 - وشهوة البدن.

5 - وطلب الرياسة.

6 - والميل إلى الدنيا.

7 - ومحاباة النفس عند الحق.

8 - وكثرة الأكل.

9 - وكثرة النوم.

10 - وكثرة الكلام.

وعشرة أشياء فيها ذُل البدن:

1 - الحدة.

2 - والغضب.

3 - والكبر.

4 - والبغي.

5 - والمجادلة.

6- والبخل.

7- وإظهار الجفاء.

8- وترك حرمة المؤمنين.

9- وسوء الخلق.

10- وترك الإنصاف.

وقال ﷺ: المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة والإشارة من المشير شرك في الإشارة، وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة.

وفي رواية: المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة جناية، والإشارة من المشير شرك في الإشارة، العارف همه ما يأمله، والزاهد همه ما يأكله، طوبى لمن كان همه همًا واحدًا، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه، ومن عرف الله، فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه.

- المعرفة في قلوب العارفين أحسن من هذا الطاس.

وقال أبو يزيد: من عرف الله يُهت ولم يتفرغ إلى الكلام.

وسئل عن درجة العارف، فقال: ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجوده، وقال: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله.

وقال: العارف الحقيقي يكون طعامه ما وجد، وبيته حيث أدرك، وشغله ما اتفق[1]ا.

وقال: أدنى درجة العارف أن يهب له ما قد ملك.

وقال: ثواب العارف من ربه.

وقال: إذا جاء حب الله يغلب كل شيء لا حلاوة الدنيا، ولا حلاوة الآخرة الحلاوة حلاوة الرحمن.

وسئل: هل العارف يحجبه شيء عن ربه؟ فقال: يا مسكين من كان هو حجابه أي: شيء يحجبه.

وسئل أيضًا: بمَ نالوا المعرفة؟ فقال: بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له.

وقال: ثواب العارف من ربه هو، وكمال العارف احتراقه فيه له[2].

(1) في النور (ص93) [وشغله بربه].

(2) في النور (ص93) باختصار.

وقال: العارف علامته: خمسة أشياء أولها:

1- يقيم على باب ربه ولا يرجع عن بابه بالبر.

2- ويقبل إليه ولا يلتفت إلى شيء يحجبه عنه.

3- ويكون دورانه وسيرانه في حجرة أنس ربه وحول مناجاته لا يرضى من نفسه أن يشتغل بشيء دون الله ﷻ.

4- ويكون فراره من الخلق إلى الخالق.

5- ومن جميع الأسباب إلى ولي الأسباب[1].

وقال: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول، ما فرح بشيء قط، ولا خاف من شيء قط، والعارف يلاحظ الرب والعالم يلاحظ النفس.

وقال: العابد يعبده بالحال والعارف والواصل يعبده في الحال.

وقال: الزاهد همه ما يأكله والعارف همه ما يأكله الزاهد يقول: كيف أصنع، والعارف يقول: كيف يُصنع؛ قال: أمل الزاهد في الدنيا الكرامات وفي الآخرة المقامات، وأمل العارف في الدنيا بقاء الإيمان معه، وفي الآخرة العفو يعني للخلق.

وقيل له: ما أعظم آيات العارف؟ قال: أن تراه يُواكلك ويشاربك ويمازحك ويبايعك ويشاريك، وقلبه في ملكوت القدس، هذا أعظم الآيات.

وسئل عن المعرفة؛ فقال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: 34].

ثم قال: للخلق أحوال، ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته لهوية غيره، وغيبت آثاره بآثار غيره، والعارف طيار، والزاهد سيار، والعارف لا يرى في يقظته ولا في نومه غير الله، ولا يوافق غير الله ولا يطيع غير الله.

وقال: دعوت الناس إلى الله أربعين سنة فما أجابوني، فلما تركتهم ورجعت إليه وجدتهم قد سبقوني.

قال الشيخ ابن عربي: فقيل له في هذا المقام: أيعصي العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

وقال-أعني الشيخ ابن العربي-: وهذا غاية في الأدب حيث لم يقل نعم أو لا، وهذا

(1) نقلاً عن النور (ص94).

كمال حاله وعلمه وأدبه ﷺ .

وقال: اعرف ربك بلا معرفة نفسك بغير رؤية قلبك، وازهد في الاغترار بما سوى ربك.

دخل أحمد بن خضرويه البلخي على أبي يزيد البسطامي -قدس الله روحهما- فقال له أبو يزيد: كم تسيح؟ فقال: إن الماء إذا وقف في مكان نتن.

فقال: كن بحرًا حتى لا تتن.

إجلال

قال السري: قال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله تعالى تمضمضت واغسل لساني إجلالاً لله ﷻ.

نفس

كان ﷺ يعظ نفسه ويصيح عليها ويقول: يا مأوى كل سوء! المرأة إذا حاضت طهرت في ثلاثة أيام وأكثر بعشرة، وأنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعدما طهرت فمتى تطهرين؟ إن وقوفك بين يدي الله لا بد منه، فاجتهدي أن تكوني طاهرة.

وقال: عند نسيان النفس ذكر باريء النفس.

قال عيسى بن آدم، ابن أخي أبي يزيد: كان أبو يزيد يعظ بثلاثة أيام، وأكثره بعشرة أيام، وأنت - يا نفس - قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة، بعد ما طهرت؟!، متى تطهرين؟!. إن وقوفك بين يدي طاهر، فينبغي أن تكوني طاهرة.

وكان يعظ نفسه فيقول: يا أمارة بالسوء، المرأة إذا حاضت طهرت بعد ثلاث أو سبع، وأنت منذ ثلاثين سنة ما طهرت؟! فمتى تطهرين؟

وقال: كنت أظن في بري لأمي أني لا أقوم فيه لهوى نفسي، بل لتعظيم الشارع حيث أمر ببرها، فكنت أجد في نفسي لذة عظيمة أتخيل أنها من تعظيم الحق عندي، لا من موافقة نفسي، فقالت لي في ليلة باردة: اسقني، فثقل علي وقمت بمجاهدة، وجئتها بكوز فوجدتها نامت، فوقفت به حتى انتبهت فناولتها- وقد بقي في أذن الكوز قطعة من جلد أصبعي انقرضت لشدة البرد- رجعت إلى نفسي فقلت لها: حبط عملك لكونك كنت تدعين النشاط في عبادتك ورأيتك تثاقلت عن ذلك، فعلمت أن كل ما نشطت فيه من عمل البر وفعله لا عن كسل وتثاقل، بل لذة، فإنما هو لهواك لا لله.

وقال: النفس تنظر إلى الدنيا، والروح إلى الآخرة، والمعرفة تنظر إلى الله، فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين، ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين.

وقال أبو موسى خادم أبي يزيد: سمعت أبا يزيد يقول: ما أكلت شيئًا مما يأكله بنو آدم أربعين سنة، فقال له أبو موسى الديبلي: أشد شيء لاقيته في أمر الله ما هو؟.

قال: لا أستطيع أن أخبرك.

قال: ما أسهل شيء لاقيته في أمر الله ما هو؟

قال: ولا ذاك.

قال: فأصعب ما لاقيته من أمر نفسك.

قال: ولا ذاك.

قال: فأسهل ما لاقيته نفسك.

قال: أسهل ما لاقيته نفسي مني سألتُها أمرًا من الأمور فأبت، فعزمت الا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة، فقال: لم أزل أسوق نفسي إليه وهي تبكي حتى ساقتني إليه وهي تضحك.

وقال: لا يكون العبد محبًا لخالقه حتى يترك نفسه لله تعالى في طلب مرضاته سرًا وعلانية يعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو.

وقال: اطلب هواه في خلاف هواك، ومحبته في مخالفة نفسك وبغضها، فإنه معروف عند مخالفة الهوى محبوبٌ عند بغض النفس[1].

وسُئل أبو يزيد متى يبلغ الرجل حد الرجال في هذا الأمر؟ فقال: إذا عرف عيوب نفسه فحينئذٍ يبلغ حد الرجال في هذا الأمر، ثم يقربه الحق تعالى على قدر همته ويشرفه على نفسه الأمارة[2].

ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك.

وقال: لا يعرف نفسه من صحبته شهوة- شهرة.

وقال: انسلخت من جلدي فرأيت من أنا ؟

(1) نقلاً عن النور (ص61).
(2) نقلاً عن النور (ص72).

قال الشهاب السهروردي: أشار إلى النفس الناطقة.

وقيل له: حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك، فقال: دعوتها إلى الله فنكلت علي، فعزمت عليها ألاّ أشرب الماء ولا أذوق النوم سنة فأذعنت.

قال أبو نعيم: وسمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا الحسن المروزي، يقول: سمعت امرأة أبي يزيد البسطامي تقول: سمعت أبا يزيد يقول: عالجت كل شيء فما عالجت أصعب من معالجة نفسي وما شيء أهون علي منها[1].

وقال: بالله أتقدم وبنفسي أتأخر، إذا وجد نفسه كان مخيرًا، وإذا فقد نفسه كان مختارًا.

همة

وقال: هلموا إلى رغبة الزاهدين، وشوق الراجين، وسرور العارفين وغناء المقربين، ومناجاة المحبين، وركون المستأنسين، وحب الواصلين، وحلاوة المتصلين وأنس رب العالمين.

وقال أيضًا: من لم يكن الله تعالى في جميع المعاني همته، كان منقوصًا من الله في جميع المعاني حظه.

وقال: ليس الرجل من يسير مع القافلة، إنما الرجل من ينام إلى الصباح فيصبح أمامها في المنزل.

قال شيخ المشايخ: سمعت المتقدمين يقولون إن أبا يزيد قال: رُبَّ أحد قريب منا بعيد عنا، وربَّ أحد بعيد عنا قريب منا.

افتقار

وسئل أبو يزيد -قدس الله روحه- عن ابتداء أمره، فقال: إن الله تعالى هداني للزراعة، فزرعت في نفسي أنواع العبادة، ثم أرشدني للطهارة، فلم أزل أغسل نفسي بأنواع الطهارات والمياه فلم أرها طهرت بعد.

وقال أيضًا: سمعت أبا يزيد يقول: نوديت في سِري، فقيل لي: خزائننا مملوءة من الخدمة، فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار.

وقال: قال لي الحق: تقرّب إلي بما ليس إلا الذلة والافتقار.

---

(1) حلية الأولياء (4/ 262).

طهارة

وقال: أبو يزيد النساء أحسن حالة منا المرأة تصير كل شهر طاهرة، وربما تصير طاهرة في مرتين، فتغتسل من الحيض، ونحن لا نكاد نصير طاهرين في عمرنا مرة واحدة.

صدق

وقال: إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبته، وإذا فارقته هان عليك أمره، والعارف إذا رأيته هبته وإذا فارقته هبته.

وقال عمي موسى بن عيسى: سمعت أبي يقول مقال أبو يزيد: طلقت الدنيا ثلاثًا بتًّا لا رجعة لها ثم تركتها، وصرت وحدي إلى ربي ﷻ فناديته بالاستغاثة إلهي ومولاي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك، فلما علم صدق الدعاء من قلبي مع الإياس مني، كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

وصحب رجل أبا يزيد مدة يسيرة فرآه وقتا يهتز، فقال له يا أبا يزيد من أي شيء يهتز الرجال؟ فقال له: لا تقدر أن تسعى عشرين وثلاثين سنة في طريق الصدق تعلم ما يهتز منه الرجال فمنذ متى قمت من تحت التختج تريد تَعَلّمُ منه الرجال؟

إخلاص

قال: لئن يقال لي: لم لا تفعل أحب إليّ من أن يقال لي: لم فعلت؟

يقين

- الحق مثل الشمس مضيء إذا نظر الناظر إليه أيقن به، فمن طلب البيان بعد البيان فهو في الخسران.

كرامة

وجاء أبو يزيد قدس الله روحه يومًا دجلة بغداد فانضمت بعضها إلى بعض كرامة له فجلس أبو يزيد، وقال: أنا أحمل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر بدانق[1] لا أبيع عمر ثلاثين سنة في هذا الحديث بدانق: يعني أني أتوقع منك شيئًا آخر دون الكرامة لأرضى منك بغيرك.

وقال رجل لأبي يزيد: سمعت أنك تسير من المشرق إلى المغرب في ساعة، فقال:

---

(1) الدانق: بفتح النون وكسرها وهو سدس الدرهم.

يكون هذا للمؤمن منا، إنما المؤمن الجوهراني من يطلع فيكون المشرق والمغرب عنده بين يديه فيتناول من حيث شاء.

وجاءه رجل، فقال: يا أبا يزيد رأيت الصخور والجبال ييبست والناس يحتاجون إلى المطر؟ فقال لخادمه: انظر سوى الناس ميازيبهم، فقال له الرجل: تهتم لميازيبهم، ليت أن الله تعالى قد سقاهم، فقال أبو يزيد: هم أقوام مساكين عسى الله يسقيهم، أو كما قال، فما خرج الرجل من عنده حتى أخذ المطر السهل والجبل، ولا رأوا منه دعاء ولا شيئًا، وإنما همّ به.

وكان أبو يزيد إذا رأى الآيات والكرامات يسأل الله تعالى تصديق ذلك، فيرى نورًا أصفر فيه مكتوب بنور أخضر: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إبراهيم خليل الله، موسى نجي الله، عيسى روح الله».

فيأخذ من الله آياته وكراماته بخمسة من الشهود، صلوات الله عليهم وسلامه وذلك في بدئه ثم انقطع عنه ذلك وارتفع.

وقال له رجل: يا أبا يزيد مات رجل بطبرستان فحضر الناس جنازته فرأيتك مع الخضر ﷺ في الهواء يدك على عنقه ويده على عنقك، فلما رجع الناس من الجنازة رأيتك في الهواء، قال: كان كذلك.

وقال له رجل: بلغني عنك آية أنا مؤمن بها، ولكن يعارضني فيها الشك، وأحب أن تقول لي شيئًا يذهب الشك عني؟ فقال: مثل ماذا يا مسكين؟ فقال: بلغني أنك تمشي على الماء وفي الهواء، وتأتي مكة بين الأذان والإقامة، وتركع وترجع؟ فقال له: يا مسكين إن هذا الذي ذكرت ليس له خطر، وإن أعطي المؤمن هذا، فأعطي عطاء طير من الطيور ليس لها ثواب ولا عقاب، بل المؤمن أكبر على الله من الغراب، وأما ما ذكرت أني أسير ما بين الأذان والإقامة إلى مكة، فإن بعض الجن يسيرون في نحو هذا إلى مكة ويأتون بالخبر، فإن أعطي المؤمن هذا فإنما أعطي عطاء بعض الجن، والمؤمن أكرم على الله من الجن، ثم هاج واضطرب، وقال: المؤمن الجيد الذي تجيئه مكة وتطوف حوله وترجع ولا يُشعر به حتى كأنه أخذ[1].

وقال: حظوظ كرامات الأوليات مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم منها وهي:

هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام،

---

(1) نقلاً عن النور (ص87).

فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما يجرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما يسبق، ومن لاحظ الآخر كان مرتبطًا بما يستقبله، وكلٌّ كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الله ببره.

وقال له رجل: بلغني أنك تمر في الهواء فقال: أي عجب؟ فطائرٌ يأكل الميتة يمر في الهواء، المؤمن أشرف من الطائر.

مكر

فخرج مرة أخرى له ببلخ فلما وصل إلى نهر جيحون[1] ورآه ببلخ أُلقِيَ له حافتاه، فقال: سيدي إيش هذا المكر الخفي وعزتك ما عبدتك لهذا، وعزتك ما أردت هذا، ثم رجع ولم يعبر.

وقال: الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات، كالمشي على الماء والهواء وطي الأرض وركوب السماء، فإن أدعية الكفار تجاب، والأرض تطوى للشياطين والدجال، والهواء مسخر للطير، والماء للحوت، فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر.

عبودية

سئل عن العابد؟ قال: هو الذي يرى منة الله عليه في العبادات أكبر من العبادة حتى تغرق عبادته في المنة[2].

قيل لأبي يزيد: بم نلت هذه الدرجة؟.

قال: جمعت أسباب الدنيا كلها فربطتها بحبل القنوع، ووضعتها في منجنيق الصدق، ورميت بها في بحر الإياس واسترحت.

وقيل له: وبم بلغت إلى ما بلغت؟.

قال: بأشياء: اتخذت الله سبحانه معلمًا، فقلت: إن لم يكفك ربك لم يكفك أحد غيره في السماوات والأرضين، وشغلت لساني بذكره وبدني بخدمته كلما أعيت جارحة رجعت إلى الأخرى، ثم قيل: أبو يزيد أبو يزيد.

---

(1) جيحون، وهو بالفتح، اسم اعجمي، وقد تعسف بعضهم فقال هو من جاحه إذا استأصله، ومنه الخطوب الجوائح، وأصله بالفارسية هارون، وهو اسم وادي خراسان، وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ. وانظر: معجم البلدان (2/ 196).

(2) نقلاً عن النور (ص41).

وقيل له: بم يصل العبد إلى الله تعالى؟

قال: بالخرس والصمم والعمى.

وقيل له أيضًا: بم نلت ما نلت؟

قال: انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها.

وقيل له: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟

قال: ببطن جائع وبدن عارٍ.

قال عمي موسى بن عيسى، سمعت أبي يقول:

سمعت أبا يزيد يقول: ورد علي رجل من أرباب الحال، فقال:

يا أبا يزيد بماذا وجدت هذه المنزلة؟ فقال أبو يزيد: دع عنك وجود المنزلة، ولكني أكرمني الحق سبحانه بثمانية كرامات، ثم بعدها ناداني أبا يزيد.

أولها: رأيت نفسي متأخرة ورأيت الخلق قد سبقوني.

والثانية: رضيت بأن أحرق بالنار بدل خلقه شفقة عليهم.

والثالثة: قصدي إدخال الفرح في قلب مؤمن.

والرابعة: لم أمسك شيئًا قط لغد.

والخامسة: أردت رحمة الله بالناس أكثر مما أردتها لنفسي.

والسادسة: بذلت جهدي في إدخال السرور على المؤمن، وإخراج الغم من قلبه.

والسابعة: ابتدأت بالسلام على من لقيني من المؤمنين من شفقتي عليهم.

والثامنة: قلت: لو غفر الله لي يوم القيامة وأذن لي بالشفاعة لشفعت أولاً فيمن آذاني وجفاني، ثم فيمن برني وأكرمني(1).

وقيل لأبي يزيد: بم بلغت ما بلغت؟.

قال: أحببت الله حتى أبغضت نفسي، وتركت مادون الله حتى وصلت إلى الله تعالى، واخترت الخالق على المخلوقين فشغل بخدمتي كل مخلوق.

وحكى الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله عن الجنيد قدس الله روحه، أنه قال: كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا(2).

---

(1) نقلاً عن النور (ص 26).

(2) أي ساروا سيراً حسناً في سرعة وهو كناية عن لزوم الأدب في حضرة سيدي أبي يزيد ﷺ.

قال أبو الحسين: فمثل هذا إذا حكي عنه لا يوافق ما يحكيه الجهال عنه من العبارات.

وكان أبو يزيد يقول: يا ربِّ هذا فرحي بك، وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتك. يا رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك.

وكان يقول: طوبى لمن كان همه همًا واحدًا ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه، وسمعت أذناه، ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه.

وقال: إذا وقفت بين يدي الله فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنار بين يديه.

وقال قدس الله روحه: ما من عبد اصطنعه الله لنفسه وشغله بذكره وحماه عن مخالفته. وجعل له محادثة بقلبه إلا سلط عليه فرعونًا على كل حال ينكر عليه ويؤذيه[1].

وقال أبو يزيد لأمه: قولي لي ما تقدم من حالي، وما جرى عليّ من قبل بحيث لم أكن أعلمه أنا، فإني لا أجد أحيانًا حلاوة العبادة[2].

فقالت له: فكرت فيما قلت، وفتشت عنه فلم أعلم غير أنك كنت تبكي مرة، فدخلت إلى بعض الجيران، فألعقتك إصبعًا من كامخهم[3] فاجتهد في إصلاح ذلك.

وسُئل متى يكون الرجل عاملاً على معنى العبودية؟ فقال: إذا لم يكن له إرادة، فقيل له: وكيف يكون ذلك، قال: تكون إرادته وتمنيه وشهوته داخلة في محبة ربه، ولا تتقدم له إرادة في شيء أبدا حتى يعلم إرادة الله ﷻ ومحبته فيه.

قال: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعات، وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى هذا الشأن فهو مُدَّعٍ.

وفي رواية للبيهقي في «شعب الإيمان» (4/ 377) قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا سعيد محمد بن محمش يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: من أحسن ما بلغني عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يقول: «من ترك طلب العلم وقراءة القرآن، والتقشف، ولزوم الطاعات، وحضور الجنائز، وادعى هذا الشأن فهو مدع».

وقال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول: مجرى طريق العبودية لله تعالى ومنازلها

(1) نقلاً عن النور (ص27).

(2) نقلاً عن النور (ص28).

(3) الكامخ هو ما يؤتدم به (معرب).

على ثلاثة أوجه: عام، وخاص، وخاص الخاص، فأما حفظ مجرى عبوديته العام فعلى خمسة أوجه:

الأول: عبدٌ وذنب مريب غير تائب، قد غرَّته الدنيا فاغتر بها ونسي الآخرة ورضي بحطام الدنيا، فهذا عبد مسيء لا يخاف من الله هارب من ربه لا يعرف حق ربه ولا يحفظ حرمته، فهذا مسيء لا يخاف من الله ولا يحذر الوعد والوعيد، فإن تاب، تاب الله عليه، وإن مات على غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فهو عدل منه.

والثاني: عبد مرائي بعمله يريد محمدة الناس وحسن الثناء عليه، يجتهد في العبادة والخدمة لله ﷻ، ويريد بها العز عند الناس والشرف والذكر في الآفاق قد رضي من الآخرة بالدنيا، ومن الدنيا بثناء الناس فهذا عبد خاسر غافل.

والثالث: عبد مطيع لله تعالى في تأدية حقه سامع له مؤد لفرائضه مجتنب المعاصي كلها متباعد عن الآثام متابع لأمر الله ﷻمقيد بسنة رسول الله ﷺ، فهذا ناصح لله ولرسوله ولنفسه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وهو محمود عند الله وعند عباده قائم على حفظ العبودية مستقيم عليها.

والرابع: عبد راغب في أعمال البر مقبل على إقامة التطوع بعد أداء الفرائض، كثير النوافل، طالب للخيرات بائع دنياه بآخرته جعل أيامه في طاعة الله تعالى، فهذا عامل لله تعالى، طالب للثواب ملتمس رضا ربه، راغب فيما عند الله تعالى، تابع لأنبيائه ورسله فطوبى له.

والخامس: عبد مجتهد في ارتياد مرضاة الله تعالى مؤدب لنفسه قائم عليها باستخراج العيوب منها محارب لعدوه، صاحب اجتهاد وسهر وتفزع مخالفًا لنفسه غير متبع هواها، زاهد في دأبها يروم كسرها بحملها على المحجة الواضحة، فمرة يقوم ومرة يسقط فهو مع المحاربة مع العدوة إلى أن ينصره الله عليها، فهذا عبد صاحب صلاح، وهو العبد الصالح يحفظ حق عبودية معبوده.

وأما مجرى الخاص وخاص الخاص، فعلى خمسة أوجه:

عبدٌ تائب إلى ربه نادم على ما ضيع من أمر ربه مقبل إليه بقلبه هارب من الخلق إليه، وعبد خائف قد عرف الوعد والوعيد راج راغب راهب، وعبد كريم على ربه صادق مستقيم شاكر لآلاء الله راض بقضائه متنعم به، وعبد زاهد في كل ما شغله عن ربه ﷻقد ولى وجهه عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، واستأثر بذكر مولاه عن سائر خلقه، وعبد مفوض أمره إلى الله

ﷺ قانع بعطيته شاكر قلبه إليه راكن إلى ما عنده منيب إليه يريد الأنس، والزلفة لديه لا يريد من الدنيا والآخرة غيره(1).

وقال أبو موسى الديلي: قلت لأبي يزيد قدس الله روحه: لو قال الله تعالى لك يوم القيامة: عبدي هل سجدت لي قط، فما أنت قائل؟.

قال: كنت أقول كنت إذا سألت عنك أجيب منك، وإذا سألتني عني أجيك.

وكان مشايخ ناحية بسطام من أصحاب أبي يزيد يحدثون عنه، أنه قال: كان ابتداء أمري أن أقامني الحق تعالى على أبواب العلماء وصحبة المتعلمين دهرًا طويلاً، فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسي تحدثني: إنك قد علمت وعرفت والعارف والعالم في أعلى المراتب، فأشرف بي الحق تعالى حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين، فلم أر لنفسي معهم موضع قدم، فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق، فقلت: العلم والمعرفة من غير حقيقة حجة، وكان عندي أن الحقيقة في العلم والاجتهاد، فأقامني الحق تعالى مع المصلين في الجماعة والمحاريب دهرًا طويلا حتى لم يكن يفوتني مع الإمام التكبيرة الأولى فأشرف بي الحق تعالى حتى أراني ازدحام المصلين الراكعين الساجدين على الباب، فلم أر لنفسي موضع قدم معهم فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى، فأقامني مع الصائمين دهرًا طويلاً، ثم أشرف ازدحام الملبين المُحرمين العجّاجين الثجّاجين من كل فج عميق قاصدين إليه، فلم أر لنفسي معهم موضع قدم فتلاشيت وانصرفت، ولم أصل إلى الحق، فأقامني مع المجاهدين أضرب معهم بالسيف في وجوه أعدائه دهرًا طويلاً، ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام المجاهدين القاتلين أعداءه المقتولين المزملين بكلومهم ودماءهم بين يديه فلم أر لنفسي معهم موضع قدم فتلاشيت وانصرفت، ولم أصل إلى الحق، فقلت: إلهي ارحمني وارحم حيرتي وأقم بعبدك مقامًا أتقرب إليك لا ينافسني فيه منافس، ولا يزاحمني فيه مزاحم فلقد أشرفت بي على من سبقوني إليك، ورأيتني لا أطيق اللحوق بهم، فناداني الحق يا أبا يزيد إنه لا يتقرب إلي متقرب بمثل ما يأتيني بما ليس لي، فقلت: إلهي وما الذي ليس لك فقال: يا أبا يزيد ليس لي فاقة ولا فقر فمن ابتغى لدي الوسيلة بهما قربته من بساطي قلت: إلهي أشرف بي على ذوي الفقر والفاقة، فإذا بهم شرذمة قليلون لا أرى هناك ازدحام ولا تنافس ولا أرى لهم على الباب جلبة ولا صياحًا، فعاهدته أن لا أوثر على الفقر والفاقة شيئًا فها أنا معه على العهد

(1) النور (ص59،58).

فليس من ساعة إلا وتأتيني الكرامة الجديدة، فقلت: إلهي هذا شيء خصصتني به من خلقك.

قال: هذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليها وأنس بها.

وقال: من لزم العبودية لزمه اثنان: أن يأخذه الخوف من ذنبه، ويفارقه العُجب من عمله.

جنة

قال ﷺ: الجنة جنتان: جنة النعيم، وجنة المعرفة، فجنة المعرفة أبدية، وجنة النعيم مؤقتة.

حج

وقال قدس الله روحه: خرجت أول مرة إلى الحج، فغلبني الزحام وخرجت الثانية، فغلبني البيت وخرجت الثالثة، فنوديت في بعض المتاهات إلى أين يا أبا يزيد؟ قلت: إلى الحج.

قال: كم معك من الدراهم؟.

قلت: معي مائتا درهم، فقال: طف بي سبع مرات حولي وناولني المائتين فإن لي عيالاً فطفت حوله وناولته المائتين.

وقال: إن أهل الحج يطوفون حول البيت يطلبون اللقاء، وأهل المحبة يطوفون حول العرش يطلبون اللقاء.

طاعة

وقال إبراهيم المروي -رحمه الله تعالى-: قال أبو يزيد: خصصت رجالا وأكرمتهم فأطاعوا فيها أمرتهم، ولم يبلغوا ذلك إلا بك، وكانت رحمتك إياهم قبل طاعتهم لك، جل جلالك ما أعظم شأنك.

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله روحه: يا من باع كل شيء بلا شيء، ويا أيها من اشترى لا شيء بكل شيء، إن في طاعاتك من الآفات ما يشغلك عن السيئات[1].

وقال أبو يزيد: إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون إلى أن يطلبوا في المعاصي.

أُنس

قال: أحببت الله حتى بغضت نفسي وأبغضت الدنيا حتى أحببت الله، وتركت ما دون

---

(1) نقلاً عن النور (ص67).

الله حتى وصلت إلى الله، واخترت الخالق على المخلوقين حتى آنست به.

قال أبو يزيد: خرجت إلى الحج فرأيت في الطريق أسدًا، فقال لي: يا أبا يزيد إلى أين؟ فقلت: إلى مكة، فقال: إن الذي تطلبه بمكة تركته ببسطام، وأنت لا تدري، تطلبه وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

قال: من اختار الدنيا على الآخرة يغلب جهله على علمه، وفضوله ذكره ومعصيته طاعته، ومن اختار الآخرة على الدنيا يغلب سكوته كلامه، وفقره غناه، وهمه سروره[1]، ومن اختار رضا المولى على الدارين تصير نفسه مقيده بقيد الخلعة، وقلبه أسير الخوف من الفرقة، وسره مستأنسًا بأنس الصحبة.

وقال: إذا سكت العارف يريد ألا ينطق إلا عند معروفه، وأغمض يريد ألا يفتح إلا عند لقائه، وإذا وضع رأسه على ركبته يريد ألا يرفع إلى أن ينفخ في الصور من شدة الأنس به.

وقال: بلغني أن الله تعالى يقول: من أتاني منقطعًا إليّ جعلت له حياة لا موت فيها، ومن أتاني منقطعًا إليّ جعلت له مُلكًا لا يزول، ومن أتاني منقطعًا إلي جعلت إرادتي في إرادته.

وقال: أولياء الله مخدرون مع الله في حجاب الأنس به لا يراهم أحد في الدنيا والآخرة إلا من كان محرمًا لهم وأما غيرهم فلا.

خشوع

قال أبو موسى: كان أبو يزيد يوم الجمعة بحذاء المنبر، وقد صعد الخطيب المنبر، وهو يخطب فلما بلغ هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:91]، فلما سمعها أبو يزيد طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر.

أحدية

وقال رجل لأبي يزيد: احسبْ لي، فألقى عليه، وقال: كم معك؟

قال: واحد فألقى مرارًا، فقال: واحد. فقال: الرجل: إيش تقول؟ فقال: لا أعلم سوى الواحد، والجميع يخرج من الواحد، والواحد لا يخرج من الجميع، لأن الحساب لا يتم إلا بالواحد، إذا تم ألف ونقص منه واحد سقط اسم الألف من الألف.

شفقة

بكى صبي مجوسي في جواره ليلة من الليالي، ولم يكن لهم سراج فوضع أبو يزيد

---

(1) زاد في النور (ص58): وقلبه محبته، وسره قربه.

السراج في كوخهم حتى سكت صبيهم بضوء السراج برًا وشفقة، فقالت أم الصبي لأبيه لما حضر، وكان غائبًا حين بكائه: ألا ترى إلى شفقة ابن عيسى بن سروشان قد فعل مثل هذا فعجب من شفقته عليهم، ودعت بركة شفقته عليهم أن أسلموا عن آخرهم.

أُخوة

كان في جوار أبي يزيد فقيه يحسده على ما كان يجري الله على يديه، فتقدم إلى أبي يزيد رجل، وقال له: إذا تَبَصَّرَ بنا هذا الفقيه يقول لنا: لا تشتغلوا بما لا يعنيكم، ألا تتعلمون ما ينفعكم؟ ما هذا الذي يحملكم على خدمة هذا المهووس الذي لا يحسن أن يتطهر، فقال أبو يزيد قولوا له: عليك بنفسك، فالزم دينك أن ترك عليك فإني لا آمن عليك أن تموت حين تموت مسلمًا، فأخبر الفقيه بذلك فأغاظه ذلك، فَقُضِيَ أن الفقيه مرض، فأوصى أن لا يدفن في مقابر المسلمين، فإنه كان على دين النصارى فلما مات اختلفوا فيه فحمل إلى مقابر النصارى.

وكان أبو يزيد بعد ذلك يقول: ما شيء بأعون على أحدكم من تعظيمه لأخيه المسلم وحفظ حرمته ولا شيء أضر بكم في دينكم من تهاونكم بإخوانكم وتضييع حقوقهم[1].

وقال: أقرب الناس من الله أكثرهم شفقة على خلقه.

صحبة

وقيل لأبي يزيد: من تأمرنا أن نصحب؟ فقال: من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك[2].

وقال: لذّات الدنيا ثلاث:

1 – صديق واد.

2 – وصحبة ملك جواد.

3 – ومجالسة مفيد ومفاد[3].

وسأله رجل: من أصحب؟ فقال: من لا تحتاج أن تكتمه شيئًا مما علمه الله منك.

رضا

وقال: أليس الله يعطي الجنة برضاه، فإن أعطى عبدًا من عباده رضاه ما يرجو بقصور

---

(1) نقلاً عن النور (ص53).

(2) نقلاً عن النور (ص48).

(3) في النور (ص76).

الجنة.

يحكى أنه قال: شكوتك إلى ما في يديك دليل على قلة ثقتك بالله ورجوعك في حال الشدة إلى المخلوقين دليل على أنك لا تعرف الله، وفرحك بشيء تناله من الدنيا دليل على بعدك من الله. وقد قيل أن هذا من كلام أبي يزيد البسطامي أو أحد نظرائه والله أعلم[1].

صبر

وجاء رجلٌ إلى أبي يزيد، فقال له: أريد أن أجلس من مسجدك الذي أنت فيه، فقال: لا تطيق ذلك، فقال: إن رأيت أن توسع لي في ذلك، فأذن له فجلس يومه فلم يطعم وصبر، فلما كان اليوم الثاني، قال: يا أستاذ لا بدّ مما لا بدّ منه.

قال: يا غلام لا بدّ من الله تعالى.

قال: يا أستاذ أريد شيئًا يقيم صلبي في طاعة الله؟.

قال: يا غلام إن الأجسام لا تقوم إلا بالله.

وقت

وقال: كنت قاعدًا يومًا من الأيام فخطر لي أني شيخ الوقت، فخرجت إلى طريق خراسان، وآليت على نفسي أن لا أقوم حتى يوجه إلي الحق من يعرفني نفسي، فبقيت ثلاثة أيام بلياليها قاعدًا، فلما كان اليوم الرابع أشرف علي رجل أعور على راحلة، فشهدت فيه حالاً، فأخرجت يدي، وأومأت إلى الجمل فغاص برجله في الأرض اليابسة، فنظر إلي، وقال: تلجئني أن أفتح عيني المغلقة، فأغرق بسطام وأهلها وأبو يزيد فيهم، ثم التفت إلي فغشي علي، فقلت: من أين أقبلت؟.

قال: من الوقت الذي عقدت بينك وبين الحق، وقد جئتك من ثلاثة آلاف فرسخ، ثم قال: يا أبا يزيد احفظ قلبك وحول وجهه عني ومر[2].

وقال: رأيت الحور في النوم، فنظرت إليهن وقد سلب وقتي، ثم رأيتهن فأعرضت عنهن، فأنعم علي بوقتي.

وقال: دخلت على أستاذي أبي علي السندي وبيده جراب فصبّها، فإذا هي جواهر، قلت: من أين هذا؟ قال: وافيت واديًا، فإذا هو يضيء كالسراج فملأته منه، قلت: كيف كان

---

(1) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (1/ 50).

(2) سبل الهدى والرشاد - (10 / 374).

وقتك الذي وردت فيه الوادي؟ قال: الفترة عن الحال الذي كنت فيها.

حجاب

وكان رجلٌ من أهل بسطام لا ينقطع عن أبي يزيد ولا يفارقه، فقال له ذات يوم:

يا أستاذ، أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل، وقد تركت الشهوات، ولست أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئًا، وأنا أؤمن بكل شيء تقول وأصدق به، فقال له أبو يزيد: لو صمتُ ثلاثمائة سنة، وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك، لا تجد من هذا العلم ذرة.

قال: ولم يا أستاذ؟

قال أبو يزيد: لأنك محجوب بنفسك.

قال له: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب؟.

وقال: نعم، ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

قال: بلى أقبل وأعمل ما تقول، فقال له أبو يزيد:

اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك، وانزع عنك هذا اللباس، واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزًا واجمع حولك صبيانًا، وقل بأعلى صوتك: يا صبيان من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل إلى سوقك الذي تعظم فيه وينظر إليك كل من عرفك على هذه الحالة، فقال: يا أبا يزيد سبحان الله، تقول لي مثل ذلك، ويحسن أن أفعل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك سبحان الله شرك.

قال: وكيف؟ فقال أبو يزيد: لأنك عظمت نفسك فسبحتها[1].

فقال: يا أبا يزيد هذا لست أقدر عليه ولا أفعله، ولكن دلني على غير هذا أفعله، قال له أبو يزيد: أبدًا، فهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك، ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك، فقال: لا أطيق هذا.

قال قلت لك: إنك لا تقبل[2].

وفي رواية أخرى: صحبه رجل من الشهود ثلاثين سنة مع الصيام أيامها وقيام لياليها،

(1) وهنا من دقيق نظر سيدي أبي يزيد ومعرفته التامة بأغوار النفوس، فإن الرجل لم يقبل سبحان الله إلا من حيث تعظيم نفسه عن الافتضاح ورفض التربية التي تزيل عن نفسه استعظام قدرها.

(2) روضة الحبور، والنور (ص46).

فقال له: يا سيدي، خدمتك وأطعتك ولم يظهر لي شيء مما يودع الحق قلوبكم. قال: يا ولدي، لو صمت وقمت ثلاثمائة سنة ما تجد منها ذرة؛ لأنك محجوب بنفسك منقطع برؤيتك طاعتك. فقال: ألا تدلني على دواء؟ قال: اذهب فاحلق لحيتك وانزع لباسك، وعلق بعنقك مخلاة فيها جوز، وقل للصبيان: من صفعني صفعة أعطيته جوزة، ثم دار الأسواق كذلك عند من يعرفك، فقال: سبحان الله! لمثلي يقال هذا؟ قال: قولك في معارضة ذلك شِرك؛ لأنك رأيت عظمة نفسك فسبحتها فقال: دلني على غير ذلك؟ قال: لا دواء لك غيره.

قال قاسم الحداد: خرج أبو يزيد البسطامي في بعض سياحته فوقف على دجلة فالتقى به الشيطان فحول وجهه، ثم قال: وعزتك إنك تعلم أني ما عبدتك قط لهذا، فلا تحجبني به عنك.

وقال: إن لله خواصًا من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار للخروج من النار.

وفي رواية: لله عباد لو حجبهم عنه طرفة عين، ثم أعطوا الجنان ما قبلوها[1].

عطاء

قال أبو الحسن النوري دخلنا على أبي يزيد البسطامي فوجدنا لديه رطبًا فقال: كلوه، فإنه هدية الخضر جاء بها من عند رسول الله ﷺ وأنا ما طلبتها إلا من الله تعالى ما طلبتها بواسطة الخضر: أكلها على يدي الخضر، ثم دخلنا عليه في الجمعة الثانية، فوجدنا بين يديه رطبًا في طبق ذهب أحمر، فقلنا: ما تطعمنا منه! فقال: لا هي لي، ولا لكم، فقلنا: كيف حديثها، فقال: كنت قاعدًا بالليل أتلو القرآن، فسمعت: خذ الهدية منا لا واسطة بيننا، واعلم أيها الغافل المحجوب عن لذة المعرفة أن أحباب الله يتدللون عليه كما يتدلل المعشوق على عاشقه[2].

وقال: لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذللة المروضة.

-امتحنت بعرض العطايا، عطايا الدنيوية، فأعرضت عنها، ثم عرضوا عليّ عطايا الأخروية، فمالت نفسي إليها، ثم نبهني لها أنها خدعة، فأعرضت عنها، فلما رآني لا أنخدع؛ لأنها من الكونية، فتح لي عطاياه الإلهية.

(1) انظر: بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص 359)، بتحقيقنا، ومجموع فتاوى ابن تيمية (3 / 183).

(2) انظر: سر العالمين وكشف ما في الدارين (ص30).

خلوة

كان أبو يزيد إذا أراد الخلوة دخل بيتًا، وجعل يحشو ثقب البيت كلها لئلا يدخل فيه صوت، ويقول: هذا مشغل عن ربي.

وقال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول: طلبت قلبي ليلة من الليالي، فلم أجده فلما كان في السحر سمعت قائلاً يقول: يا أبا يزيد هو ذا، تطلب غيرنا؟

- اعلم أن فائدة المخلوقين ليست بفائدة.

- الناس بحر عميق، والبعد منهم سفينة، وقد نصحتك، فاحفظ لنفسك السكينة.

إسلام

بلغ أبا يزيد رحمه الله أن جاره المجوسي قد مرض فدخل عليه عائدًا، فكلما بصر المجوسي أبا يزيد أزال رأسه عن فراشه ووضع خده على التراب تعظيمًا وإجلالاً لأبي يزيد.

فلبث ساعة، ثم قام منصرفًا، فلما بلغ وسط الدار رفع أبو يزيد طرفه إلى السماء كأنه سأل فيه ربه ، فلما بلغ الدهليز إذا ببعض أولاد المجوسي جاء على أثر أبي يزيد، وقال: إن أبي يقول: بحق الله عليك إلا رجعت إليه فرجع، فقال: يا أبا يزيد اعرض علي الإسلام فأعرض عليه فأسلم وقضى المجوسي مكانه، فقام أبو يزيد وأمر بدفنه[1].

قيل لمجوسي في أيام أبي يزيد: أسلم؟ فقال مجيبًا لهم: إن كان استعمال الإسلام كما يستعمل أبو يزيد فلست أطيقه، وإن كان كما تستعملونه فلست أشتهيه.

زيارة

قال أبو يزيد: من الناس من يزورني فيرجع عني وهو في رحمة الله، ومنهم من يزورني فيرجع عني وهو في لعنة الله، فقيل له: وكيف ذلك؟.

قال: ربما يزورني الإنسان فيكون علي غلبة الحق فيرجع عني فيعذرني، فيرجع عني وهو في رحمة الله، ومنهم من يزورني فيرى علي غلبة حال فيقع في فيتقلب عني وهو في لعنة الله.

وحُكي أنه قصد في بدء أمره زيارة رجل من القوم ومشي مسيرة سبعمائة فرسخ، فلما رآه وجده سمينًا فندم على القدوم عليه، فتوسم الرجل في ذلك، فقال له: يا أبا يزيد لا تفسد مسيرك إلى سبعمائة فرسخ، فإن من فرحي به سمنتي.

---

(1) مثله في النور (ص51).

وقال: أهل الجنة يتزاورون، فإذا رجعوا من الزيارة عرض عليهم صور فمن اختار منهم صورة لم يرد إلى الزيارة.

سفر

وقيل له: أيصل العبد في ساعة واحدة إليه؟ قال: نعم ولكن يرد بالفائدة والربح على قدر السفر[1].

قال ابن الأنباري: أراد صاحب لنا أن يسافر، فقال لأبي يزيد: أوصني بوصية؟ فقال: أوصيك بثلاث: إذا صاحبك سيء الخلق، فأدخل سوء خلقه في حسن خلقك حتى يهنيك العيش، وإذا أنعم عليك منعم بنعمة فاشكر الله بدءًا، فإنه هو أعطف القلوب عليك، وإذا بدا عليك شيء من بلاء الله فأسرع بالاستقالة منه.

وقال له رجل: إن المريدين ليسوا يسكنون من السياحة والطلب، فما لك لا تسافر؟ فقال: صاحبي لا يسافر، وأنا معه لا أسافر، فقال له السائل: إن الماء المقيم يتغير، والوضوء منه والغسل مكروه، فقال أبو يزيد: لم يروا بماء البحر بأسًا، وإن كان متغيرًا، وقد قال النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه، والحل ميتته»[2]، ثم قال أبو يزيد: أما ترى الأنهار تجري ولها دويها وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها ودويّها ولم يحس بها البحر، ولا زادت فيه، ولا إن خرجت يتأثر بها، ثم قال: مثلك في الرجال كمثل السيل والبحر لأن السيل مادام وحده يتهادى في جريه، ويخرر في صوته، فإذا دنا من البحر وامتزج به يسكت فورته وخريره، فلا يحس به البحر ولا زاد فيه ولا نقص إذا استدبر عنه[3].

استغفار

وذكر أن قاضيا جاء إلى أبي يزيد البسطامي يومًا فقال: نحن نعرف ما تعرفه؛ ولكن لا نجد تأثيره فقال أبو يزيد: خذ مقدارًا من الجوز وعلق وعاءه في عنقك، ثم ناد في البلد: كل من يلطمني أدفع له جوزة حتى لا تبقى منه شيئًا، فإذا فعلت ذلك تجد التأثير، فاستغفر القاضي فقال أبو يزيد: قد أذنبت لأني أذكر ما يخلصك من كبر نفسك، وأنت تستغفر من

---

(1) في النور (ص101).

(2) رواه أبو داود (83)، والترمذي (69)، والنسائي (59)، وابن ماجه (386)، ومالك في الموطأ (1/ 22)، والشافعي (1/ 23 ترتيب المسند).

(3) في النور (ص87).

ذلك لكمال كبرك[1].

توبة

وقال السلمي: قال أحمد بن خضرويه لأبي يزيد قدس الله أرواحهم: إني لا أصل إلى التوبة! فقال أبو يزيد: العزة لله وأنت تطلب العزة.

توكل

وقال أبو موسى الديبلي: قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك، فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ثم وقع لك تميز عليهم خرجت من جملة المتوكلين.

وقال أبو موسى الديبلي: سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل؟ فقال: لو أدخلت يديك في فم التنين حتى تبلغ الرسغ لا تخاف مع الله غيره، قال: فخرجت إلى أبي يزيد لأسأله عن التوكل فدفعت الباب، فقال: أليس لك في قول عبد الرحمن كفاية! فقلت: افتح الباب؟ فقال: إنك ما جئتني زائرًا قد أتاك الجواب من وراء الباب، ولم يفتح لي، فمضيت ولبثت سنة، ثم قصدته، فقال: مرحبًا جئتني الآن زائرًا، وبقيت عنده شهرًا فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا أخبرني به وعند وداعه قلت له: أفدني فائدة أخرج بها من عندك، فقال: حدثتني أمي أنها كانت حاملة بي فكان إذا قدم إليها الطعام من حلال امتدت يدها إليه، وإذا كان شبهة انقبضت يدها عنه.

وقال أبو يزيد: حسبك من التوكل ألا ترى لنفسك ناصرًا غيره ولا لرزقك خازنًا غيره، ولا لعملك شاهدًا غيره[2].

وسئل من أين تأكل؟ فقال: مولاي يطعم الكلب والخنزير، أفترى أنه لا يطعم أبا يزيد؟

طريق

قال: «السالك مردود، والطريق مسدود».

عقّب الشيخ الباني الكردي بقوله: فإن السلوك والطلب بمعنى واحد، فصار مآل قول

---

(1) تفسير حقي (4/ 112).

(2) في النور (ص108).

الرسول ﷺ: إلى أن الطالب واجد لله.

ومآل قول أبي يزيد: إلى أن الطالب غير واجد له، وهما متناقضان ظاهر لكن المراد في الأول الطلب بالله، وفي الثاني الطلب بالنفس فلا تناقض؛ لأن شرطه اتفاق القضيتين في الوحدات الثمانية وهنا ليس كذلك فتأمل.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون المصري يقول لبعض من أراد أن يزور أبا يزيد قل لأبي يزيد: إلى متى هذه الراحة والنوم وقد جازت القافلة؟.

قال: فخرج الرجل قاصدًا إلى أبي يزيد وسلّم عليه.

وقال له: ذو النون يقرئك السلام، ويقول لك: إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة!.

فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: إن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله، فإذا أصبح آمنًا في المنزل قبل نزول القافلة.

قال: فرجع الرجل إلى ذي النون وأخبره، فقال: هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئًا له[1].

وعقب ابن الأطعاني بقوله: اعلم أن هذا المنزل عالٍ شريف فيه أسرار عجيبة ومعانٍ لطيفة والقائم به هو الإمام الأكمل.

واعلم أيضًا: أن سلوك أهل طريق الحق على طريقين:

طريق يسلكونها بأنفسهم، وهو قوله: «من عرف نفسه عرف ربه[2]».

وطريق يسلك بهم عليها، وهذه حالة المريدين المنقطعين، والأولى حالة المريدين والمتقطعين، ومع هذا فكلا الفريقين سالك، وإن سُلِكَ به، ومثالها في السفر الحسي سلوك المشاة في قطع المسافات وسلوك راكبي البحر، ولهذا شبه بعضهم سير العمر بالإنسان براكب البحر.

---

(1) نقلاً عن النور (ص37).

(2) أورده القاري في المصنوع (ص189)، والعجلوني في كشف الخفاء (2/ 343)، وقال: النووي: ليس بثابت وقال ابن السمعاني في القراطع: إنه لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله، وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي كلامه: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقنه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين ابن عربي وغيره قال: وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محيي الدين ابن عربي معهود من الحفاظ، وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيي الدين قال: هذا الحديث وإلا لم يصح بطريق الرواية فقد صح عندنا بطريق الكشف، وللسيوطي فيه تأليف لطيف سماه القول الأشبه قلت: وكذلك للشيخ الجيلي.

وقال بعضهم: رأيت أبا يزيد في المنام فقلت له: عظني! فقال:

الـنَّاسُ بَحْـرٌ عَمِيـقٌ   وَالْبُعْدُ عَنْهُمْ سَفِينَةْ

وَقَدْ نَصَحْتُكَ فَانْظُرْ   لِنَفْسِكَ الْمِسْكِينَةْ

قال ابن الأطعاني: وقال قائلهم:

فسيرك يا هذا كسير سفينة   بقوم قعود والقلاع تطير

وقال: الخلق يظنون أن الطريق إلى الله تعالى أشهر من الشمس وأبين منها، وإنما سؤالي منه أن يفتح علي من الطريق إليه ولو بمقدار رأس إبرة.

قال ﷺ: خرجت ذات ليلة من بسطام، وكنت صبيًا، وقد أضاء القمر وسكن كل شيء، فرأيت حضرة، كانت العوالم الثمانية عشر ألفًا إلى جانبها كالذرة، فاضطربت واعترتني دهشة عظيمة، وصحت: يا رب ساحة خالية مع هذا العظم، وملك موحش مع هذا الجلال، وإذا بهاتف من السماء يقول: ليس خلو الساحة من انعدام اللاجئين؛ بل لأننا غير ذلك شئنا، فإنه ليس كل من عفَّر وجهه أهلاً للدخول إلى هذه الساحة.

وصل

رأيت الله في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ قال: إذا انقطعت عن نفسك وصلت.

محاسبة

قال الجنيد بن محمد قدس الله روحه: حكى لي أبو موسى بن عيسى بن آدم البسطامي ابن أخي أبي يزيد طيفور بن عيسى: أن بدء أبا يزيد وتوبته من رحم أمه وصلب أبيه أنه كان صبيًا أقل من عشر سنين إذ نبهه الله لأمره وألهمه حكمة العمل فائدة من عنده من غير تعليم، فقال أيامًا لوالدته: يا والدتي أقسم عليك هل تناولت شيئًا من الحرام بسببي أيام كنت ترضعيني، فإني لا آمن أن يكون قد وصل إلى قلبي شيء من ذلك وأنا لا أعلم فيحجبني ذلك عن ربي، فقالت له أمه: لا أذكر إلا أني دخلت يومًا إلى بعض جيراننا وأنت في حجري فأخذت قارورة دهنهم فلطخت رأسك ولم أعلمهم، ويومًا آخر كحلتك بكحلهم ولم أستأذنهم، فقال أبو يزيد: إن الله تعالى يحاسب عباده على مثقال ذرة، ثم قال: ألا ترين إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8 – 7]، وهذا أعظم من ذرة فأخشى أن يقطعني عن ربي، ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم فاستحل منهم لنفسه ولأمه.

وقال: الناس كلهم يهربون من الحساب، ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله أن يحاسبني! فقيل: لمَ، قال: لعله يقول لي، فيما بين ذلك؛ يا عبدي!، فأقول: لبَّيك! فقوله لي: يا عبدي!. أحب إليّ من الدنيا وما فيها؛ ثم يفعل بي ما يشاء .

عقب الشيخ حقي بقوله: فعلى العاقل تحصيل العبودية وتكميلها كي يليق بخطاب الله تعالى ويكون من أهل الحرمة عند الله تعالى، ألا ترى أن من خدم ملكًا من الملوك يستحق الكرامة ويصير محترمًا عنده، وهو مخلوق، فكيف خدمة الخالق[1].

فقر

وقال أبو تراب: سألته عن الفقير، هل له وصف؟ فقال: نعم! لا يملك شيئًا، ولا يملكه شيء .

بدايات ونهايات

قال أبو يزيد : آخر نهايات الصديقين أول أحوال الأنبياء، وليس لنهاية الأنبياء غاية تدرك. التعرف للكلاباذي(ص69).

وقال: غلطت في بدايتي أني توهمت أربعة: أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما نظرت رأيت ذكره لي ومعرفته بي وحبه لي وطلبه إياي كان أولاً حتى طلبته.

وقال: كنت في حالة توهمت أني وصلت إلى غاية الوصال ففاجأني شيخ وقال: يا أبا يزيد، نهايتك بداية القوم.

وصية

أوصى إلى أبي موسى خادمه، فقال: أوصيك بإقبالك على ربك أيام حياتك بكليتك، ولا تولّ وجهك عنه إلى وقت، فإن ناصيتك بيده وإنه لا بد لك من لقائه والوقوف بين يديه، وأنت مسئول عن جميع أعمالك فشمر لذلك، واستعد لمعادك، واعقل عن ربك، وانتبه عن رقدة الغفلة، وتيقظ من نومة الغافلين، وألق كنفك بين يدي السيد الأكبر كل صباح ومساء، والزم ذكره، واحفظ حرمته، وأحسن به الظن، ولا تؤثر أحدًا عليه، واصبر على ما أصابك من البلاء، وارض بحكم الله والقضاء والقدر، وبحسن اختياره بعبده، واقنع بعطيته، وثق به وآمن لموعودهِ، وأيقن بوعده ووعيده، وتوكل على الحي الذي لا يموت واذكر الله، واستعن بالله

(1) تفسير حقي (12 / 254).

الكريم في كل أمورك، واحذر منه مادمت حيًا، واهرب من الخلق إليه. وفوض أمرك إليه[1].

وقال ﷺ: قل لأهل خراسان إن تقدروا أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه من الأول من الغنى، إن لم تكونوا، وإلا فكان هذا الصلاح نسيًا هبت عليكم.

غفلة

وقال: ربما أطلب لنفسي أشد عقوبات الله تعالى من سوء معاملتها إياي فأجيل فكري في عقوبات الله تعالى، فلا أجد شيئًا أشد من الغفلة، لأن الغفلة عن الله تعالى طرفة عين أشد من النار.

علل

وقال: أشد المحجوبين عن الله ثلاث:

1- الزاهد بزهده.

2- والعابد بعبادته.

3- والعالم بعلمه.

ثم قال: مسكين الزاهد قد تلبس بالزهد، وجرى في ميدان الزهاد، ولو علم قلة الدنيا وفي أي شيء زهد، وقد سماها الله قليلاً، فكم ملك من القليل، وفيم زهد مما ملك وكم مقدار ما زهد فيه، أين يقع زهده في الدنيا في الزاهدين، وإن الزاهد الذي يلحظ الله فيبقى عنده ولم يرجع بطرفه إلى غيره وإلى نفسه.

وأما العابد الذي يرى منة الله تعالى عليه في العبادة أكبر من العبادة حتى تغرق عبادته في المنة، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر من اللوح المحفوظ، فكم علم هذا العالم من ذلك العلم وبكم عمل فيما علم.

ثم قال: العالم الذي يكون علمه الذي يشتغل به لله يأخذه عنه إذا شاء متى شاء كيف شاء بلا تحفظ ولا كتب، وآخر محجوب بزهده، وآخر بعبادته، وآخر بعلمه، والجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة يسكنون إلى الجنة، وكل من سكن الجنة سواه فهو محجوب.

وقدم عليه رجل من الكبار فقال له يا أبا يزيد: أعطيت منك ملك الدارين؟.

قال: وأي شيء يكون، إنما هما دارا إبليس، فلما انصرف الرجل وجه أبو يزيد على أثره فرده، وقال له: إن كنت صادقًا فيما ادعيت، فادع كوكبًا من السماء، فبقي الرجل متحيرًا وقدم

(1) في النور (ص83).

عليه آخر فقال: يا أبا يزيد بلغت المبلغ.

قال: ما هو؟ قال: أعطاني أن أطير في الهواء إن شئت وأن أمشي على الماء إن شئت، وقال له: وأي شيء هذا؟ خلق من خلق الله لا يقع عليهم قيمة، يمشون على الماء وهم الحيتان، وخلق من خلق الله يطيرون في الهواء وهو الطيور، والعبد الجيد أن يلحظ بلحظه فيلحظ الممالك كلها في تلك اللحظة.

سر

وقدم عليه رجلان فقال أحدهما: يا أبا يزيد جئتك من وراء سبعة أبحر بأقل من ساعة نهاري، فنظر إليه شبه المغضب، وقال: ليس ذا بعجب إنما أعطيت قوة خطاف، وقال الآخر: جئتك من وراء المشرق بأقل من يوم، فقال: لا تخدعن فيما أعطيت، ثم قال: كم من خلق الله يمشي على الماء ويطير في الهواء، وليس لهم عند الله كبير مقدار، وليس ذلك بعجب إنما العجب أسرار قلوب أوليائه التي لم يطلع عليها أحد من الملائكة.

وقال: حركات الظواهر، تُوجب بركات السرائر.

تواضع

وسئل ﷺ متى يكون الرجل متواضعًا؟ فقال: إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالاً، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه.

كبر

قال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

وقال: أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم منه.

حال

وقال موسى بن عيسى البسطامي: سمعت أبي يقول: بينما أنا قاعد خلف أبي يزيد يومًا إذ شهق شهقة فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه وبين الله تعالى.

قلت: يا أبا يزيد رأيت عجبًا؟ فقال: يا مسكين وما ذلك العجب؟.

قلت: رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى وصلت إلى الله تعالى، فقال: يا مسكين إن الشهقة الجيدة هي إذا بدت لم يكن لها حجاب يخرق.

وحُكي عن يحيى بن معاذ أنه رآه في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزًا على صدور قدميه رافعًا أخمصها مع عقبيه عن الأرض ضاربًا بذقنه على

صدره شاخصًا بعينه لا يطرف.

قال: ثم سجد عند السَّحر فأطال، ثم قعد، فقال: اللهم إن قومًا طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء فَرَضُوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قومًا طلبوك فأعطيتهم المشي على الهواء فرضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قومًا طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبت لهم الأعيان فرضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، حتى عد نيفًا وعشرين مقامًا من كرامات الأولياء، ثم التفت فرآني، وقال: يحيى! قلت نعم يا سيدي:

قال: منذ متى أنت هنا قلت: منذ حين، فسكت، فقلت: يا سيدي حدثني بشيء! فقال: أحدثك بما يصلح لك، أدخلني في الفلك الأسفل، فدورني في الملكوت السفلي، فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك الأعلى، فطوف بي السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه، فقال: سلني أي شيء أردت حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئًا استحسنته فأسلك إياه، فقال: أنت عبدي حقًا تعبدني لأجلي صدقًا لأفعلنَّ بك فذكر أشياء.

قال ابن معاذ: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه، فقلت: يا سيدي! ألا سألته المعرفة وقد قال لك مالك الملوك: سلني ما شئت؟ قال: فصاح بي صيحة، وقال: اسكت ويلك عزت عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه.

قال الشيخ أبو طالب المكي -رحمه الله- بعد هذه الحكاية: هذا حال عبد عن نفسه مأخوذ، إذ كان ربه له موجودًا طاول مقامه المقامات، فقصرت به عن وصفه الصفات.

مقام

وقيل له: متى يبلغ الرجل مقام الرجال في هذا الأمر؟ فقال: إذا عرف عيوب نفسه وقويت همته لها، وأن تعلم أنك الرجل السوء، ولكن إذا صوفحت وسكنت فتقع في التهمة.

وقال أبو يزيد: النفس تنظر إلى الدنيا، والروح تنظر إلى العقبى، والمعرفة تنظر إلى المولى، فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين، ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين.

حكمة

قال: الجوع سحاب فإذا جاع العبد مُطِر القلب الحكمة.

استرجاع

وسئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

فقال: إنا لله: إقرار بالملك، وإنا إليه راجعون: إقرار على النفس بالملك.

سُكر

وكتب إليه يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب أبو يزيد في جوابه: سكرت وما شربت من الدور، وغيرك قد شرب بحور السماوات والأرضين، وما رُوي بعد ولسانه مطروح من العطش. ويقول هل من مزيد[1]!.

وأنشد في هذا المعنى:

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أنسى فأذكر ما نسيت

شربت الحب كأسًا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

أمر

وقال شيخ المشايخ قدس الله روحه: سمعنا المتقدمين يقولون: إن أبا يزيد قال: إذا أمر الأستاذ التلميذ أمرًا من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه، فمر في بعض طرقاته بمؤذنٍ يقيم الصلاة في مسجد من المساجد، فيقول: أدخل أولاً المسجد وأصلي، ثم أكون وراء ما بعثني إليه، فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها- يعني - ليس لها قعر[2].

قلب

قال: اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفًا فأشغلهم بالعبادة.

وقال: إن في الليل والنهار لشرابًا لقلوب أهل المعرفة، فإذا شربوا طارت قلوبهم في الملكوت حبًا لله وشوقًا إليه، فبذلك يقطعون لياليهم إذا أظلمت عليهم، ألا وإن الناظرين إليه لا [إلى غيره] ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة، ثم أنشد:

غرست الحب غرسًا في فؤادي فلا أسلوا إلى يوم التناد

جرحت القلب مني باتصال فشوقي زايد والحب بادي

---

(1) في النور (ص100).

(2) الكلام هنا يختص بصلاة الجماعة لا بالصلاة ذاتها، وصلاة الجماعة مختلفٌ فيها، فقد ذكر أهل العلم خمسة أقوال: فرض، واجب، واجب على الكفاية، سنة مؤكدة، مستحبة.

سقاني شربة أحيا فؤادي ... بكأس الحب من بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه ... لهام العارفون بكل وادي

- اقطع قلبك عن التصنع والتملك والتزيين والتدبير، حتى ترى قلبك فوق المملكة، بين ضياء عرشه مستغنيًا عن كل ما دونه.

ابتلاء

وقال: إن الله خلق إبليس كلبًا من كلابه، وخلق الدنيا جيفة لإبليس، ثم أقعد إبليس على آخر طريق الدنيا وأول طريق الآخرة، وقيل له انظر كلما وجدت في عمل عبدٍ من عبادي شيئًا من جيفتك فقد سلطتك عليه.

تجلي

وقد وقع للشيخ أبي يزيد البسطامي في مقام النبي ﷺ قدر خرم إبرة تجليًا لا دخولا فاحترق[1].

رُوِيَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ البِسْطَامِي ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى رُؤْيَةَ مَقَامِ رَسُولِهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ لَا تُطِيقُ؛ لِأَنَّ نُورَكَ ضَعِيفٌ فَأَلَحَّ فِي السُّؤَالِ.

قَالَ أَبُو يَزِيدَ: فَفَتَحَ لِي مِنْ ذَلِكَ خُرْمَ إِبْرَةٍ فَلَمْ أُطِقِ الثُّبُوتَ عِنْدَ ذَلِكَ وَاحْتَرَقْتُ.

كَمَا رُوِيَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْمَشَايِخِ قِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تَمْشِي إِلَى أَبِي يَزِيدَ، فَتَرَاهُ فَقَالَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ: رَأَيْتُ اللهَ وَأَغْنَانِي عَنْ أَبِي يَزِيدَ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لَأَنْ تَرَى أَبَا يَزِيدَ مَرَّةً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَرَى اللهَ أَلْفَ مَرَّةٍ، ثُمَّ اتَّفَقَ لَهُ بَعْدَ زَمَانٍ رُؤْيَةُ أَبِي يَزِيدَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمُرِيدُ، مَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، فَقِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ عَنْهُ! فَقَالَ: كَانَ الْحَقُّ عِنْدَهُ عَلَى قَدْرِهِ[2].

وفي رواية أخرى: حُكي أن الشيخ أبا تراب النخشبي -رحمه الله- كان معجبًا ببعض المريدين، وكان يخدمه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته، فقال له أبو تراب يومًا: لو رأيت أبا يزيد، فقال: أنا عنه مشغول، فلما أكثر عليه لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد؟ فقال: ويحك وما أصنع بأبي يزيد؟ وقد رأيت الله ﷻ فأغناني عن رؤية أبي يزيد، قال أبو تراب: فهاج طبعي، فلم أملك نفسي، فقلت: ويلك تغتر بالله تعالى، لو رأيت أبا يزيد مرة

---

(1) تفسير روح البيان لحقي (11 / 66).

(2) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية (2/ 87).

كان أنفع لك من أن ترى الله تعالى سبعين مرة.

قال: فبهت من قولي وأنكره، وقال: كيف ذلك؟ فقلت له: إنك إنما ترى الله ﷻ بما عندك، فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله فيظهر لك على مقداره، يعني يظهر لك من تجلي صفات الجلال، والجمال، وغيرهما على مقدار حال أبي يزيد.

قال: فعرف ما قلت، فقال: احملني إليه، فذكر قصةً كان في آخرها: فوقفنا على تل ننتظره ليتحرك إلينا من الغيظة، وكان يأوي إلى غيظة فيها سباع.

قال: فمر بنا أبو يزيد، وقد قلب أبو يزيد فروة طويت على ظهره، فقلت للفتى: هذا أبو يزيد، فانظر إليه فنظر الفتى إليه وصعق فحركناه، فإذا هو ميت فقلت لأبي يزيد: يا سيدي: قتلت صاحبنا، أو قال نظره إليك قتله، فقال: لا ولكن صاحبك كان صادقًا، وأسكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه، فضاق عن حمله لأنه كان في مقام الضعفاء، ضعفاء المريدين فقتله ذلك، ورضي الله عنهم[1].

شهود

وقيل له: بم نالوا ما نالوا؟ قال: بتضييع ما لهم وشهود ما له.

وقال: انظر أن تأتي عليك ساعة لا ترى في السماء غيره، ولا في الأرض غيرك.

فوز

قال: الفائز في محشر الساعة، من قام بأوامره وتلقاها بالسمع والطاعة.

عفو

وقال: حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شيء واحد وهو طلب العفو.

وقال: أمل الزاهد في الدنيا الكرامات وفي الآخرة المقامات، وأمل العارف في الدنيا بقاء الإيمان معه وفي الآخرة العفو.

عناية

وقال: كانت أمي لما حملت بي إذا قدم لها طعام حلال امتدت يدها له، أو حرام انقبضت، فالعناية من الأزل.

---

(1) قال الشيخ الأكبر: الفتوحات المكية (6/ 386): لما كان الأمر هكذا علمنا أن رؤيتنا الله في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية هي أتمّ رؤية تكون فما زلنا نحرّض الناس عليها مشافهة وفي كتابنا هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

قهر

حكي أنه كان لشيخ مريد فقال له يومًا: لو رأيت أبا يزيد كان خيرًا لك من شغلك فقال: كيف يكون هو خيرًا وهو مخلوق ويتجلى الخالق كل يوم سبعين مرة، ثم بالآخرة ذهب مع شيخ إلى أبي يزيد البسطامي، فقالت امرأته: لا تطلبوه فهو امرؤ ذهب للحطب، فوقفا في طريقه، فإذا هو حمل الحطب على أسد عظيم وبيده حية يضرب الأسد بها، في بعض الأوقات فلما رآه المريد مات.

فقال أبو يزيد لشيخه: قد ربيت مريدك باللطف، ولم ترشده إلى طريق القهر، فلم يتحمل لما رآني، فلا تفعل بعد اليوم وأرهم القهر أيضًا[1].

طمع

حكي أن نبّاشًا تاب على يد أبي يزيد البسطامي -قدس سره- فسأله أبو يزيد! فقال: مساكين أولئك، نهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة.

وعقب الشيخ إسماعيل حقي بقوله: فعلى العاقل التوكل على الله والاعتماد بوعده، فإن الله كافٍ لعبده ومن وجد الله فقد ما دونه لأن فقدان الله في وجدان ما سواه، ووجدانه في فقدان ما سواه، ومن وجده يرضى به ويقول: سيؤتينا الله من فضله ما نحتاج إليه في كمال الدين ونظام الدنيا إنا إلى الله راغبون لا إلى الدنيا والعقبى وما فيهما غير المولى. تفسير حقي (5/ 83).

متقرئ

قال أبو يزيد ﷺ: إن المتقرئ إذا وقع في الرجال جعل شفتيه كشفة التيراني، والتيراني سمكة في البحر يحذرها سماك البحار، فتضرب فتخرق، وإن المتقرئ ليخرق نفسه ولا يدري.

وقال: تفكرت أن أجعل نفسي في قبة خضراء في هذا الهواء بعد موتي، فخشيت من سهم المتقرئين أن يقول: انظر إلى هذا الرعناء، جعل نفسه هكذا، أراد أن يظهر نفسه، فتركت ذلك ولم أفعل.

وقال: شيني متقرئ بسطام، ليتني ما رأيتهم.

وقال: يا متقرئ: أر كما أنت، أو كن كما تُرى.

وقال: المتقرئ لا يبصر تحت شجرة التمر، فيأخذ شجرة الغبراء منحنية يرقاها، فيأكل

---

(1) تفسير روح البيان لحقي (1/ 217).

البعض، ولو صبر المسكين تحت النخيل لأكل ما كان يساوى.

مناجاة

قال: إلهي، بك أدل عليك ومنك أصل إليك، ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب، وأحلى المشي إليك بالأوهام في طرقات الغيوب، اللهم ما أحسن ما لا يكون للخلق كشفه ولا بالألسنة وصفه من حيث لا تدركه العقول.

وقال: غلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح لمن دعاك يالله، سبحان من علا تعالى، سبحان العلي الأعلى دون دنو الأدنى، سبحان خالق النور، شكرًا لخالق النور، سبحان خالق النور، حكمًا لخالق النور، سبحان خالق النور، عدلاً لخالق النور، سبحان خالق النور وبحمده، سبحان خالق النور ﷻ جلاله.

وقال: اللهم من فعل بي سوءًا وقولاً فاجمع عليه من نعمك كما تهب الريح فيجتمع الثلج في الوادي.

وقال: يا عزيزًا في قلوب أوليائك، الشكر منك، والزيادة منك.

وقال: لا تقطعني بك عنك.

حكاية أبي يزيد البسطامي في دير النصارى[1]

بينما البسطامي واقفٌ على جبل عرفات إذ قالت له نفسه: من مثلك يا أبا يزيد، حججت خمسًا وأربعين حجة، وقرأت عشرة آلاف ختمة، فنادى في الحال:

من يشتري مني خمسة وأربعين حجة برغيف خبز؟

فقال رجل: أنا.

فأخذ منه الرغيف وألقاه إلى الكلب فأكله، ثم شدَّد على نفسه ودخل بلاد الروم، وإذا براهبٍ قد أمسك بيده وجاء به إلى منزله، وأخلى له مكانًا في داره، فأقام يعبد الله تعالى في ذلك المكان، والراهب يأتيه كل يوم بالأكل والشرب بكرة وعيشًا مدة شهر، فقال أبو يزيد يومًا لنفسه: يا نفس، أنا أريد أن أكسرك، وأراك لا تنكسرين؟ فبينما

(1) الحكاية أو المناظرة مأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، والمكتبة الأهلية بباريس، ومخطوطات بغداد.

يخاطب نفسه وإذا بالراهب قد دخل عليه وقال: ما اسمك؟

قال: أبو يزيد.

فقال الراهب: ما أحسنك لو كنت عبد المسيح.

فصعب ذلك على أبي يزيد وأراد الخروج من عنده، فقال له الراهب: أقم عندنا إلى تمام أربعين يومًا، فإن لنا عيدًا عظيمًا وأريد أن تحضر هذا العيد، ولنا واعظ يعظنا من السنة إلى السنة مرة واحدة.

فأجابه، فلما كان تمام الأربعين دخل عليه الراهب وقال له: قم فقد أتى يوم عيدنا.

فلما قام قائمًا قال له: كيف تمضي معي وتحضر بين ألف راهب، وأنت على هيئتك هذه، فإني أخشى عليك؛ ولكن اخلع ثيابك والبس هذا البرنس وشد وسطك بالزنار وعلق الإنجيل على صدرك.

فلما سمع كلام الراهب صعب عليه ذلك، فنودي في سره: يا أبا يزيد افعل ذلك، فإن لنا فيه إرادة ومشيئة، فعند ذلك خلع ثيابه ولبس البرنس، وشدّ وسطه بالزنار، وحمل الإنجيل على صدره وتوجه معه إلى البيعة وجلس مع الرهبان فلم يتعرفوا عليه، فبينما هو كذلك رأوا أعظمهم قد أقبل ولم يتكلم، فقالوا له: لم لا تتكلم كعادتك؟

فقال: كيف أتكلم وبينكم رجل محمدي؟

فقالوا: دل لنا عليه حتى نقطعه بسيوفنا.

فقال: والله ما أدلكم عليه حتى تحلفوا أنكم لا تؤذونه، ولا توشوشون عليه.

فحلفوا على ذلك، فقال الراهب عند ذلك: أقسمت عليك أيها المحمدي بالله إلا ما قمت من بين الجماعة، فوثب أبو يزيد قائمًا على قدميه، فقال الراهب: انظروا إليه.

فقالوا: صدقت أيها الشيخ.

فقال له: ما اسمك؟ قال: أبو يزيد.

قال: أتعرف شيئًا من العلم؟ قال: أعرف الذي علمني ربي ﷻ.

قال: أخبرني عن واحد ما له ثان، وثان ما له ثالث، وثالث ما له رابع، ورابع ما له خامس، وخامس ما له سادس، وسادس ما له سابع، وسابع ما له ثامن، وثامن ما له

تاسع، وتاسع ما له عاشر، وعاشر ما له حادي عشر، وحادي عشر ما له ثاني عشر، وثاني عشر ماله ثالث عشر؟

فقال أبو يزيد: اسمع الجواب بعون الملك الوهاب:

أما الواحد، فهو الله لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.

أما الثاني، فهو الليل والنهار.

وأما الثالث، فهو الطلاق ثلاث مرات.

وأما الأربعة، فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

وأما الخمسة، فالصلاة الخمس.

وأما الستة، فهي الأيام الست التي خلق الله فيها السموات والأرض.

وأما السبعة، فهي السماوات السبع.

وأما الثمانية، فإنها حملة العرش يوم القيامة.

وأما التسعة، فهي مدة حمل المرأة للولد.

وأما العشرة، فهم الكرام البررة.

وأما الحادي عشر، فإخوة يوسف عليه السلام.

وأما الثاني عشر، فهي السنة: اثنا عشر شهرًا.

فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن خلق من الهواء، ومن حفظ في الهواء، ومن هلك بالهواء؟

فقال: خلق من الهواء عيسى عليه السلام، وحفظ في الهواء سليمان عليه السلام، وهلك بالهواء قوم عاد. قال: صدقت، فأخبرني عمن خلق من الخشب، ومن حفظ في الخشب، ومن هلك من الخشب؟

فقال أبو يزيد: خلق من الخشب عصا موسى عليه السلام، وحفظ في الخشب نوح عليه السلام، وهلك بالخشب النبي زكريا عليه السلام.

فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن خُلق من النار ومن حُفظ في النار ومن هلك بالنار!

فقال أبو يزيد: خُلق من النار إبليس، وحفظ في النار إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام،

وهلك بالنار أبو جهل.

فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن خلق من الحجر، ومن حفظ في الحجر، ومن هلك بالحجر.

فقال أبو يزيد: خلق من الحجر ناقة صالح عليه السلام، وحفظ في الحجر أصحاب الكهف، وهلك بالحجر أصحاب الفيل.

فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عن قول العلماء، فإنهم يقولون: إن في الجنة أربعة أنهار: نهر من عسل، ونهر من لبن، ونهر من ماء، ونهر من خمر، وكل ذلك يجري في مجرى واحد، هذا لا يختلط بهذا، ولا هذا يختلط بهذا، فهل له مثال في الدنيا؟

قال: نعم ابن آدم في رأسه أربعة أنهار، ماء أُذنيه مُر، وماء عينه عَذب، وماء أنفه مَالح، وماء لسانه حُلو.

قال: صدقت، فأخبرني عن أهل الجنة، فإنهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون، فهل له مثال في الدنيا؟

قال: نعم، الجنين في بطن أمه، يأكل ويشرب ولا يتغوط، ولو تغوط في بطن أمه لماتت.

قال: صدقت، فأخبرني عن شجرة في الجنة اسمها «طوبى»، ليس في الجنة قصر ولا غرفة إلا وفيه غصن من أغصانها، فهل لها مثال في الدنيا؟

قال: نعم الشمس إذا طلعت.

قال: صدقت، فأخبرني عن شجرة لها اثنا عشر غصنًا، وفي كل غصن ثلاثون ورقة، وفي كل زهرة زهرتان في الشمس، وثلاث زهرات في الظل؟

فقال أبو يزيد: أما الشجرة، فهي السنة اثنا عشر شهرًا، والورق بعدد أيام الشهر، والزهرات فهي الصلوات الخمس، وأما التي في الشمس، فالظهر والعصر والتي في الظل فالمغرب والعشاء والصبح.

فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن حج بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة الحج؟

فقال أبو يزيد: تلك سفينة نوح عليه السلام.

فقال الراهب: صدقت، فأخبرني أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟

فقال أبو يزيد: ذلك في غامض علم الله تعالى، فإن ذلك لا يظهر عليه نبي مرسل ولا ملك مُقرب؟ فقال: صدقت.

ثم بعد ذلك قال أبو يزيد للراهب: أما أنت فقد سألت عن مسائل، وأجبتك عليها، وأريد أن أسألك عن مسألة واحدة.

فقال الراهب: سل ما شئت!.

فقال أبو يزيد: أخبرني عن مفتاح الجنة ما هو، وما هو مكتوب على أبوابها؟

فسكت الراهب، فقال له الرهبان: غُلبت يا أبانا.

قال: لا. قالوا: فلم لا تجيبه مثل ما أجابك؟

قال: أخاف إن أجبته عنها تقتلوني!

قالوا له: وحق الإنجيل إن أجبته لا نقتلك.

فقال الراهب: اعلموا أن مفتاح الجنة قول لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال له الرهبان عند ذلك: نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال الراهب: نحمد الله الذي أسلمتم، فإني كنت مسلمًا منذ ستين سنة، ولكني كنت أكتم إيماني خوفًا منكم، إلى أن منَّ الله عليّ بهذا الرجل.

ثم أخربوا البيعة وجعلوها مسجدًا لله تعالى، وأقام أبو يزيد عندهم يعلمهم أمور دينهم، ثم ودّعهم ورجع إلى بلاده.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة على خاتم النبيين وسيد المرسلين، وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين

أهم المصادر والمراجع

- الأزمنة والأمكنة، المرزوقي.
- الإشارات والتنبيهات لابن سينا.
- اصطلاحات الصوفية للشيخ ابن عربي.
- الإمام الجنيد سيد الطائفتين، للمزيدي.
- ابن سبعين وفلسفته الصوفية لأبي الوفاء الغنيمي.
- رسائل ابن سبعين، تحقيق المزيدي.
- إحياء علوم الدين للغزالي.
- إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة.
- الأعلام للزركلي.
- أبو يزيد البسطامي للأستاذ قاسم محمد عباس.
- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
- الأمثال، لأبي عبيد، دار المأمون للتراث بدمشق، 1980م.
- الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي، تحقيق المزيدي.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، المكتبة العلمية.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، 1306.
- الترغيب والترهيب للمنذري، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1968م.
- التعرف لمذهب التصوف، للكلاباذي، الكليات الأزهرية.
- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية 1967م.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط. المكتبة التوفيقية، مصر.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري.
- جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.
- جامع الرسائل لابن تيمية.
- جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، للمزيدي.
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، دار المعارف بمصر، ط4، 1977م.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد 1344.
- حكم الفصوص وحكم الفتوحات لشريف ابن ناصر الكيلاني، تحقيق المزيدي.

- الحلية لأبي نعيم.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، وزارة الثقافة، بغداد.
- الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري.
- روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني، تحقيق المزيدي.
- روضة العقلاء لابن حبان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول، للمزيدي.
- الزهد الكبير، للبيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- الزهد لأحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزهد لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن الترمذي، طبعة المكتبة الإسلامية.
- سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.
- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية 1953م.
- سنن النسائي.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة ببيروت ط1، 1981م.
- شذرات الذهب لابن العماد.
- شرح الحكم الصوفية (الكردية) للشرقاوي، تحقيق المزيدي.
- شرح الأنفاس الروحانية لأئمة السلف الصوفية للديلمي.
- شرح مشاهد الأسرار القدسية للست عجم بنت النفيس، تحقيق المزيدي.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، دار العلم للملايين.
- صحيح البخاري، فتح الباري.
- صحيح مسلم.
- صفوة الصفوة لابن الجوزي.
- الصوفية والفقراء لابن تيمية.
- طبقات الصوفية للسلمي.
- طبقات الأولياء لابن الملقن.
- الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني.
- الطواسين للحلاج.
- العظمة لأبي الشيخ.

- العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار الكتاب العربي ببيروت.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر.
- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر.
- الفهرست، النديم، دار المسيرة، ط3، 1988م.
- فوات الوفيات، لابن شاكر.
- فيض القدير للمناوي.
- فيض القدير، للشوكاني، ط3، 1973م.
- الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح، للشعراني، دار الأزمنة.
- القاموس المحيط، للفيروزابادي.
- قوت القلوب لمكي، بيروت.
- قلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد لأبي الهدى الصيادي.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر.
- كشف الخفاء، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة.
- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.
- كيمياء السعادة للغزالي.
- لطائف الأعلام للقاشاني.
- لطائف المنن للشيخ الشعراني، طبعة القاهرة 1357 هـ.
- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين بن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور.
- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده.
- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، بيروت.
- مرآة الجنان لليافعي.
- مرآة الحقائق للشيخ إسماعيل حقي، تحقيق المزيدي.
- ميزان الاعتدال للذهبي، مصر.
- روح البيان في تفسير القرآن لحقي.
- مسند الإمام أحمد.
- مشكاة الأنوار للغزالي.

- المصنف، لابن أبي شيبة.
- المصنف لعبد الرزاق.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- معجم الشعراء، للمرزباني.
- معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري.
- الميزان الذرية في بيان عقائد الفرقة العلية للشعراني، تحقيق المزيدي.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي.
- نشر المحاسن لليافعي.
- نفحات الأنس للجامي، العلمية بيروت.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.
- هدية العارفين للبغدادي.
- الوحيد في سلوك أهل التوحيد للقوصي، تحقيق المزيدي.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان.
- النور في كلمات طيفور للسهلجي.
- النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر، للمزيدي.
- شطحات الصوفية، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت.

فهرس الموضوعات